

وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ
الْمُخْتَارُ مِنَ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ
٧٣

مِنْ

تَشْرِيعِ الدِّينِ

لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ أَحْسَنِ الْإِنِّي

الْمَرْفُوعِ سَنَةِ ٤٤١ هـ

السَّنَةِ الثَّالِثَةِ

اخْتَارَ لِنُصُوصِ دَفْتَرِهِ عَظَمَ عَلَيْهَا

مَنْظَرُ الْجَنِيِّ



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

من نشر الدر
السفر الثالث

من نثر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الأبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق
عليها مظهر الحجبي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج ٢٠٤ صم. -
(للمختار من التراث العربي ٧١ - ٧٤).

١- ٨١٨,٠٢٢ س ع د م ٢- العنصوان ٣- أبو سعد الأبي
٤- الحجبي ٥- السلسلة

مكتبة الأمد

الايدياع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الرابع

(*) من الجزء الرابع من « فتر الدر » وقد تقدمت الأبواب الثلاثة
في السمر الثاني من هذه الاختيارات .

ذُكِرَتْ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : أَخْرِجْ هَذَا الْغَمَّ مِنْ قَلْبِكَ . فَقَالَ :
لَيْسَ بِإِذْنِي دَنَحَلَّ

قَالَ رَجُلٌ لَشَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ (١) : أَنَا وَاللَّهِ أَجْبُكَ
يَا أَبَا مَعْبُودٍ . قَالَ : أَشْهَدُ عَلَى صَدَقِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ
ذَاكَ ؟ قَالَ : لَأَنَّا لَسْتُ بِجَارٍ قَرِيبٍ ، وَلَا ابْنِ عَمٍّ
نَسِيبٍ ، وَلَا مُشَاكِلٍ فِي صِنَاعَةٍ .

وَقَالُوا : صَاحِبُ السَّوِّ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ . وَالْمَلِكُ
لَمَّا قَالَ الْقَائِلُ : مَا رَأَيْنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ خَيْرًا مِنْ
صَاحِبٍ . قَالَ الْآخَرُ : وَلَا رَأَيْنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ شَرًّا
مِنْ صَاحِبٍ .

(١) شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ الْمَثَقِيُّ الْبَصْرِيُّ ، فَصِيحٌ بَلِيغٌ إِخْبَارِيٌّ
تَوَفَّى سَنَةَ ١٦٢ هـ .

قال بعضهم : العالمُ يعرفُ الجاهلَ لأنَّه كان جاهلاً ،
والجاهلُ لا يعرفُ العالمَ لأنَّه لم يكنُ عالماً .
سُئِلَ بعضهم عن الغِنَى فقال : شرٌّ مَحْبُوبٌ .
وعن الفقرِ فقال : مُلكٌ ليس فيه مُحاسِبَةٌ .
الفرصةُ ما إذا حاولتَه فأخطأك ففَعَلَهُ لم يصلْ إليك
ضُرَّةٌ .

بلوغُ أعلى المنازلِ بغيرِ استحقاقٍ مِن أكبرِ أسبابِ
الهَلَكَةِ .

كفى نبيءَ يَعِزُّ إذا قَلَّ ، والعقلُ كما كان أكثرَ
كان أعزَّ وأغلى .

.. قال عامرُ بنُ عبدِ القَيْسِ (١) : الكلمةُ إذا خرجتْ
من القلبِ وقعتْ في القلبِ ، وإذا خرجتْ من اللِّسانِ لم
تجاوزِ الأذانَ .

قالوا : مَقْتَلُ الرَّجُلِ بينَ لِحْيَيْهِ .

(١) عامر بن عبد قيس العبدي ، تابعي ، هو الذي علم أهل البصرة
القرآن وتوفي حوالي سنة ٥٥ هـ .

التَّشَبُّهُ نَصْفُ الْعَفْوِ .

قال أكرمُ : الكرمُ حُسْنُ الْفِطْنَةِ . واللُّؤْمُ سوءُ
التَّغافلِ .

قيل : أسوأ الناسِ حالا من اتَّسعت معرفته ، وبعُدَت
مِيسرته ، وضاقَت مَقْدَرته .

كان عبدُ الملكِ بنُ الحجاجِ يقول : لأنا للعاقلِ
المديرِ أَرْجى مِنِّي الأحمقِ المُقبِلِ .

وقالوا : أمرانِ لا ينفكَّانِ من الكذبِ : كَثْرَةُ
المواعيدِ وشِدَّةُ الاعتذارِ .

قال خالدُ بنُ صفوانَ (١) : السَّفَرُ ثلاثُ عتباتٍ ؛
فأولُّها : العزمُ ، والثَّانيةُ : العُدَّةُ ، والثالثةُ : الرَّحيلُ ،
وأشدُّهنَّ العزمُ .

قال أكرمُ بنُ صَيْفِيٍّ : العافيةُ الملكُ الخفيُّ .

وقال الفضلُ بنُ سهلٍ : ليستِ الفرصةُ إلاَّ ما إذا
أخطأكَ نفعُهُ لم يملكَ ضررُهُ .

(١) خالد بن صفوان أحد فصحاء العرب ، توفي بعد سنة ١٢٠ هـ .

قالوا : سوءُ حملٍ الغنيُّ يورثُ مَقْتاً ، وسوءُ
حملٍ الفاقةِ يَضَعُ شَرَفاً

وقال أكرمٌ : مَنْ جَزَعَ على ما شَرَجَ من يده فليَجْزَعْ
على ما لم يصلِ إليه

قال بعضهم : ظَفَرُ الكَرِيمِ عَفْوٌ ، وَعَفْوُ اللَّيْمِ
عَقُوبَةٌ .

كان يقال : لا ينبغي لأحدٍ أن يدعَ الحَزْمَ الظفْرِ نالَه
عاجزٌ ، ولا يرغَبَ في التَضْييعِ لِنَكْبَةٍ دَخَلَتْ على حازمٍ .
وكان يقال : ليس من حُسْنِ التَّوَكُّلِ أن تُقالَ عَشْرَةٌ
ثمَّ يركبَها ثانية .

قيل : لولا الإغضاءُ والنسيانُ ، ما تعاشرَ النَّاسُ
الكثرةَ الأضغان .

قالوا : ثلاثٌ يرغبن العدوُّ : كثرةُ العبيدِ ، وأدبُ
الولدِ ، ومحبةُ الجيرانِ .

يُقال : سوءُ القالةِ في الإنسانِ إذا كان كاذباً نظيرُ
الموتِ ، لفسادِ دُفْيَاهِ ، وإذا كان صيداً قاصداً من الموتِ
لفسادِ آخرتِهِ .

قالوا : يُرضي الكرامَ الكلامُ ، ويُصادُ اللثامُ
بالمال ، ويُسبى النبيلُ بالإعظام ، ويُستباحُ السفانةُ
بالموانِ .

قالوا : أمران أنسُ بالنهار وحشةُ بالليل : المالُ
والبستانُ .

قالوا : لا يزالُ المرءُ مستمراً ما لم يعثر ، فإذا عثر
مرةً في الحَبَار (١) لجَّ به العيثار ولو كان في جَدَد (٢) .

قال بعضهم : ما شَيْبَتني السّنون ، لكنْ شُكْرِي مَنْ
أَحْتَاجُ أَنْ أَشْكُرَهُ .

قالوا : المتواضعُ كالوَهْدَةِ يجتمعُ فيها قَطْرُهَا
وقَطْرُ غيرها ، والمتكبرُ كالرَّبْوَةِ لا يقرُّ عليها قَطْرُهَا
ولا قطر غيرها .

يُقَالُ : إِنَّهُ لَا يَصْبِرُ وَيَصْدُقُ فِي اللَّقَاءِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ :
مُسْتَبَصِرٌ فِي دِينٍ ، أَوْ غَيْرُهُ أَنْ عَلَى حُرْمَةٍ ، أَوْ مُتَعَصٍّ
مِنْ ذَلِكَ .

(١) الحبار : الأرض الناعمة .

(٢) الجد : الأرض المستوية .

قال بعضهم : في مجاوزتك مَنْ " يكفياك فقر" لا
مُنْتَهَى له حتى تنتهي عنه .

وكان يُقال : العفافُ زينةُ الفقير ، والشُّكْرُ زينةُ
الغني .

اعتذارٌ مِنْ " منْعٍ خيراً من وَعْدٍ ممطولٍ .

خيرُ المزاح لا يُنالُ ، وشرُّه لا يُقالُ . وإنما
سُمِّيَ مزاحاً لأنه أزيحَ عن الحقِّ .

اليأسُ من أعوانِ الصَّبرِ .

قيل لبعض الحكماء : أيُّ الأمورِ أعجلُ عقوبةً
وأسرعُ لصاحبها صرعةً ؟ قال : ظالمٌ من لا ناصرَ له
إلاَّ الله عزَّ وجلَّ ، ومجاورةُ النِّعمِ بالتقصيرِ واستطالةُ
الغنى على الفقيرِ .

يقال : من سعادة المرء أن يضعَ معروفه عند مَنْ
يشكره .

قالوا : شيئان لا يُعرفُ ظنُّهُما إلاَّ بعدَ فقدِهما :
العافيةُ والشبابُ .

نظر شابٌ إلى شيخٍ يقاربُ خطاه فقال له : مَنْ قَتَيْدَكَ ؟ قال : الذي تركتهُ يفتلُ قَيْدَكَ .

قيل لشيخٍ قد ذهبَ منه المأكَلُ والمشربُ والنكاحُ : هل تشتهي أن تموتَ ؟ قال : لا . قيل : ولِمَ ذاكَ ؟ قال : أحبُّ أن أعيشَ وأسمعَ الأعاجيبَ .

قيل لبعضهم : ما بالُ الشيخِ أحرصُ على الدُّنيا من الشابِّ ؟ قال : لأنه قد ذاقَ من طعمِ الدُّنيا ما لم ينقُه الشابُّ .

قالوا : الدَّيْنُ عُقْلَةٌ الشَّرِيفِ ، ما استرقَّ الكريمَ أفظُّ من الدَّيْنِ .

اختصمَ رجلانِ إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ (١) في النُّطقِ والصمتِ : أيُّهما أفضلُ ؟ فقال : بماذا أبَيَّسُ لكما ؟ فقالا : بالكلامِ . فقال : إذاً الفضلُ له .

وقيل لبعضهم : السُّكوتُ أفضلُ أمِ النُّطقُ ؟ فقال : السُّكوتُ حتَّى يُحْتَاجَ إلى النُّطقِ .

(١) سعيد بن المسيب المخزومي المدني أحد الأعلام العلماء ، وفقيه المدينة جمع بين الحديث والفقه ، والورع . توفي سنة ١٩٤ .

قيل : العقلُ يأمرُكَ بالآتِ ، والمروءةُ تأمرُكَ
بالأجملِ .

قيل لبعضهم : ما جِماعُ العقلِ ؟ فقال : ما رأيتُهُ
مجتمعاً في أحدٍ فأصِفَه ، وما لا يوجدُ كاملاً فلا حدَّ له .
قال الزُّهريُّ : إِذَا أَنْكَرْتَ عَقْلَكَ فَاقْدَحْهُ بِعَاقِلٍ .
وقيل : عظمتِ المؤونة في عاقل متجاهل ، وجاهلٍ
مُتَعَاقِلٍ .

وقيل : إِنَّكَ تَحْفَظُ الْأَحْمَقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ .

قيل لبعضهم : العقلُ أَفْضَلُ أَمْ الْجَدُّ ؟ فقال :
العقلُ مِنَ الْجَدِّ .

قال بعضهم : ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره .
وطاعةَ نفسه عليه ممتنعةٌ .

قيل لآخر : أَتَحِبُّ أَنْ تُهْدَى إِلَيْكَ عِيوبُكَ ؟ فقال :
أَمَّا مِنْ نَاصِحٍ فَنَعَمْ ، وَأَمَّا مِنْ شَامِتٍ فَلَا .

قيل لآخر : هَلْ شَيْءٌ أَضَرُّ مِنَ التَّوَانِي ؟ قال :
الاجتهادُ في غير موضعه .

وقيل : العجزُ عجزانِ عجزُ التَّقصيرِ . وقد أمكن الأمرُ ، والجِدُّ في طلبه وقد فات .

وقيل لآخر : أسأتَ الظنَّ . فقال : إن الدنيا لمَّا امتلأت مكارهَ وجبَ على العاقلِ أن يملأها حذرًا .

تأمل حكيمٌ شَيْبَةً فقال : مرحباً بزهرةِ الحِنَّكةِ ، وثمرَةِ الهدى ، ومقدِّمةِ العِفَّةِ ، ولباسِ التَّقوى .

قيل : لا يسود الرجلُ حتى لا يبالي في أيِّ ثوبيه ظهرَ .

سمع حكيمٌ رجلاً يدعو لآخرَ ويقول : لا أراكَ اللهُ مكروهاً . فقال : دعوتَ له بالموتِ فإنَّ من عاش لابد له في الدنيا من مكروه .

قالوا : من صفاتِ العاقلِ ألاَّ يتحدثَ بما يُستطاعُ تكذيبه .

قيل لبعضهم : متى يُحْمَدُ الكذبُ ؟ فقال : إذا قَرَّبَ بين المتقاطعين . قيل : فمتى يُذَمُّ الصدقُ ؟ قال : إذا كان غيبة .

صَحِبَ رجلٌ آخرَ سيِّئِ الخُلُقِ فلما فارقه قال : قد فارقتهُ وخُلِقْتُه لا يُفارقُهُ .

المُزاحُ فَحُلٌّ لا يُسْتَجْ إِلَّا الشَّرُّ .

المروءةُ التامةُ مُباينةُ العامةِ .

أسوأُ ما في الكَريم أن يَمْنَعَكَ نِداهُ ، وأَحْسَنُ ما في اللئيم أن يَكْفَ عَنْكَ أَذاهُ .

السَّفَلُ إذا تَعَلَّمُوا تَكَبَّرُوا ، وإذا تَمَوَّلُوا اسْتَطالُوا ،
والعِلْيَةُ إذا تَعَلَّمُوا تَواضَعُوا ، وإذا افْتَقَرُوا صالُوا .

ثَلَاثٌ لا يُسْتَصْلَحُ فسادُهُنَّ بشيءٍ من الحَيَلِ :
العداوةُ بين الأَقاربِ ، وتَحاسُّدُ الأكفاءِ ، وركاكةُ
الملوكِ (١) .

قيل للحكيم : أي شيءٍ مِنْ أفعالِ العبادِ يُشَبِّه أفعالَ
اللهِ ؟ قال : الإحسانُ إلى الناسِ .

يُقَالُ : السَّخِيُّ شُجاعُ القلبِ ، والبَخِيلُ شُجاعُ
الوجهِ .

البَخِيلُ يَعِيشُ عَيْشَ الْفُقَرَاءِ ، ويَحاسِبُ مُحاسِبَةَ
الْأَغْنِياءِ .

(١) الركاكة : الضعف .

العزلة توفّر العرض ، وتسرّ الفاقة ، وترفع
ثقل المكافاة .

ما احتنك أحد قط إلا أحبّ الحلوة .

خير الناس من لم تجربّه ، كما أن خير الدرّ ما لم
تثقبه .

قيل : أجل ما ينزل من السماء التوفيق ، وأجل
ما يصعد إلى السماء الإخلاص .

قيل : كل مال لا ينتقل بانتقالك فهو كفيل (١) .

وقيل : ما دار من يشاق إلى السفر بدار سلامة .

قال حكيم : من الذي بلغ جسيماً فلم يبطر ،
واتبع الهوى فلم يعطب ، وجاور النساء فلم يفتن ،
وطلب إلى اللثام فلم يتهن ، وواصل الأشرار فلم
يندم ، وصحب السلطان فدامت سلامته ؟ .

اثنان يهون عليهما كل شيء ؛ العالم الذي يعرف
العواقب ، والجاهل الذي يجهل ما هو فيه .

(١) كفيل : ضامن .

وقيل : شرٌّ من الموتِ ما إذا نزلَ تمنّيت لنزوله
الموتَ ، وخيرٌ من الحياةِ ما إذا فقدته أبغضت لفقده
الحياةَ .

ليَتَكُنْ النوائِبُ منك يبالٍ ، فأكثرُ المكارِهِ فيما
لم يُحْتَسَبْ .

قال سفيانُ : ما وضعَ أحدٌ يده في قصعةٍ غيرهِ
إلاّ ذلَّ له .

وقال أبو حمزة السَّكُونِي : قال لي أبو عبيدِ الله :
من أكلَ من ثريدِنا وطُشِنَا رقبته .

قال رجلٌ لمعروف (١) : يا أبا محفوظ ، أتحركُ
أطلبِ الرِّزْقَ أم أجلسُ ؟ قال : لا بلْ تَحْرِكْ ، فإنه
أصلحُ لك . فقال : أمثلك يقولُ هذا يا أبا محفوظ ؟
فقال : ما أنا قلتُهُ ولا أمرتُ به ، ولكنَّ الله تعالى قاله
وأمرَ به حيثُ قال لمريمَ : « وَهَـزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ

(٢) معروف الكرخي صاحب الأحوال والكرامات أسلم على يد
علي بن موسى الرضا وتوفي سنة ٢١٠ هـ .

النَّخْلَةَ تَسَاقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا» (١) ولو شاء
أن يُنْزِلَهُ عَلَيْهَا بَلَا هَزْ لَفَعَلَ .

قال بعضهم : رأيت عِكْرِمَةَ بِيَابِ بَلَدِي (٢) فقلتُ
له : ما جاء بكَ إلى ههنا ؟ فقال : بَنَاتِي .

قال وهبٌ : الدراهمُ نِزَاقِيُمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِمَعَاشِرِ
بَنِي آدَمَ ؛ لَا تُؤْكَلُ وَلَا تُشْرَبُ ، وَأَيْنَ ذَهَبْتَ بِخَاتَمِ
رَبِّكَ قُضِيَتْ حَاجَتُكَ .

قال لبعضهم : لِمَ تُحِبُّ الدَّرَاهِمَ وَهِيَ تُدْنِيكَ
مِنَ الدُّنْيَا ؟ فقال : هي وإنْ أَدْنَيْتَنِي مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ صَانَتْني
عَنْهَا .

قال لسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (٣) : مَا أَشَدَّ حُبَّكَ
لِلدَّرَاهِمِ ! فقال : مَا أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَشَدَّ حُبًّا
لِمَا يَنْفَعُهُ مِنْنِي .

(١) سورة مريم : ٢٥ .

(٢) من أجمل مدن خراسان ، قيل بناها الاسكندر ، افتتحت في
أيام عثمان .

(٣) سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ الْحَلَالِيُّ ، شَيْخُ الْحِجَازِ وَأَحَدُ أَعْلَامِهِ ، عَابَدَ
فَقِيهِ عَالَمٌ تَوَفِّي ١٩٨ هـ .

قيل لبعضهم : أين بلغت في العلوم ؟ قال : إلى
الوقوف على القصور ، عنها .

قال ابن السّماك : الكمال في خمس ؛ ألاّ
يعيب الرّجلُ أحدا بعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب
من نفسه ، فإنّه لا يفرغ من إصلاح عيب واحد
حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيب النّاس ،
والثانية ألاّ يُطلق لسانه ويده حتى يعلم أي طاعة
ذاك أو في معصية ، والثالثة ألاّ يلتبس من النّاس
إلاّ مثل ما يُعطيهم من نفسه ، والرابعة أن يسأل من
النّاس باستشعار مُداراتهم ، وتوفيتهم حقوقهم ،
والخامسة أن ينفق الفضل من ماله ويحسك الفضل
من قوله .

قالوا : إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمارٍ قطوف (١)
مدبريني ، وإذا أدبرت أدبرت على البُراق .

التّؤدّة حَسَنَة في كلّ شيء إلا في المعروف
فلانّها تُنغصّه .

(١) القطوف : البطيء .

أصابَ متأملٌ أو كادَ ، وأخطأَ مستعجلٌ أو كادَ .
قيل لبعضهم : كيفَ لا يجتمعُ المالُ والحكمةُ ؟
قال : لعزّة الكمالِ .

كان يقال : لكلِّ جديدٍ لذّةٌ إلا من الإخوانِ .
العجزُ عجزانِ : التقصيرُ في طلبِ الأمرِ وقد أمكنَ ،
والجِدُّ في طلبه وقد فات .

قال يزيدُ بنُ أسيدٍ : أسرُّ السرورِ قفلةٌ
على غفلةٍ .

قيل : سِنَّةٌ لا تُخطئهم الكآبةُ : فقيرٌ حديثُ عهدٍ
بالغنى ، ومُكثِرٌ يخافُ على ماله ، وطالِبٌ مرتبّةٍ
فوقَ قدرتهِ ، والحسودُ والحقودُ وخليطُ أهلِ الأدبِ
وهو غيرُ أديبٍ .

قال خالدُ بنُ صفوانَ : مَنْ لم تكنْ له دابةٌ
كثُرَتْ ألوانُ دوابّه (١) .

قال عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ : لو كنتُ شاعراً
لبكيتُ على المروعةِ .

(١) لأنه يستعير أو يكتري كل يوم دابة .

وقال بعضهم : طلبت الراحةَ انفسى فلم أجد شيئاً
أروحَ لها من تركِ مالاَ يعينها . وتَوَحَّشْتُ في البرِّيَّةِ
فلم أَرَّ وَحْشَةً أَشدَّ من قرينِ سوءٍ، وشهدتُ الزحوفَ (١)
واقبَتُ الأقرانَ فلم أَرَّ قِرنًا أَغلبُ للرجلِ من امرأةٍ سوءٍ .
ونظرتُ إلى كلِّ ما يُبدلُ العزیزَ ويتكسرُه فلم أَرَّ شيئاً
أذلَّ له ولا أكسرَ من الفاقة .

قالوا : أوَّلُ أمرٍ العاقلِ آخرُ أمرٍ الجاهلِ .
قال رجلٌ لعبد الحميد : أخوك أحبُّ إليك أم
صديقك ؟ قال : إنَّما أحبُّ أنحي إذا كان صديقاً .
قالوا : أسوأ ما في الكريم أن يكفَّ عنك جنوه ،
وأحسنُ ما في اللئيم أن يكفَّ عنك شره .
كان الكنديُّ يقول : المسترشدُ مؤتمى والمحترسُ
مُلتقى (٢) . وكان يقول : العبدُ حر ما قنعَ والحرُّ عبدٌ
ما طمعَ .

(١) الزحوف : الحروب .

(٢) ملقى : تمتحن لا يزال يلقاه مكروه .

قيل لمحمد بن الجهم (١) بعد ما أخذ ماله :
أما تفكر في ذهاب نعمتك ؟ فقال : لا بد من الزوال ،
فلأنه نزول نعمتي وأبقي خير من أن أزول عنها وتبقى .
قال الشافعي : اغتنموا الفرصة فإنها خلّس أو
غضص .

أعاظ سفيه "لحليم فليل له : لِمَ لَمْ تغضب ؟ فقال :
إن كان صادقا فليس ينبغي أن أغضب ، وإن كان كاذبا
فبالحرى ألا أغضب .

قال بعضهم : ما أحسن حُسنُ الظن إلا أن منه
العجز ، وما أقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم .

لما قبض ابن عيسىنة صيابة الخليفة قال : يا أصحاب
الحديث ؛ قد وجدتم مقالا فقولوا . متى رأيتم أبا عيال
أفاح ؟ وقال : كانت لنا هيرة ليس لها جراء فكانت
لا تكشف القدور ، ولا تعيث في الدور ، فصار لها جراء
فكشفت عن القدور ، وأفسدت في الدور .

(١) محمد بن الجهم البرمكي ولي للمهدي بعض الولايات .

قال بعضهم : إذا أنا فعلتُ ما أمرتُ به وكان خطأً
لم أذمتُ عليه ، وإذا فعلتُ ما لم أؤمرْ به وكان صواباً
لم أحمَدُ عليه .

قال آخرُ ما استُنبِطَ الصَّوابُ بمثل المشورة ،
ولا حُصِنَتِ النِّعمُ بمثل المِواساة ، ولا اكتُسِبَتِ البَغْضَةُ
بمثل الكِبَرِ .

قيل لروح بن زئبَعٍ : ما معنى الصَّدِيقِ ؟ قال :
هو لفظٌ بلا معنى . يعني لِعَوَزِهِ .

وقال آخر : السَّفرُ ميزانُ الأخلاقِ .

قال عليُّ بنُ عُبَيْدَةَ : العقلُ مَلِكٌ والخِصالُ
رعيته ، فإذا ضَعُفَ عن القيامِ عليها وصلَّ الحالُّ إليها .
قال : الكَلْبُ أبٌ يُخَيِّفُ نفسه وهو آمنٌ .

قال بعضهم : لو لم أَدعِ الكذبَ تأثُّماً لركنَتُهُ تَكَرَّماً .
وقال آخرُ : لو لم أَدعِ الكذبَ تَعَفُّفاً لركنَتُهُ تَظَرُّفاً .
وقال آخرُ : لو أَدعِ الكذبَ تَحَوُّباً (١) لركنَتُهُ تَأْدُباً .
وقال آخر : لو لم أَدعِ الكذبَ تَوَرُّعاً لركنَتُهُ تَصَنُّعاً .

(١) التَّحَوُّبُ : البُعدُ عن الإثمِ .

قال بعضهم : الإفراطُ في الزيارة مملٌ كما أن التفريطَ فيها مُخِلٌ .

قال العتيُّ (١) : إذا تناهى الغمُّ انقطع الدَّمْعُ .

وقال إبراهيمُ بنُ أدهم (٢) : أنا منذُ عشرينَ سنةً في طلب أخٍ إذا غضبَ لم يقلُ إلاَّ الحقَّ فما أجِدُ .

وقال غيره : إذا وليَّ صديقٌ لك ولايةً فأصبته على العُشْرِ من صداقته فليس بأخٍ سوءٍ .

قصدَ ابنُ السَّماك رجلاً في حاجةٍ لرجل فتعسَّرَ ، فقال له : اعِلم ، أنِّي أَتَيْتُكَ في حاجةٍ ، وإنَّ الطالبَ والمطلوبَ إليه عزيزان إن قُضِيَتْ ، وذليلان إن لم تقضِ ، فاختَرْتُ لنفسك عزَّ البَذَلِ على ذُلِّ المنعِ ، واختَرْتُ لي عزَّ النُّجَحِ على ذُلِّ الرَّدِّ . فقضاها له .

وقصدَ آخرُ آخرَ مرَّةٍ في حاجةٍ فتأوَّى ، فكاد ينكلُ عن الكلام ، ثم سبقَ إلى معنَى فخبَّره وقال للمسئول :

(١) محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي ؛ أخباري أديب شاعر توفى سنة ٢٢٩ هـ .

(٢) إبراهيم بن أدهم الزاهد صاحب الكرامات والأسواق توفى سنة ١٦٢ هـ .

أخبرني حين غلبتُ إليك في حاجتي ، أحسنُ بك الظنَّ ،
وأصوغُ فيك الثناء ، وأتخيرُ لك الشكرَ ، وأمشي إليك
بقدمِ الإِجلالِ ، وأكلمُّك بالسانِ التَّواضعِ ، أصبتُ
أم أخطأتُ ؟ قال : فأفحيمَ الرَّجلُ وقال : بل أصبتُ .
وقضى حاجته وسأله المعاودة .

قال أبو العتاهية : قلتُ لعلِّي بن الهيثم (١) : ما يجبُ
للصديقِ ؟ قال : ثلاثٌ خِلالَ : كتمانُ حديثِ الخلوةِ ،
والمواساةُ عندَ الشدةِ ، وإقالةُ العثرةِ .

قيل : سوءُ حمَلِ الغني يورثُ المدحَ ، وسوءُ
حمَلِ الفاقةِ قد يتضحُ الشرفُ .
قيل : الهوى شربُك العَمى .

قيلَ لصوفي : ما صناعتُك ؟ قال : حُسْنُ الظنِّ
باللهِ وسوءُ الظنِّ بالنَّاسِ .

ثلاثةٌ لم يُؤمنَ بها أحدٌ فسلم : صحبةُ السَّاطانِ ،
ولِفشاءُ السرِّ إلى المساءِ وشُرْبُ السُّمِّ للتَّجربةِ .

(١) علي بن الهيثم المعروف بجونفا كاتب شاعر ، كان أحد الكتاب
المستخدمين بديوان المأمون .

لكل شيء محل ، ومحل العقل مُجالسةُ الناس .
أعجبُ الأشياء بديهةُ أَمْنٍ وردت في مقامِ خوفٍ .
قال ابنُ المقفّع : الحرصُ مَحْرَمَةٌ ، وأبلجُ
مَقْتَلَةٌ ، فانظرُ فيمن رأيتَ أو سمعتَ : من قُتِلَ
في الحربِ مُقبلاً أكثرُ أم قُتِلَ مُدبراً ، وانظرُ مَنْ
يَطْلُبُ بالإجمالِ والتكْرُمِ أحقُّ أن تسخوَ نفسك له أم
مَنْ يطلبُ بالشرِّ والحرصِ .

قال بكرُ بنُ المعتمر (١) : إذا كان العقلُ تسعةَ
أجزاءٍ احتاجَ إلى جزءٍ من جهلٍ ليَتَقَدَّمَ على الأمور :
فإنَّ العاقلَ أبداً مُتَوَانٍ متوقِّفٌ مترقِّبٌ متخوِّفٌ .

قال ابنُ المقفّع : عملُ الرجلِ بما يعلمُ أنَّه خطأٌ
هوَى ، والهوى آفةُ العفافِ ، وتركُهُ للعَدْلِ بما يعلمُ
أنَّه صوابٌ تهاونٌ ، والتَّهاونُ آفةُ الدِّينِ . وإقدامه
على ما لا يدري أصوابٌ هوَ أم خطأٌ ليجاجُ ، واللَّجاجُ
آفةُ العقلِ .

سُئِلَ بعضهم : أيُّ الصَّدَقِ السَّكوتُ عنه أمثلُ ؟
قال : تزكيةُ المرءِ نفسه .

(١) بكر بن المعتمر كان مقرباً للأمين ، قلده ديوان الخاتم ،
ولأبي العتاهية شعر في مدحه .

وكان يقال : ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم :
تاجر البحر ، والعامل بالأجر ، والمرثي على الحكم .
قالوا : قبَّح الله الدنيا ، فإنَّها إذا أقبلت على الإنسان أعطته
محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .
أعجز الناس من قصَّر في طلب صديقه ، وأعجز
منه من وجدَه فضيحة .

قال رجل لأبي عبيد الله (١) : لئن أصبحت الدنيا
بك مشغولة لتمسين منك فارغة . فقال : أنفق ما يكون
التعب إذا وعد كذَّاب حريصا .

اجتمع علماء العرب والعجم على أنَّه لا يُدرك
نعيم إلا بيؤس ، ولا راحة إلا بتعب .

العادات قاهرات ، فمن اعتاد شيئا في سرِّه وخلقاته
فضحه في علانيته وعند الملأ .

قيل : المني تخلق العقل ، وتفسد الدين ،
وتزري بالقناعة .

(١) معاوية بن عبيد الله كاتب المهدي ووزيره توفي سنة ١٧٠ هـ .

قال قتيبةٌ لحُصَيْن : ما السرُّورُ ؟ قال : عقلٌ يُقيمُك ،
وعلمٌ يُزيِّنُك وولدٌ يَسُرُّك ، ومالٌ يَسَعُك ، وأمنٌ
يريحُك ، وعافيةٌ تجمعُ لك المِسرَّاتِ .

أَسَرَ رجلٌ إلى صديقٍ له حديثاً فلما استقصاه قال
له : أفهيمتُ ؟ قال : بل نَسيتُ .

وقيل لآخر : كيف كتمانك للسرِّ ؟ فقال : أجمعُ
المخبر وأحلفُ للمستخبر .

والعربُ تقول : من ارتاد لسره فقد أذاعه .

وقالوا : الأخُّ البارُّ مَغِيضُ الأسرارِ .

قيل لبعضهم : إن فلاناً لا يكتبُ ، قال : تلك
الزَّمانَةُ الخَفِيَّةُ (١) .

قال بعضهم : قديمُ الحرِّمةِ وحديثُ التوبةِ
يَمُحِقَانِ ما بينهما من الإساءةِ .

قالوا : ركوبُ الخيلِ عزٌّ ، وركوبُ البراذينِ (٢)
ذِلَّةٌ ، وركوبُ البغلِ مَهْرَمَةٌ ، وركوبُ الحميرِ ذُلٌّ .

(١) الزمانَةُ : مرضٌ يدوم .

(٢) البراذين : جمع برذون وهو الجواد الهجين غير العربي .

قالوا : أربعٌ يسودُّن العبد : الصدقُ والأدبُ
والفقهُ والأمانةُ .

قال الزُّهريُّ : الكريمُ لا تُحكُمُه التجاربُ .

قالوا : العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشيئَمُ الرجالِ
تُعرفُ بالولاية .

قال رجلٌ من قريشٍ لشيخٍ : علّمني الحلم .
فقال : هو الدّلُّ ، أفْتَصِرُ عليه ؟ .

ويقال : مائلٌ سُفهاءُ قومٍ إلّا ذُلُّوا .

وعزّى رجلٌ الرشيدَ فقال : ياأمير المؤمنين ،
كان لك الأجرُ لابلِكَ وكان العزاءُ لك لاعنِكَ .

كان يقال : لك ابنُك ريحانُك سبعا ، وخادمُك
سبعا ، ثم عدوٌّ أو صديقٌ .

قيل لبعض الحكماء : ما الشيءُ الذي لا يَحْسُنُ أن
يُقَالَ وإنْ كانَ حقًّا ؟ فقال : مدحُ الإنسانِ نفسهُ .

جلس بعضُ الزُّهَّادِ إلى تاجرٍ ليشتري منه شيئاً ،
فمرَّ به رجلٌ يَمْعُرُفه ، فقال للتاجرِ : هذا فلانُ الزَّاهدُ

فأرخص ما تبعه منه . فغضب الزاهد وقام وقال :
إنما جننا لنشري بدراهمنا لا بمذاهبنا .

قيل لبعضهم : ما الشيء الذي لا يستغنى عنه في
حال من الأحوال ؟ فقال : التوفيق .

قيل لبعض من يطالب الأعمال : ما تصنع ؟ قال :
أخدم الرجاء ، حتى ينزل القضاء .

قال بعضهم : أوسع ما يكون الكريم مغفرة ،
إذا ضاقت بالذنب المعذرة .

قال آخر : أمتع الجلساء الذي إذا عجبته عجب ،
وإذا فكته طرب ، وإذا أمسكت تحدث ، وإذا فكرت
لم يلمك .

قيل لبعضهم : متى يحمك الغنى ؟ قال : إذا
انصل بكرم . قيل : فمتى تدم القبطنة ؟ قال :
إذا اقترنت بلثوم .

قال مالك بن دينار (١) : من طالب العلم لنفسه
فالقليل يكفي ، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة .

(١) مالك بن دينار البصري الزاهد الراوية . توفي سنة ١٢٧ هـ .

قال رجلٌ لآخر : إني أتيتُكَ في حاجةٍ فإن شئتَ
قضيتها وكُنّا جميعاً كريمين ، وإن شئتَ منعتهَا وكُنّا
جميعاً لثيمين .

قال بعضُ النُّسَّاكِ : قد أعياني أنْ أنزلَ على رجلٍ
يَعلمُ أني لا أَكُلُ من رِزْقِهِ شيئاً .

قيل : مَثَلُ شُرْبِ الدَّوَاءِ مَثَلُ الصَّابُونِ
لِلثَّوْبِ يُنْقِئُهُ وَلَكِنْ يُخْلِقُهُ .

كان يقال : النظرُ يَحْتَاجُ إلى القَبُولِ ، والحسبُ إلى
الأدبِ ، والسُّرُورُ إلى الأمنِ ، والقُرْبى إلى المودة ،
والمعرفةُ إلى التجاربِ ، والشُّرفُ إلى التواضعِ والنَّجدةُ
إلى الجِدِّ هـ

قال بعضهم : أعناقُ الأمور تشابه في الغيوبِ ، فربَّ
مَحْبُوبٍ في مكروهٍ ومكروهٍ في محبوبٍ . وكم من
مُغْبُوطٍ بنعمةٍ هي داءٌ ، ومرحومٍ من داءٍ فيه شفاءٌ هـ .

وقيل : ربَّ خيرٍ في شرٍّ ، ونفعٍ في ضرٍّ .

قال ابنُ المقفَّعِ : الحسدُ خُلِقَ دنيً ، ومن دناءته
أنه يُوكَلِّلُ بِالْأَقْرَبِ فَأَلْأَقْرَبِ .

قال قتادة^(١) : أو كان أحد^٢ مكتفيا من العلم
لاكتفى نبي^٣ الله موسى عليه السلام إذ قال : « هل
أتبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشْدًا^(٢) » .
قال دغفل^٣ بن حنظلة^(٣) : إنَّ للعلم أربعاً :
آفةٌ ونكدٌ وإضاعةٌ واستجاعةٌ فأفقه النسيانُ ، ونكده
الكذبُ ، وإضاعته وضعه في غير موضعه ، واستجاعته
أنك لا تشيعُ منه .

قال بعضهم : عيادةُ النوكى الجلوسُ فوق القدر ،
والمجيء في غير وقت .

قال أكنم^٤ بن صيفي^٤ : « أحبُّ أن أكتفى كُلاً
أمر الدتيا . قالوا : وإن أسمنت وأنبنت ؟ قال :
نعم . أكرهُ عادة العجز . »

قال أبو عثمان^٥ : كتبَ شيخٌ من أهل الرِّيِّ على بابِ
داره : جزى اللهُ مَنْ لا يعرفُنَا ولا نعرفُه خيراً ، فأما

(١) قتادة بن دحامة المدوسي ، حافظ ثقة ، وعالم جليل ، توفي

سنة ٨١١٧ .

(٢) سورة الكهف : ٦٦ .

(٣) دغفل بن حنظلة الشيباني المدوسي ، نابة العرب .

أصدقائنا الخاصة فلا جزاهم الله خيرا ، فإننا لم نؤت قط إلا منهم .

قيل لرجل من أهل البصرة : مالك لا ينمى مالك ؟ قال : لأنني اتخذت العيال قبل المال ، واتخذ الناس المال قبل العيال .

كان خالد بن صفوان يكره المزاح ويقول : يصيب أحدهم أخاه ويصنعه بأشد من الحديد ، وأصلب من الجندل ، ويفرغ عليه أحر من الميرجل ثم يقول إنما مازحته .

كان يقال : لا ينبغي لعاقل أن يشاور واحدا من خمسة : القطان والغزال والمعلم وراعي الضأن ولا الرجل الكثير المحادثة للنساء .

قال رجل لابن عبد الرحمن بن عوف : ما ترك لك أبوك ؟ قال : ترك لي مالا كثيرا . فقال : لا أعلمك شيئا هو خير لك مما ترك أبوك ؟ إنه لا مال عاجز ، ولا ضياع على حازم ، والرقيق جمل ولا عبيد ، فاعليك من المال بما يعولك ولا تعولك .

وقيل لخريم الناعم (١) : ما النعمة ؟ فقال : الأمن ؛
فإنه ليس بالخائف عيش ؛ والغنى ؛ فإنه ليس لفقر
عيش . والصحة ؛ فإنه ليس لسقيم عيش قيل : ثم
ماذا ؟ قال : لا مزيد بعدها .

قيل : خير الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره .
أراد رجل الحج . فأتى شعبة بن الحجاج (٢)
فودّعه فقال له شعبة : أما إنك إن لم تَرَ الحِلْمَ ذِلاً ،
والسفة أنفًا سليم حجاً .

روى عن بعض الأئمة أنه قال : الإنصافُ راحةٌ ،
والإلحاحُ قِحةٌ ، والشحُّ شناعةٌ ، والتواني إضاعةٌ ،
والصحةُ بضاعةٌ ، والحياةُ وضاعةٌ ، والحرصُ مفقرةٌ ،
والدناءةُ محقرةٌ ، والبخلُ غلٌّ ، والفقرُ ذلٌّ ،
والسخاءُ قربةٌ ، واللؤمُ غربةٌ ، والذلةُ استيكانةٌ ،
والعجزُ مهانةٌ ، والأدبُ رياسةٌ ، والحزمُ كياسةٌ ،

(١) هو خريم بن عامر بن الحارث المري لقب بالناعم .
(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام ، شيخ البصرة ، والمحدث
الأشهر موصوف بالعلم والزهد والرحمة والقناعة ، كان رأساً في العربية
والشعر بجانب معرفته بالحديث . توفي سنة ٨١٦٠ .

والعُجْبَةُ هلاكٌ ، والصبرُ ملاكٌ ، والعجلةُ زللٌ ،
والإبطاءُ مَلَلٌ .

ثلاثةُ أشياء لا ثباتَ لها : المالُ في يدٍ من يذرُّ ،
وسحابةُ الصيفِ ، وغضبُ العاشقِ .

قيل للشَّيْبِلِي (١) : ما الفرقُ بينَ رقٍّ العبوديةِ ورقٍّ
المحبةِ ؟ فقال : كم بينَ عبدٍ إذا أُعتقَ صارَ حرّاً ،
وبينَ عبدٍ كُلِّما أُعتقَ ازدادَ رِقّاً ؟ .

قالوا : الزَّاهدُ في الدِّينارِ والدِّرهمِ أعزُّ من الدِّينارِ
والدِّرهمِ .

وقيل لمحمد بن واسع : كيف أنت ؟ قال : كيف
أكون ، وأنا إذا كنتُ في الصَّلَاةِ فدخلَ إنسانٌ غنيٌّ
أوسَّعُ له بخلافِ ما أوسَّعُ للفقيرِ .

سُئِلَ بعضهم : أيُّما أحمدُ في الصَّيِّ الحياءِ أم
الخوفُ ؟ فقال : الحياءُ لأنَّ الحياءَ يدلُّ على عقلٍ والخوفُ
يدلُّ على جبنٍ .

(١) الشَّيْبِلِي قيل اسمه دلف بن جندر وقيل : جعفر بن يونس ،
زاهد متصوف ، له مقامات وأحوال توفي سنة ٢٣٤ .

قالوا : ربَّ حَرْبٍ جُنَيْتَ بِلَفْظَةٍ ، وربَّ وُدٍّ
عُرس بلحظة .

شكا رجلٌ إلى بشر بن الحارث (١) كثرةَ العيالِ
فقال له : فرَّغكَ فلم تشكره ، فعاقبك بالشُّغلِ .
كان يُقال : إذا تزوّج الرجلُ فقد ركبَ البحرَ ،
فإن وُلِدَ له فقد كُسِرَ به .

قالوا : أصبرُ الناسَ الذي لا يُفشي سرَّهُ إلى صديقه
مخافةً أن يقعَ بينهما شيءٌ فيُفشيَه .

قالوا : ثمانيةٌ إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم :
الآتي طعاماً لم يُدْعَ إليه والمُتأمرُ على ربِّ البيتِ في
بيته ، وطالبُ المعروفِ من غيرِ أهله ، وراحي الفضلِ من
الثام ، والدّاخِلُ بين اثنين لم يُدْخلاه ، والمستخفُّ
بالسلطان ، والجالسُ مجلساً ليسَ له بأهلٍ ، والمقبلُ
بحديثه على من لا يسمعه .

قالوا : ثمرةُ القناعةِ الرَّاحةُ ، وثمرَةُ التَّواضعِ
المحبَّةُ ، وثمرَةُ الصبرِ الظَّفَرُ .

(١) بشر بن الحارث المروزي المشهور ببشر الحافي ، زاهد له
مناقب ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٢٧ هـ .

قال بعضهم : نحن في دهر الإحسان فيه من الإنسان
زِلَّةٌ ، والجميلُ غريبٌ ، والخيرُ بِدعةٌ ، والشفقةُ
مَلَقٌ . والدعاءُ صِلَةٌ ، والثناءُ خِداعٌ ، والأدبُ
مَسْأَلَةٌ ، والعلمُ شَبَكَةٌ ، والدينُ تَلْبِيسٌ ، والإخلاصُ
رِياءٌ ، والحكمةُ سَفَهٌ ، والقولُ هَذَرٌ ، والإطراقُ
ترهيبٌ ، والسكوتُ نفاقٌ ، والبدلُ مكافأةٌ ، والمنعُ حَرَمٌ
والإنفاقُ تبذيرٌ .

جلس رجلٌ إلى سهل بنِ هارونَ فجعل يُسَمِّعُه
كلاماً سخيلاً من صنوفِ الهزلِ ، فقال له : تنح عني ؛
فإنه لا شيءٌ أَمِيلُ إلى ضده من العقلِ .

قيل لبعض العلماء : أيُّ عِلَقٍ (١) أنفَسُ ؟
فقال : عقلٌ صُرِفَ إليه حظٌ .

قالوا : الاعتبارُ يفيدُكَ الرِّشَادَ ؛ وكَفَاكَ أدباً
لنفسك ما كرهتَ من غيرك . ابجَزَعْ من أعوان الزَّمانِ .
الحدودُ حارسُ الأعراضِ . العفوُ زكاةُ القلبِ . اللطافةُ
في الحاجةِ أجدى من الوسيلةِ . مَن أشرفَ أفعالِ الكريمِ
غَفَلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ .

(١) العلق : النفيس من كل شيء .

احتمالُ نخوةِ الشَّرَفِ أشدُّ من احتمالِ بَطَرِ
الغِنَى وذِلَّةِ الفقرِ مانعةٌ من الصَّبرِ .

قيل لبعضهم : مَنْ أبعدُ النَّاسِ سَفَرًا ؟ قال :
من كان في طلبِ صديقٍ يرضاه .

قال يونسُ بنُ عُبيد (١) : أعياني شيئان : درهمٌ
حلالٌ وأخٌ في الله . .

استشارةُ الأعداءِ من بابِ الخذلانِ .

قالوا : إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ هلاكًا أهلكه برأيه ،
وما استغنى أحدٌ عن المشورةِ إلا هلكَ .

قال أكمُّ بنُ صيفيٍّ : الحرُّ لا يكونَ صريعَ بطنه
ولا قرَجِه .

قيل : سِتُّ خِصَالٍ تُعَرِّفُ في الجاهلِ : الغَضَبُ
من غيرِ شيءٍ ، والكلامُ في غيرِ نفعٍ ، والعَطِيَّةُ في
غيرِ موضعٍ ، ولا يعرفُ صديقهُ من عدوه . وإفشاءُ
السِّرِّ ، والثَّقةُ بكلِّ أحدٍ .

(١) يونس بن عبيد بن دينار حدث عن أنس ، وتوفي سنة ٥١٢٩ هـ .

قال محمد بن واسع : إني لأغبط الرجل ليس له شيء
وهو راضٍ عن الله .

قالوا : سوء العادة كمين لا يؤمن .

التجني وافد القطيعة .

مِنكَ مَنْ نَهَاكَ ، وليس منك مَنْ أَغْرَاكَ .

يا عجباً من غفلة الحُسَّادِ عن سلامة الأجسادِ .

من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في عدوه
ما يسره .

تُورَثُ الضغائنُ كما تورثُ الأموالُ .

كم من عزيزٍ أذله خسرته ، وعزيزٍ أذله خائضته .

لا يصلحُ التَّائِمُ لأحدٍ ولا يستقيمُ إلا من فَرَّقٍ أو
حاجةٍ ؛ فإذا استغنى أو ذهبَتِ الهيئَةُ عادَ إلى جَوهره .

قل لبعضهم : ما أبقى الأشياءُ في أنفسِ الناسِ ؟

قال : أمّا في أنفسِ العلماءِ فالندامةُ على الذنوبِ ،
وأمّا في أنفسِ السفهاءِ فالخقدُ .

إذا انقضى مُلكُ القومِ جُبِنُوا في آرائِهِمْ .

الضعيفُ المحترسُ من العدو القوي أقربُ إلى السلامة
من القوي المغترّ بالعلو الضعيف .

الحزنُ سوءُ استكانةٍ والغضبُ لثومُ قدرةٍ .
كل ما يؤكلُ يَنْثُنُ ، وكلُّ ما يُوْهَبُ يَأْرَجُ (١) .
لا يصعبُ على القوي حملُ ، ولا على اللّيب عملُ ،
ولا على المتواضع أحدُ .

الطرشُ في الكرام ، والهَوَجُ والشجاعةُ في الطوال ،
والكَيْسُ في القصارِ والملاحهُ في الحولِ ، والنُّبْلُ
في الرُّبْعَةِ ، والدِّكَاةُ في الحُرْسِ ، والكِبَرُ في العُورِ ،
والْبَهْتُ في العميانِ .

بالكُفَّةِ يُكْتَسَبُ الأصدقاءُ وبكلِّ شيءٍ يُمكنُ
اكتسابُ الأعداءِ .

أفقرُ الناسِ أكثرُهم كسباً من حرامٍ ؛ لأنه استدانَ
بالظلمِ مالا بدَّ له من ردّه ، وأنفدَ في اكتسابه أيامَ
عُمُرِهِ ، ومنعَه في حياته من حقّه ، وكان خازناً لغيره ،

(١) يَارِجُ : يفوح طيبه .

واحتملَ الدّينَ على ظهره ، وطُوبَ به في حين
فقْرِهِ .

الأمُّ النَّاسِ من سعى بإنسانٍ ضعيفٍ إلى سلطانٍ جائِرٍ .
أعسرُ الحيلِ تصويرُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ عند
العاقلِ المُتميِّزِ .

الرّيبةُ ذلٌّ حاضِرٌ ، والغَيْبَةُ لَوْمٌ باطنٌ .
القلبُ الفارغُ يبحثُ عن السّوءِ ، واليدُ الفارغةُ
تنازِعُ إلى الإثمِ .

لا يَصْرِفُ القضاةُ إلّا خالقُ القضاةِ .

لا كثيرٌ مع إسرافٍ ، ولا قليلٌ مع احتِرافٍ ،
ولا ذنبٌ مع اعترافٍ .

من كلِّ شيءٍ يقدرُ أن يُحَفِّظَ الجاهلُ إلّا من
نفسه .

المتعبِدُ على غيرِ فقهٍ كحمارِ الرّحى يدور ولا يَبْرَحُ .
المحرّومُ من طالَ نَصَبُهُ ، وكان لغيره مَكْسَبُهُ .
كيفَ يحبُّ الدّنيا من تغرُّه ، وتسوّفه أكثرَ ممّا تسرُّه .

مع العجلة الحِظَارُ ، وربما خَطِيء المخاطرُ
بالقضاء .

شرُّ أخلاقِ الرجالِ البخلُ والحبُّن وهما خيرُ
أخلاقِ النساءِ .

إذا جاءَ زمانُ الخِذلانِ انعكستِ العقولُ .

سَعَة السِّمَاءِ أحدُ الحِصْبَيْنِ ، وكثرةُ المالِ عند
البِخْلَاءِ أصعبُ الجَدْبَيْنِ .

من سوءِ الأدبِ مؤانسةُ من احتشمَكَ ، وكشفُ
خَلْتِه من سَتَرِهَا عندَكَ ، والتزوعُ إلى مشورةٍ لم
تُدْعَ إليها .

قال إبراهيمُ التيميُّ (١) : نِعَمَ القومُ السُّؤالُ ؛
يدقُّون أبوابكم ويقولون : هل تُوجِّهون إلى الآخرةِ
شيئاً بشيءٍ ؟ .

* * *

(١) إبراهيم بن أبي يزيد التيمي العابد ، قتله الحجاج سنة ٨٩٢ .

الباب الخامس

جِنْسٌ "آخِرُ" مِنَ الْأَدَبِ وَالْحَيَاكَةِ .
وَهُوَ مَا جَاءَ لِمَقْظَاهُ عَلَى لَفْظِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

كَانَ يُقَالُ : إِذَا غَضِبَ الْكَرِيمُ "فَالَيْنَ" لَهُ الْكَلَامُ ،
وَإِذَا غَضِبَ اللَّئِيمُ "فَعِزُّهُ" لَهُ الْعَصَا .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : غَضِبَ الْعَاقِلُ فِي فِعْلِهِ ، وَغَضِبَ
الْجَاهِلُ فِي قَوْلِهِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ وَقَدْ رَأَى رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فَيُكْثِرُ :
أَنْصَفْ أذْنِيكَ مِنْ فَمِكَ ، فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذنان
وَفَمٌ وَاحِدٌ لِتَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا تَقُولُ .

قَالُوا : دَعِ الْمَعَاذَ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا مَتَفَاجِيرٌ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ (١) : دَعِ الْإِعْتِذَارَ فَإِنَّهُ
يَخَالِطُهُ الْكَذِبُ .

(١) إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ : فقيه العراق ، توفي سنة ٨٩٦ عن تسع وأربعين

سنة .

قالوا : مكتوبٌ في الحكمة : أشكرُ لمن أنعمَ عليك ،
وأنعمُ على من شكركَ .

قال إبراهيمُ النخعيُّ : سلْ مسألةَ الحَمَقَى ، واحفظْ
حِفْظَ الأكْيَاسِ . يعني العِلْمَ .

قالوا : مُرُوا الأحداثَ بالمِراء ، والكهولَ بالفكرِ ،
والشيوخَ بالصمتِ .

وقال : عودُ نَفْسِكَ الصَّبْرَ على جَلِيسِ السوءِ ؛
فإنَّه لا يكاد يُخْطِئُكَ .

قال محاتمُ لعديِّ ابنِهِ : يا بُنَيَّ إني رأيتُ الشرَّ
يتركُكَ إِنْ تركْتَهُ ، فاطرْكْهُ .

وكان يقال : لا تطلبوا الحاجةَ إلى ثلاثةٍ : إلى كَنُوبٍ ،
فإنَّه يقرِّبُها وإن كانت بعيدةً ويباعدُها وهي قريبةٌ ،
ولا إلى أحقٍّ ؛ فإنَّه يريدُ أن ينفعَكَ فيضركَ ؛ ولا إلى
رجلٍ له إلى صاحبِ الحاجةِ حاجةٌ ، فإنَّه يجعلُ حاجتَكَ
وقايةً لحاجتهِ .

وقالوا : لا تصرفْ حاجتَكَ إلى مَنْ معيشتُهُ من
رؤوسِ المكاييلِ والسنةِ الموازينِ .

وكان يقال : إيتاك وصدر المجلس وإن صدرك
صاحبهُ ، فإنه مجلسٌ قُلْعَةٌ (١) .

قالوا : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، والشم
إذا شبع .

قال بعضهم : سيرك دمك ؛ فلا تُجربنهُ في غير
أوداجيك .

كان يقال ، إيتاك وعزة الغضب ؛ فإنها تُصيرك
إلى ذلّة الاعتذار .

قال بعضهم : إذا أرسلت لثأقي بغير غلاتٍ بتمرٍ ،
فيؤكل تمرُك ، وتعنفَ على خلافاك .

قالوا : إذا وقع في ياك يومُ السرور فلا تُخلِه
فإنك إذا وقعت في يدِ يومِ الغم لم يُخلِك .

قالوا : إذا أردت أن تُؤاخي رجلاً فانظر مَنْ
عدوه . وإذا أردت أن تعادي رجلاً فانظر مَنْ وليُّه .

قيل : إذا قللت أحداً مهماً فمُجَلِّ له منفعَةٌ ،
وأجمل له في العِدَّةِ ، وأبسط له في المُنيَّةِ .

(١) فُلْمَة : يتحول عنه .

قال بعضهم : الانقباضُ من الناسِ مكسبةٌ للعداوة ،
والانبساطُ مجلبةٌ لقرينِ السَّوءِ ، فكنْ بينَ المنقبضِ
والمسترسلِ ؛ فإن خيراً الأمورِ أوساطُها .

كان يقال : اجعلْ عمرَكَ كَنَفَقَةٍ دُفِعَتْ إِلَيْكَ .
فأنتَ لا تحبُّ أن يذهبَ ما تُنفِقُ ضياعاً ، فلا تُذهبْ
عمرَكَ ضياعاً .

قيل : مَنْ أظهرَ شُكرَكَ فيما لم تأتِ لِيهِ فاحذرْ
أنْ يكفُرَكَ فيما أُسديتَ لِيهِ .

لا تستعنْ في حاجتكِ بمن هو للمطلوبِ أنصحُ منه لك .
لا يؤمنُ منكَ من شيرِ جاهلٍ قرابةٌ ولا إلفٌ ، فإن
أخوفَ ما تكونُ لحريقِ النارِ أقربُ ما تكونُ منها .
لا ترفعْ نفسَكَ عن شيءٍ قربَكَ إلى رئيسِكَ .
كنْ في الحرصِ على تفقدِ عيبِكَ كعدوكِ .
عليكَ بسوءِ الظنِّ فإنْ أصابَ فالخزمُ ، وإنْ
أخطأَ فالسلامةُ .

رضا الناسِ غايةٌ لا تُلركُ ، فتحراً الحيرُ يجهدك ،
ولا تكرهُ سُخطَ مَنْ يرضيه الباطلُ .

إذا رأيت الرجلَ على باب القاضي من غير حاجةٍ
فاتهمه .

رأى رجلٌ ابنه يماكسُ في ابتياعِ لحمٍ ، فقال :
يا بني ، سَاهِلٌ فيما تُضَيِّعُهُ من عِرْضِكَ أَكْثَرُ مما
تناله من غَرْضِكَ .

وقال بعضهم : الدَّيْنُ رِقٌ ، فلا تبدلْ رِقَّكَ
لمن لا يعرفُ حَقَّكَ .

وقال بعضهم : احذَرْ كُلَّ الحَذِرِ أَنْ يَخْدَعَكَ
الشَّيْطَانُ فَيُمَثِّلَ لَكَ التَّوَانِي فِي صُورَةِ التَّوَكُّلِ ،
ويورثَكَ الهُوبَ بِالْإِحَالَةِ عَلَى الْقَادَرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا
بِالتَّوَكُّلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحِيلِ ، وبِالتَّسْلِيمِ لِلْقَضَاءِ بَعْدَ
الإِعْذَارِ فقال : (خُذُوا حِذْرَكُمْ) (١) (وَلَا
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (٢) .

وقال النبي عليه السلام : « اِعْثِيلْ وَتَوَكَّلْ » .

(١) سورة النساء : ٧١ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٥ .

قالوا : لتكن عنايةُك بحفظ ما اكتسبتَه كعنايتك
بإكتسابه ، ولا تصحب غنياً ؛ فإنَّك إن ساويتَه في
الإتفاق أضربك ، وإن تفضل عليك استدلك .

إذا سألت كريماً حاجةً فدعه يتفكر ؛ فإنه
لا يفكر إلا في خير . وإذا سألت لثيماً حاجةً فغافضه (١)
ولا تدعه يتفكر فيتغير . وفي صدِّ ذلك : إذا سألت
لثيماً حاجةً فأجله حتى يروض نفسه .

العلوُّ عدوان : عدوُّ ظلمته ، وعدوُّ ظلمتك . .
فإن اضطرك الدهرُ إلى أحدهما فاستعن بالذي ظلمك ؛
فإن الآخرَ مَوْنورٌ .

لا تستصغرن أمرَ عدوك إذا حاربتَه ، لأنَّك إن
ظفرتَ به لم تُحمَد ، وإن ظفرك لم يُعْذَر ، والضعيفُ
المحتسِرُّ من العلوِّ القويِّ أقربُ إلى السلامة من القويِّ
المغترِّ بالضعيف .

لا تصحب من يحتاجُ أن تكتمه ما يعرفه الله منك .
صنِّ الاسترسال منك حتى تجد له مُستحقاً ،
واجعل أنسأك آخرَ ما تبدله من وُدِّك .

(١) غامض : أخد على غرة .

قال آخرُ : لا تجاهدِ الطالبَ جهادَ المغالبِ ، ولا
تتشكّلِ انكسارَ المستسلمِ ؛ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ من السُّنةِ ،
والإجمالَ في الطالبِ من العِفةِ . وليستِ العِفةُ بدافعةٍ
رزقا ، ولا الحرصُ بحالبٍ فضلا .

سمعَ بعضهم إنساناً يتكلمُ بما لا يعنيه فقال له : يا هذا
إنما تُسملي على حافِظيّك ، وتكتبُ إلى ربّك ؛ فانظرْ
على مَنْ تُسملي ، وإلى مَنْ تكتبُ .

قال بعضهم : أقيمِ الرغبةَ إليك مقامَ الحرمةِ بك ،
وعظمِ نفسك عن التعظيمِ ، وتطولُ ولا تتطاولُ (١) .

قال آخرُ : عامِلُوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضَةِ ،
والأوساطَ بالرغبةِ والرّهبةِ والسّفلى بالهوانِ .

كُنْ لِلْعَدُوِّ المَكاتِيمَ أَشدَّ حَذَرًا مِنْكَ لِلْعَلُوِّ المَبَارِزِ .

قال سلمُ بنُ قُتَيْبَةَ (٢) : لأهل بيته : لا تَمَازِحُوا

(١) التطولُ : التفضلُ ، والتطاولُ : الترفعُ على الناسِ ، والتطولُ
مدوحٌ ، والتطاولُ مذمومٌ .

(٢) سلم بن فتيّة الباهلي : قائد ولي خراسان أيام هشام وولاه
المنصور البصرة مات سنة ١٥٩ .

فبستخفَّ بكم الموقَّةُ . ولا تاخلوا الأسواقَ فتدِقْ
أخلاقكم ولا ترَجَّلُوا فيزدريكم أكفأؤكم .

قال آخرُ : احفظْ شيئاً ممن تستحي أن تسأله عن
شيءٍ لِنُ ضاعَ لك .

إذا كنتَ في مجلسٍ فلم تكنِ المحدثَ ولا المحدث
فقم .

قالوا : لا تُدخِلْ في مشورتك بخيلاً فيقصُر
بعقلك ، ولا جبناً فيخوفك مالا يخاف .

قال ابنُ المقفَّعِ : الختمُ حتمٌ ، فإذا أردتَ أن
تختمَ على كتابٍ فأعدِ النظرَ فيه فإنما تختمُ على عقلك .

كان يقال : إذا قال أحدكم : والله . فليَنظُرْ
ما يضيفُ إليها .

دخلَ عبدُ العزيزُ بنُ زُرارةَ الكلابيُّ على معاويةَ
فقال : يا أميرَ المؤمنينَ جالسِ الألباءِ ، أعداءُ كانوا
أو أصدقاء ، فإنَّ العقلَ يقعُ على العقلِ .

كان بعضهم يقول : أحيوا الحياةَ بمُجالسةِ مَنْ
يُسْتَحْيَا منه .

كان يقال : إذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه
من صديق .

قال العباس بن الحسن العلوي (١) : أعلم أن
رأيتك لا يتسع لكل شيء ، ففرغه للمهم من أمورك ،
وأن مالك لا يغني الناس كائهم ، فانحصص به أهل
الحق ، وأن كرامتك لا تطبق العامة ، فتوخ بها أهل
الفضل ، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حوائجك
فأحسن قيسمتك بين عمالك ودعائك .

وكان يقال : أحيوا المعروف بأماتته .

وقال قيس بن عاصم (٢) : يابني اصحبوا من
يذكر إحسانكم إليه وينسى أباديه لديكم .

وكان مالك بن دينار يقول : جاهدوا أهواءكم كما
تجاهلون أعداءكم .

إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم .

* * *

(١) العباس بن الحسين العلوي شاعر بني هاشم وأديبهم . عاش في
عصر الرشيد .

(٢) قيس بن عاصم المنقري أسلم سنة ٥٩ هـ ، وكان مشهوراً بالحلم ،
وهو من حرموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية .

أراد رجلٌ سفرًا فقال له بعضهم : إنَّ لكلَّ رفقةٍ
كأبٍ يَشْرُكُهُمْ في فضلةِ الزَّادِ ، ويَهْرُ دُونَهُمْ ، فإن
قدرتَ ألا تكونَ كلبَ رفقتِكَ فافعلْ ، وإيَّاكَ وتأخيرَ
الصَّلاةِ عن وقتِها فإنَّك مُصَلِّيها لامحالةٍ ، فصَلِّها وهي
تُقْبَلُ منك .

قال ابنُ السَّماكِ : إنَّ مِنَ النَّاسِ ناساً غَرَّهُمُ
السَّيْرُ ، وَفَتَنَهُمُ الشَّيْءُ . فلا يَغْلِبُنَّ عَلَيْكَ جَهْلُ
غَيْرِكَ بِكَ عِلْمِكَ بِنَفْسِكَ .

قيل : لا تُثِقَنَّ كُلَّ الثِّقَةِ بِأَخِيكَ ، فإنَّ صرعةَ
الاسترسالِ لا تُسْتَقَالُ .

من أمثال التُّركِ : اسكُتْ تَرْبِحْ ماعندَكَ ، وشاورْ
تَرْبِحْ ماعندَ غَيْرِكَ .

قيل : لا تُكِنَّ مِثْلَ مَنْ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ
ولا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ انتقمْ من الحرصِ بالقناعةِ كما
يُنْتَصَرُ من العدوِّ بالقصاصِ .

أوصى أَبُو الهُدَيْلِ (١) أصحابه فقال : لا تدخلوا

(١) أَبُو الهُدَيْلِ هو مُحَمَّدُ بْنُ الهُدَيْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، مشهور بكُنْيته وهو
شيخ المعتزلة توفي سنة ٢٣٥ هـ .

في الشهادة فتصيروا أسراء الحكام . ولا في القضاء ،
 فإن فرحة الولاية لا تنفي بترحة العزل ، ولا في رواية
 الحديث فيكذبكم الجهال والصبيان ، ولا في وصية
 فيطعن عليكم بالخيانة ، ولا في إمامة الصلاة فمن
 شاء صلى وراءكم ومن شاء لم يصل . وقال : لا تجالسوا
 من لا يوثق بدينه وأمانته ، ولا تبدأوا المخالفين بالسلام
 فإنهم إن لم يجيبوا تقاصرت إليكم نفوسكم ولحقنكم
 نخجلة .

عود نفسك السباح ، وتخير لها من كل خلق
 أحسنه ، فإن الخير عادة ، والشر إجابة ، والصدود
 آية المقت ، والعالي آية البخل .

كن سميحاً ولا تكن مبذراً ، وكن مقدراً
 ولا تكن مقشراً .

إياك والمرئقي السهل إذا كان المنحدر وعراً .

احترس من ذكر العائم عند من لا يريد ،
 ومن ذكر القديم عند من لا قديم له ، فإن ذلك يحدث
 التعشير ، وبالمحري أن تتخذ سلماً إلى الضغن عليك .

إذا زللتَ فارجيعٌ ، وإذا ندمتَ فأقلعٌ ، وإذا
أسأتَ فاندَمٌ ، وإذا مَننتَ فاكثُمٌ ، وإذا مَنعتَ
فأجملٌ . ومن يسلفِ المعروفَ يكنَ ربحُهُ الحمدَ .

اطلبِ الرِّحمةَ بالرِّحمةِ .

اتقِ العِثَارَ بحسنِ الاعتبارِ .

لا تستأنسَ بمن لم تسبُلْ خلائِقَهُ .

لا تأمنِ العدوَّ على حالِ .

لا تفرحِ بالرجاءِ فإنه غرورٌ ، ولا تتعجلِ الغمَّ بالخوفِ
فإنه شكٌ .

حاسبِ نفسَكَ تسليماً وتسعيراً .

ان يخلو أحدٌ من ذمٍّ ، فاجهدْ أن تخلو من ذمٍّ
الأنخياري .

حاربِ عدوكَ ما حاربَكَ بشخصِهِ ، فإذا أخفى
شخصَهُ فاحرُسْ نفسك منه ، لأنَّ مَنْ يعلمُ أنه
لا ينجيهِ منك إلا الموتُ لا ينجيكَ منه إلا مثلُ ذلك ،
والمستسلمُ للموتِ لا يبالي على ما أقدم .

احلرُ قَلتاتِ المِزاحِ وصرعاتِ البَغْيِ .

لا تجاهدِ الطَّلَبَ جهادَ المُغالِبِ ، ولا تتكلَّ على
القَدَرِ اتكالَ المُستَسَلِمِ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ سُنَّةٌ ،
وإجمالُ الطلبِ عِفَّةٌ ، وليستِ العِفَّةُ بدافعةَ رِزقا ،
ولا الحرصُ بجالبِ فضلا ، والرِزقُ مقدُورٌ والأجلُ
موقوفٌ ، وفي استعجالِ الحريصِ اكتسابُ المآثمِ .
لا تشبهنَّ رضاكَ بغضبكَ ، فتكون ممَّن لا يضرُّ
غضبه ولا ينفعُ رضاه .

اغتنمِ العملَ مادامت نفسُكَ سليمةً ، واجعلْ كلَّ
ساعةٍ بشغلها لاخرتك غنيمةً .

لا تكوننَّ لغيرِ الله عبداً ما وجدت من العبودية بُدأ .
احمِ نفسَكَ القُنوطَ ، واتَّهمِ الرجاءَ .
لا تُغيِّرْ أخاكَ واحمدِ الذي عافاك .

انظر ما عندك فلا تَضَعه إلا في حقِّه ، وما ليس عندك
فلا تأخذه إلا بحَقِّه .

احتملْ مِمَّنْ أدلَّ عليكَ ، واقبَّلْ مِمَّنْ اعتذرَ إليك .

لِيَكُنْ عَمَلُكَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَعْدائِكَ الْعَدْلَ ،
وَفِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَصْدِقائِكَ الرِّضاهُ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ خِصْمٌ
تَصْرِفُهُ بِالْحِجَّةِ ، وَتَغْلِبُهُ بِالْحُكْمِ . وَالصَّدِيقُ أَيْسَ بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ قَاضٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ رِضاهُ وَحُكْمُهُ .

إِذا أَرَدْتَ أَنْ تَحْدَعَ النَّاسَ فَتَغَابَ عَلَيْهِمْ .
إِذا صَافاكَ عَدُوُّكَ رِياءً مِنْهُ فَتَلَقَّ مِصَافاتِهِ إِيَّاكَ
بَأَوْكَدِ مَوَدَّةٍ ، فَإِنَّهُ إِذا أَلْفَ ذَلِكَ وَاعْتادَهُ خَلَصَتْ
لَكَ مَوَدَّتُهُ .

فَكثُرَ قَبْلَ أَنْ تَعْزِمَ ، وَأَعْرَضَ قَبْلَ أَنْ تَصْرِمَ ،
وَتَدَبَّرَ قَبْلَ أَنْ تَهْجُمَ ، وَشاورَ قَبْلَ أَنْ تُقَدِّمَ .

* * *

الباب السادس

جِنْسٌ آخَرُ مِنْ الْحِكْمِ وَالْأَمثالِ وَالْآدَابِ وَهُوَ
مَا كَانَ فِي أَوَّاهٍ « مَتْنٌ »

مَنْ كَثُرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ كَثُرَ عَدُوُّهُ .

مَنْ يَصْحَبُ الزَّمَانَ يَرِ الْهُوانَ .

مَنْ لَمْ يَمْتَ لَمْ يَفُتْ .

مَنْ صَدَقَ النَّاسَ كَرِهَهُ .

مَنْ يَطُلُ ذَيْلُهُ يَنْتَطِقُ بِهِ .

مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غُصَّ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ نَوَ
غُصَّ بِغَيْرِهِ أَجَازَ بِهِ غُصَّتَهُ .

مَنْ أَكْثَرَ أَسْقَطَ .

مَنْ اتَّبَعَ غِيَّ النَّاسِ كَانَ أَغْوَى .

مَنْ لَقِيَ النَّاسَ بِمَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ .

مَنْ أَحَبَّ الذِّكْرَ فَلَيْسَتْ عَمَلِ الصَّبْرِ .

وَمَنْ شَحَّ عَلَى دِينِهِ فَلَيْسَتْ تَعْمَلُ الْخُوفَ ، وَمَنْ ضَنَّ
بِعِرْضِهِ فَلَيْسَتْ عَنْ الْمِرَاءِ .

مَنْ صَفَا قَلْبُهُ صَفَا لِسَانُهُ .

مَنْ خَلِطَ خُلُطَ لَهُ .

مَنْ لَمْ يَضِنَّ بِالْحَقِّ عَنْ أَهْلِهِ فَهُوَ عَيْنُ الْجَوَادِ .

وَقَالَ الصَّادِقُ (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَيْقَظَ .
فِتْنَةً فَهُوَ أَكْلُهَا .

وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ
اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنْ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ
النَّارِ كَفَّ عَنْ الْمَحَارِمِ ، وَمَنْ زَهَّدَ فِي الدُّنْيَا تَهَاوَنَ
بِالْمَصَائِبِ ، وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرِ .

وَقَالُوا : مَنْ اسْتَغْنَى كَرُمَ عَنْ أَهْلِهِ .

مَنْ قَرَّبَ السَّفِيلَةَ وَاطَّرَحَ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ
اسْتَحَقَّ الْحَيْدَ لَانَ .

(١) جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أحد الأئمة الاثني عشر عند

الشيعة ، سيد بني هاشم في زمانه توفي سنة ١٤٨ هـ .

من انتقم انتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن شفا
غِيظَه لم يُدْكَرْ في النَّاسِ فَضْلُهُ .

من كظم غيظه فقد حلّم ، ومن حلّم فقد
صبر ، ومن صبر فقد ظفّر .

من طلب الدنيا بعمل الآخرة خسرهما ، ومن
طلب الآخرة بعمل الدنيا ربحهما .

قال بعضهم : مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ أَرْبَعِ حُرْمَةٍ
اللَّهُ عَلَى النَّاسِ : حِينَ يَغْضَبُ وَحِينَ يَرْغَبُ ، وَحِينَ
يَرْهَبُ ، وَحِينَ يَشْتَهِي .

قال بكر بن عبد الله : مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ
وَاعِظٌ عَارِضُهُ سَاعَةَ الْغَفْلَةِ وَحِينَ الْحَمِيَّةِ .

من أمتل أحداً هابته ، ومن قصر عن شيء عابه .

قيل لحكيم : مَنْ أَسْوَأُ النَّاسِ حَالاً ؟ قَالَ : مَنْ لَمْ
يُثِقْ بِأَحَدٍ لِسَوْءِ ظَنِّهِ ، وَلَا يَثِقُ بِهِ أَحَدٌ لِسَوْءِ أَثَرِهِ .

قيل لبعضهم : مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : مَنْ
كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عِنْدِي قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ؟ قَالَ : مَنْ
كَثُرَتْ أَيْدِي عِنْدَهُ .

كَانَ يُقَالُ : مَنْ طَالَ صِمْتُهُ اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ
مَا يَنْفَعُهُ ، وَمَنِ الْوَحْشَةُ مَا لَا يَضُرُّهُ .

مَنْ طَلَبَ مَوْضِعًا لِسِرِّهِ فَقَدْ أَفْشَاهُ .

قِيلَ لِلْحَكِيمِ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشًا ؟ فَقَالَ :
مَنْ كَفَّيَّ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَلَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ .

وَقِيلَ : مَنْ زَادَ عَقْلُهُ نَقَصَ حَظُّهُ . وَمَا جَعَلَ
اللَّهُ لِأَحَدٍ عَقْلًا وَافِرًا إِلَّا احْتَسَبَ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ .
مَنْ قَالَ : لَا أُدْرِي . وَهُوَ يَتَعَلَّمُ أَفْضَلُ مِنْ
يَدْرِي وَهُوَ يَتَعَظَّمُ .

مَنْ انْتَحَلَ مِنَ الْعِلْمِ الْغَايَةَ لَمْ يَكُنْ لَجْهَلِهِ نِهَايَةً .

مَنْ يَدَّعِ الْعِلْمَ جُلَّةً أَعْقَلَ مَنْ يَدَّعِيهِ كَلَّةً .
مَنْ جَاعَ بَاعَ .

مَنْ أَحْسَنَ الْاسْتِمَاعَ اسْتَعْجَلَ الْانْتِفَاعَ .

مَنْ حَلَّمَ سَادَ . مَنْ اعْتَرَفَ بِالْخَرِيرَةِ فَقَدْ اسْتَحَقَّ
الْغَفِيرَةَ (١) .

(١) الْغَفِيرَةُ وَالنَّفْرَانُ يَمْنَى وَاحِدٌ .

من رَغِبَ عن الإخوانِ جَسُرَ على الزَّمانِ .
 من اتَّبَعَ هواهُ أَضَلَّهُ .
 من جَهَلَ الذَّعَمَ عَرَفَ النُّقْمَ .
 من كانت له فِكْرَةٌ فَلَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِبْرَةٌ .
 من انْتَهَزَ الفرصَةَ آمِنَ الغُصَّةَ .
 من سَكَتَ فسلِمَ كان كَمَنَ قال فَغَنِمَ .
 من كَرِهَ النِّطَاحَ لَمْ يَنْلِ النَّجَاحَ .
 من كان له مِنْ نَفْسِهِ واعِظٌ كان له مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ .
 من كَسَاهُ الحَيَاءُ ثوبَهُ ، حَجَبَ عن العِيونِ عَيْبَهُ .
 من كَرَّمَ مَحْتَدَهُ حَسَّنَ مَشْهُدَهُ .
 من خَبُثَتْ عُنُصْرُهُ سَاءَ مَحْضَرُهُ .
 من خَانَ هَانَ .
 من أَدْمَنَ قَرَعَ ابْنَابٍ وَلَاحَ .
 من اسْتَوْطَأَ مَرْكَبَ الصَّبْرِ فَلَجَ (١) .
 من أَخَذَ فِي أُمُورِهِ بِالاحتِياطِ سَلِمَ مِنَ الاختِلاطِ .
 من نَشَرَ صَبْرَهُ طَوَى أَمْرَهُ .

(١) فلج : نفق .

من امتنَّ بمعروفه أفسدهُ .
 من قلَّ حياؤه كثرَ ذنبه .
 من لانَ عوده كثرَت أغصانهُ .
 من حسنَ خلقه كثرَ إخوانه .
 من يبترى بصيرتك من العمى أكملُ ممَّن يُصيحُ
 بصرك من القذى .
 من غرَّه الشبابُ تقطعت به الأسبابُ .
 من ختمَ البيضاةَ أمينَ الإضاءةِ .
 من نظَّرَ بعينِ الهوى حارَّ ، ومن حكَّم بعُكُمِ
 الهوى جارُ .
 من ساءَ خلقه عذَّبَ نفسه . من أحبَّك نهاك ،
 ومن أبغضك أغراك . . من أحسنَ الاعتذارَ استوجبَ
 الاعتفَارَ .
 من طال صبره ضاقَ صدره .
 من احتاجَ إليك ثقلَ عليك .
 من زرعَ شيئا حصَّدهُ ، ومن قدَّمَ خيرا وجدَّه .

من تنزّه عن المطامع لم يُعْتَبِدْ .
 من لم يحتمل بشاعة الدواء دام ألمه .
 من تعلّل بالمدى أفلس .
 من اغتاب خرقاً ، ومن استغفر رقعاً .
 من بخل عليك ببشره لم يجد عليك ببشره .
 من كَفَّ عنك شره فاصنع به ما سرّه .
 من تشاغل بالسّلطان لم يتفرّغ إلى الإخوان .
 من استغنى برأيه فقد خاطر .
 من عرف الأيّام لم يُغْفِل الاستعداد لها . من أحبّ
 من لا يعرفه وإنما يُسازح نفسه .
 من حصّن شهوته صان قدره . من ضاق خلقه
 مله أهله .
 من تقدّم بحسن النية بصيرة التوفيق . من قارب
 الناس في عقولهم سليم من غوائلهم . من التحفّ
 بالقناعة حاله العزّ
 من كانت له إلى الناس حاجة فقد خذل .

من عاجّ الشّوق لم يستبِعِدِ الدّارَ . من يزرع
الشّوك لا يحصد به العنب .

من اطمأنّ قبل الاختبارِ ندم .
من وصلك وهو مُعَدِمٌ (١) خيرٌ ممّن جفاك وهو
مُكثِرٌ .

من لم يَغْضِ على القمَدَي لم يَرْضَ أبداً .
من تقلّبتُ به الأحوالُ علم جواهر الرّجال .
من حفظ ماله فقد حفظ الأكرَمَيْن : الدّينَ
والعيرَ .

من تأدّب صَغيراً انتفع كبيراً .
من عدّلَ سَفِيها عَرَّضَ لَلشّتمِ نَفْسَهُ .
مَنْ زَنَى زُنْيَ به .
من عَتَبَ على الدهرِ طالتْ مَعْتَبَتُهُ .
من سألَ فوقَ قدرِهِ استحقَّ الحرمانَ .
من شتمَ حليماً رجعَ ذَمِيماً .
من كَفَرَ النّعمةَ مُنِعَ الزّيادةَ .

(١) المعدم : الفقير أو قليل المال .

من لم يدارِ عيشه مات قبل أجله .
من لاحى الرجال ذهب كرامته . من اتخذ
التقوى صاحباً كانت له رداء من الملمات .
من كتم الأطباء مرضه فقد غش نفسه .
من أحب أن يصرم أخاه فليقرضه ثم يتقاضاه .
من أحب لك شيء زال حبه بزواله .
من قال في الناس ما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون .
من طلب ما عند السلطان بالغلبة لم يزد منه
إلا بُعداً .

من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم
يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فقد حرمت غيبته ،
وكمالت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت
أخوته .

من استحيا من غيره ولم يستحجر من نفسه فليس
لنفسه عنده مقدار .

من أدب ولده صغيراً سر به كبيراً .

من كثرَ خيرُه كثرَ زائِرُه .

من أطالَ الحديثَ عَرَضَ نفسَه للملالة وسوء
الاستماع .

من أظهرَ شُكْرَكَ فيما لم تأتِ إليه فاحذر أن يكفُرَ
نعمتَكَ فيما أسديتَ إليه .

من تحدَّثَ بحديثٍ قبل أن يتدبَّرَه لم يسلمْ من عيبه .
من نظَرَ في العواقبِ لم يشفِ غيظَه .

من زوجَ كريمته من سفيهٍ فقد عَقَّها .
من منعَ برَّه قُلَّ أنصارُه .

من أطلقَ لسانَه أهدرَ دمه .

من تذكَّرَ قُدْرَةَ اللَّهِ عليه لم يستعملْ قُدْرَتَه في
ظلم عباده .

من منعَ النَّاسَ ما يريدُ منهم مثله ظلمَ نفسه .

من استقصى على النَّاسِ قُلَّ صديقُه ، ومن أغضى
على العوراء (١) سهْلَ طريقه .

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .

من نظر في دينه إلى من هو فوقه يستصغر عمله ،
ونظر في دنياه إلى من هو دونه ليستكثر ما أعطى فقد
وفق لحظته .

قال يحيى بن أكثم : من لم يرج إلا ما هو
مستوجب كان قميناً أن يدرك حاجته . من عرف
ثمار الأعمال فهو جدير ألا يغرس ألا طيباً . من
صحب الحكماء ظفر بحسن الثناء .

من اغتر بالعدو الأريب خان نفسه .
من عديم ماله أنكره أهله ومعارفه . من جانب
هواه صح رأيه .

من عاقب بريثا فنفسه عاقب .
من عرضت له بليّة رُحيم ، ومن جناها ذم .
من لم يجلس في شبيبته حيث يسهوى جلس في كبره
حيث لا يهوى .

من لم يركب المصاعب لم ينل الرغائب .
من كان أغلب حصاله عليه الإحسان اغتفرت
زكّته ، وأقيلت عشرته .

من ردَّ الكرامةَ نصبَ شرَّكاً وثيقاً للعداوة .
 من بخلَ بدينه عَظُمَ ربحُه .
 من قاهرَ الحقَّ قُهِرَ .
 من تركَ التَّوَقِّيَ فقدِ استسلمَ لِقضاءِ السَّوءِ .
 من لم تؤدِّ بهُ المواعظُ أدَّتْ بهُ الحوادثُ .
 من تعودَ الكفايةَ لم يعرفَ مقدارَ الرَّاحةِ .
 من لم يعرفَ قدرَه أوشكَ أن يَبدُلَ ، ومن لم يدبِّرْ
 ماله أوشكَ أن يَفْتَقِرَ .
 من رَقَّ وجهُه رَقَّ عِلمُه .
 من لم يتحرَّرْ بعقله من عقله هلكَ من قِبَلِ عقله .
 من حُرِّمَ العقلَ فلا خَيْرَ له ولا للنَّاسِ في حَيَاتِهِ ،
 ومن حُرِّمَ الجُودَ فلا خَيْرَ له ولا للنَّاسِ في سُلْطَانِهِ ،
 ومن حُرِّمَ الفهمَ فلا خَيْرَ له ولا للنَّاسِ في قَضَائِهِ .
 من رَضِيَ عنه الجميعُ المختلفونَ استحقَّ اسمَ
 العقلِ .

* * *

الباب السابع

في سياسة السُّلْطَانِ وَأَدَبِ الرَّعِيَّةِ

قال بعضُ الحكماء : إنَّ قلوبَ الرّعيّةِ خزائنُ
واليها فما أودعته وجدته فيها .

قالوا : صِنْفَانِ مُتَبَايِنَانِ : إنَّ صَلَاحَ أَحَدُهُمَا صَلَاحُ
الآخرُ : السُّلْطَانُ والرّعيّةُ .

قال بعضُ الحكماء : إذا صحبتَ السُّلْطَانَ فلتكنْ
مداراتك له مداراةَ المرأةِ القبيحةِ لزوجها ؛ فإنّها
لا تدعُ التّصنّعَ له في كلِّ حالٍ .

قال الأعمشُ : إذا رأيتَ العالمَ يأتي بابَ السُّلْطَانِ
فاعلمْ أنه ليص . قال بعضُ الحكماء : ليسُ غُثَّاقُ السُّلْطَانِ
بابَ الأُنسِ بينه وبين كُفَّاتِهِ الَّذِينَ تَنفُذُ أُمُورَهُمْ
في ملكه ؛ فإنَّ مؤانستَه إيّاهم تبعثُ عليه بهم الجرأةَ وعلى
الرّعيّةِ الغشمَ .

قالوا : صِنْفَانِ لو صلحا صلح جميعُ الناسِ الفقهاءُ
والأُمراءُ .

قيل : من دخل السلطان يحتاج أن يدخل أعمى
ويخرج أخرس .

قيل للعتابي : لم لا تقصدُ الأميرَ ؟ قال : لأنِّي
أراه يُعطي واحداً لغيرِ حسنةٍ ولا يد ، ويقتلُ آخرَ
بلا سبِّ ولا ذنبٍ ولستُ أدري أيَّ الرجلين أكونُ
أنا ، ولستُ أرجو منه مقدار ما أُنَاطِرُ به .

قيل : العاقلُ من طلبِ السلامةِ من عملِ السلطانِ ،
إن عَفَّ جَنَى عليه العفافُ عداوةَ الخاصةِ ، وإن بَسَطَ
جَنَى عليه البسطُ السنةَ العامةِ .

قال سعيدُ بن حميد : (١) مجلسُ السلطانِ كالحمامِ ؛
من فيه يريدُ الخروجَ ومن هو خارجٌ يريدُ الدخولَ
فيه .

ابنُ المقفَّع : إقبالُ السلطانِ تعبٌ ، وإعراضُه
مَذَلَّةٌ .

(١) سعيد بن حميد ، شاعر عباسي ، من أولاد الدهالين ، كان
فصيح اللسان وعاش إلى أيام الواثق .

قالوا : ينبغي للمالك أن يفتقد أمر خاصته في كل يوم ، وأمر عامته في كل شهر ، وأمر ساطانه في كل ساعة .

قال بعضهم : إذا كنت حافظاً للسلطان في ولايتك ، حذراً منه عند تقريبه لك ، أميناً له إذا ائتمنك ، تشكراً له ولا تكلفه الشكر لك ، تعالماً وكأنك تتعلم منه ، وتؤدبه وكأنه يؤدبك ، بصيراً بهواه ، مؤثراً لمنفعته ، ذليلاً إن ضاماك ، راضياً إن أعطاك ، قانعاً إن حرمتك ، وإلا فابعد منه كل البعد .

قال حكيم : محل الملك من رعيته محل الروح من البدن ، ومحل الرعيّة منه محل البدن من الروح . فالروح تألم لألم كل عضو من أعضاء البدن ، وسائرته لا يألم لألم غيره ، وفي فساد الروح فساد جميع البدن ، وقد يفسد بعض البدن وغيره من سائر البدن صحيح .

قال سهل بن هارون : ينبغي للنديم أن يكون كأنما خلق من قلب الملك ، يتصرف بشهواته ، ويتقلب ببلاداته ، إذا جدد جدد ، وإذا تطلق تطلق ، لا يمسك

المعاشرة ، ولا يسأمُ المسامرة ، وإذا انتشى تحفظ ،
وإذا صحا تيقظ ويكونُ كأنما لمره ، ناشراً لبره ،
ويكونُ للمليك دون العبد ، لأنَّ العبدَ يخدمُ نائباً والنديمُ
يحضرُ دائماً .

كان مسروقُ بنُ الأجدع (١) ينهى عن عملِ
السلطان ، فدعاه زيادٌ وولاه السلسلة ، فقيل له في ذلك ،
فقال : اجتمع عليَّ زيادٌ وشريحٌ والشيطانُ ، فكانوا
ثلاثةً وكنتُ واحداً فغابوني .

قيل لبعض من يتصرفُ مع السلطان : لا
تصحبهم (٢) ؛ فإنَّ مثلهم مثلُ قِدرٍ أسودَ كلما
مسّه إنسانٌ سرده . فقال : إن كان خراجُ القدرِ أسودَ
فإنَّ داخلتهُ لحمٌ سمينٌ ، وطعامُ الذئبة .

كان يُقال : لا سلطانَ إلاَّ برجالٍ ، ولا رجالٌ
إلاَّ بمالٍ ، ولا مالٌ إلاَّ بعمارةٍ ، ولا عمارةٌ إلاَّ بعديلٍ
ومحسنٍ سياسةٍ .

(١) مسروق بن الأجدع الهمداني ، أدرك الجاهلية ، وهو تابعي مات

سنة ٦٢ هـ .

(٢) أي السلاطين .

قال بعضُ المأوك في خُلبية : إنما نملكُ الأجسادَ
لا النِيَّاتِ ، ونحكمُ بالعدلِ لا بالرضا ، ونقصُ عن
الأعمالِ لا عن السرائرِ .

قيل : أفضلُ ماعُوشٍ به الملوكةُ قِلَّةُ الخلافِ
وتخفيفُ المؤونةِ .

قيل : لا يقدرُ على صُحبةِ السلطانِ إلا مَنْ
يَسْتَقِيلُ لما حملوه ، ولا يلحفُ إذا سألهم ، ولا يغترُ بهم
إذا رضوا عنه ، ولا يتغيرُ لهم إذا سخطوا عليه ، ولا يطفئُ
إذا سألطوه ، ولا يبطرُ إذا أكرموه .

قال فيلسوفٌ : إذا قرَّبَكَ السلطانُ فكنْ منه على
حدِّ السَّتانِ ، وإن استرسلَ إليك فلا تأمنْ انقلابه
عليك ، وارفُقْ به رفقك بالصَّبيِّ ، وكلِّمْه بما يشتهي .

ودخلَ يزيدُ بنُ عمرَ بنِ هُبيرةَ (١) على المنصورِ
فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، توسَّعْ توسُّعاً قُرْشياً ،
ولا تضيقْ ضيقاً حِجَازياً . وقال : يا أميرَ المؤمنين ،

(١) يزيد بن عمر بن هيرة أمير العراقيين لمروان بن محمد ، كان
جواداً كريماً ، وقتل سنة ١٣٢ هـ .

إِنَّ سُلْطَانَكُمْ حَدِيثٌ ، وَإِمَارَتَكُمْ جَدِيدَةٌ ، فَأَذِيقُوا
النَّاسَ حَلَاوَةَ عَمَلِكُمْ ، وَجَنِّبُوهُمْ مَرَارَةَ جَوْرِهَا (١) ،
فَوَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ مَخَضَّتْ (٢) لَكَ . ثُمَّ نَهَضَ
فَنَهَضَ مَعَهُ تِسْعُمِائَةِ مِنْ قَيْسٍ ، فَأَتَاهُ (٣) الْمَنْصُورُ
بَصْرَةَ ثُمَّ قَالَ : لَا يَعْزُؤُ مُلْكٌ فِيهِ مِثْلُ هَذَا .

قَالُوا : عَدَلُ السُّلْطَانِ أَنْفَعُ لِلرَّعِيَةِ مِنْ خِيَصْبِ
الزَّمَانِ .

كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ يَقُولُ : مَسَاءَلَةُ الْمُلُوكِ عَنْ
أَحْوَالِهِمْ مِنْ كَلَامِ التَّوَكُّي (٤) ، فَلِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ :
كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ ؟ فَقُلْ : صَبَّحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِالْكَرَامَةِ .
وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ كَيْفَ يَجِدُ الْأَمِيرُ نَفْسَهُ ؟ فَقُلْ :
وَهَبَ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ الْعَافِيَةَ وَنَحْنُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فَإِنَّ
الْمَسْأَلَةَ تَوْجِيبُ الْجَوَابِ فَإِنْ لَمْ يَجِبْكَ اشْتَدَّ عَلَيْكَ
وَإِنْ أَجَابَكَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ .

(١) الجور : الظلم .

(٢) مخض الرأي : قلبه وتدبر عواقبه . والمقصود هنا : نصحت لك .

(٣) أتاه النظر : أتبعه إياه .

(٤) التوكم : الحمقى .

قيل لابن عباس : إن الناس قد فسدوا ولا يصلحهم إلا الشر . قال : بالله الذي لا إله إلا هو للجور أشب للشر ، والعدل أطفأ للجور . وفي العدل كفاية ، وإليه انتهت السياسة . وقد يصيب الوالي في رعيته بأربع من نفسه وأربع من أنفسهم ، فأما الأربع اللواتي منهم فالرغبة والرغبة والأمانة والنصيحة . وأما الأربع اللواتي من نفسه فإعطاء من نصحه ، والجزاء لمن أبلاه ، وعقوبة ذي الذنب بقدر ذنبه ، والنسكيل بمن تعدى أمره . فإن هو لم يفعل ذلك وثرأخى ابتلي منهم بأربع : بالغش والخلدان والحيانة والنكد .

قيل : ليعلم من نال شرف المنزلة من السلطان وهو دني الأصل أنه تأر الأشراف ، وأنه لانجاة له منهم إلا أن يعمروهم بالإحسان إليهم .

إذا كان الملك ضعيفاً ، والوزير شرهاً ، والقاضي كذوباً ، فرقوا المملك شعاعاً (١) .

(١) شعاع : متفرق .

إذا قنع الملكُ بإفسادِ دينه لم تقنعُ رعيتهُ إلا بإزالةِ
ملكه .

ظلمُ الرعيةِ استجلابُ البليّةِ .

أحزمُ الملوكِ من ملكٍ جدّه هزله ، وقهره
رأيه هواه ، وعبّره عن ضميره .

دخلَ أبو مُجَلِّزٍ (١) على قُتَيْبَةَ بخراسانَ وهو
يُضربُ رجلاً بالعصا فقال : أيّها الأميرُ ، إنّ اللهَ
جعلَ لكلِّ شيءٍ قَدْرًا ، ووقتَ له وقتًا ، فالعصا للأنعامِ
والهوامِ والبهايمِ العظامِ ، والسُّوطُ للحدودِ (٢)
والتعزيرِ (٣) ، والدِّرّةُ للأدبِ ، والسيفُ لقتالِ العدوِّ
والقَوْدِ (٤) .

قالوا : عمَلُ السلطانِ حديثٌ فكنْ حديثاً حسناً .

(١) أبو مجلز لاحق بن حميد البصري أحد علماء البصرة ، وكان
ينزل خراسان . توفي سنة ٨١٠٧ .

(٢) أي لمعاينة الذين يستحلون ما حرم الله كشرب الخمر أو غير
ذلك من المحرمات .

(٣) التعزير : تأديب المذنب تأديباً لا يبلغ الحد الشرعي .

(٤) القود : القصاص .

إذا ضيعت الملوك سنن أديانها فلتعلم أنها
تهدم أساس ملكها .

لا ينبغي للملك أن يكون سقيها ومنه يلتبس
الحيلم ، ولا جائراً ومنه يلتبس العدل .

إذا لم يُثب (١) الملك على النصيحة غشته الرعية .

وفد على معاوية عبيد بن كعب النُميري
فسأله عن زياد وسياسته فقال : يستعمل على الجد
والأمانة دون الهوى ، ويعاقب فلا يعدو بالذنب
قدره ويستمر ليستمح بحديث الليل تدير النهار
قال : أحسن . إن التثقيل على القلب مضرة بالرأي .
فكيف رأيه في حقوق الناس فيما عليه وله ؟ قال :
يأخذ ماله عفواً ويُعطي ما عليه عفواً . قال : فكيف
عطاياه ؟ قال : يعطي حتى يقال جواد ، ويمنع حتى
يقال بخيل .

قالوا : التدليل للملوك داعية العز والتعزز عليهم
ذل الأبد .

(١) اناب : كافاً .

كثرةُ أعوانِ السَّوءِ مَضَرَّةٌ للأعمالِ .

الدَّالةُ على الملوكِ تُعرَّضُ للسَّقْوطِ .

خيرُ الملوكِ من ملكٍ جهلَه بحِلْمِهِ ، وخرَقَه
برِفقِهِ ، وعَجَلَتَه بأنائِهِ ، وعُقُوبَتَه بعفْوِهِ وعاجِلَه
بمِراقبَةِ آجِلِهِ ، وأَمِنَ رَعِيَّتَه بِعدْلِهِ ، وسَدَّ ثُغُورِهِم
بهيبتِهِ ، وجَبَرَ فاقَتَهُم بِجُودِهِ . يَعْلَمُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ ،
وَيَحْسُمُ الدَّاءَ مِنْ حَيْثُ اسْتَبْهَمَ .

السلطانُ في تَنَقُّلِهِ وَتَنَقُّلِ النَّاسِ مَعَهُ كَالظِّلِّ
الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ السَّابِلَةُ .

شِدَّةُ الانْقِبَاضِ مِنَ السُّلْطَانِ تَوْرَثُ الشُّهْمَةَ ،
وسَهولَةُ الانْبِساطِ تَوْرَثُ المِلَالَةَ .

من سَعَادَةٍ جَدَّةٍ (١) المرءُ أَلَا يَكُونُ فِي الزَّمَانِ
المُخْتَلَطِ مُدَبِّرًا لِلسُّلْطَانِ .

من سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ أَنْ يَرْضَى عَمَّنِ اسْتَوْجَبَ

(١) الجِد : الحِظ .

السُّخْطَ . ويسخطُ على من استوجبَ الرُّضَا من غير
مَبَبٍ معلومٍ .

بلغَ بعضَ الملوكِ حُسْنَ سِيَاةِ مَلِكٍ فكتبَ إليه :
قد بلغتَ من حُسْنِ السِّيَاةِ مَبَلِّغًا لم يبلغه مَلِكٌ
في زمانك ، فأفدني الذي بَلَغَكَهُ . فكتبَ إليه :
« لم أَهْزِلْ في أمرٍ ولانتهي ، ولا وعدٍ ولا وعيدٍ ،
واستكفيتُ أهلَ الكِفَايةِ ، وأثبتُّ على الغِنَاءِ لا على
الهَوَى ، وأودعتُ القلوبَ هِيبةً لم يشُبها مَقْتُ (١) ،
وودأ لم يشُبهُ كَذِبٌ ، وعممتُ بالقُوتِ ومنعتُ
الْفُضُولَ (٢) » .

أمران جليلان لا يصلحُ أحدهما إلا بالتفردِ به ،
ولا يصلحُ الآخرُ إلا بالتعاونِ عليه : وهما المُلْكُ والرأي ،
فإن استقامَ المُلْكُ بالشركاء استقامَ الرَّأيُ بالتفردِ به .
لا شيءُ أهلكُ للسلطانِ من صاحبٍ يُحسنُ القولَ
ولا يُحسنُ العملَ .

(١) لم يشبها مقت : لم يخالطها بغض .

(٢) الفضول : مالا فائدة فيه .

اِصْحَبِ السَّاطَانَ بِأَعْمَالِ الْحَذَرِ ، وَرَفُضِ الدَّالَّةِ ،
وَالْاجْتِهَادِ فِي النَّصِيحِ وَاصْحَبْتَهُ بِثَلَاثٍ : بِالرَّضَا وَالصَّبْرِ
وَالصَّدَاقِ .

اَعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَافِئًا ، فَمَا جَاوَزَهُ كَانَ سَرَفًا ،
وَمَا قَصَّرَ عَنْهُ كَانَ عَجْزًا . فَلَا تَبْلُغْ بِكَ نَصِيحَتُ السَّاطَانِ
أَنْ تُعَادِيَ حَاشِيَتَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ
مِنْ حَقِّهِ عَلَيْكَ . وَلَكِنْ أَقْضِ لِحَقِّهِ عَنْكَ ، وَأَدْعِ
لِلسَّلَامَةِ إِلَيْكَ أَنْ تَسْتَصْلِحَ أَوْلَئِكَ جَهْدَكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا
فَعَلْتَ ذَلِكَ شَكَرْتَ نِعْمَتَهُ ، وَأَمْنْتَ حُجَّتَهُ ، وَفَلَّاتِ
عَدُوَّكَ عِنْدَهُ .

إِذَا جَارَيْتَ عِنْدَ السَّاطَانِ كُفْمًا مِنْ أَكْفَائِكَ فَلَتَكُنْ
مَجَارِئُكَ إِيَّاهُ بِالْحُجَّةِ ، وَإِنْ عَضَّكَ (١) ، وَبِالرَّفَقِ
وَإِنْ خَرَّقَ بِكَ ، وَاحْذَرُ أَنْ يَسْتَلْجِكَ (٢) فَتَحْمَسَ ، فَإِنَّ
الغَضَبَ يُعْمِي عَنِ الْفُرْصَةِ ، وَيَقْطَعُ عَنِ الْحُجَّةِ ، وَيُظْهِرُ
عَلَيْكَ الْخِصَمَ .

احْتَرَسْ أَنْ يَعْرِفَكَ السَّاطَانُ بِاثْنَيْنِ : بِكَثْرَةِ الْإِطْرَاءِ

(١) عَضَّ : كَذَبَ وَادْعَى عَلَيْهِ الْإِفْكَ .

(٢) يَسْتَلْجِكَ : يُعَادِي فِي خِصْمَتِكَ .

للناس عنده ، وبكثرة ذمتهم ؛ فيعدّ ذلك غلاماً منك فإنه
إذا رأى كثرة إطرائك للناس وذمتهم ضرّاً ذلك صديقك
وإن كان حقّاً ، وأمن عدوك كسيّدك وإن كان معوراً (١)
وعليك بالقصد والتحرز ؛ فإنه إن عرفك به كنت لعدوك
أضراً ولصديقك أنفع .

لا تتورّد على السلطان بالدّالة وإن كان أخاك ،
ولا بالحجة وإن وثقت أنّها لك ، ولا بالنصيحة وإن كانت
له دونك فإن السلطان تعرض له ثلاث : القدرة دون
الكرم ، والحميّة دون النّصفّة ، والالتجّاج دون الحظ .

سئل بعضهم : أي شيء أرفع بذكر الملوكة ؟ قال :
تدبيرهم أمر البلاد بعديل ، ومنعهم إيتاها بعز . قيل : فما
الذي على الملوكة لرعيّتهم ، وما الذي على الرعيّة لملوكهم ؟
قال : على الملوكة لرعيّتهم ما تأمن عايد أنفسهم ويرغد
عليه عيشهم . وللملوكة على رعيّتهم الشكر والنصيحة .

اعلم أن الملوكة تحتاج إلى الوزير ، وأشجع الرّجال
يحتاج إلى السلاح وأجود الخيل يحتاج إلى السّوط ، وأحد
الشفار يحتاج إلى الميسن .

صالح الدّنيا بصالح الملوكة . وصالح الملوكة بصالح

(١) معوراً : أعور الفارس : بدا فيه موضع خال الطعن والضرب .

الوزراء ، ولا يصلحُ الملكُ إلا لأهله ولا تصالحُ الوزارةُ إلا لمستحقِّها .

خيرُ الوزراءِ أصلحُهم للرعيَّة ، وأصدقهم نيَّةً في النصيحة ، وأشدُّهم ذبًّا (١) عن المملكة ، وأشدُّهم بصيرةً في الطاعة ، وأخذُهم لحقوقِ الرعيَّة من نفسه وسلطانِه . ليس شيءٌ للملوكِ أولى بالفرح والسرورِ به في ملكها من سيرةٍ حسنةٍ يسيرونها ، وسنةٍ صالحةٍ يُجرونها ، ووزيرٍ صالحٍ يؤيِّدون به .

الوزيرُ الحَيُّ لا يرى أنَّ صلاحه في نفسه كائنٌ صلاحاً حتى يتصل بصلاح الملكِ ورعيَّته ، وتكون عنايته فيما عطفَ الملك على عامته ، وفيما استعطف قلوب العامة على الطاعة لملكه ، وفيما قوم أمر الملك والمملكة من تدبيره ، حتى يجمع إلى أخذ الحقِّ وتقديمه عموم الأمان والسلامة ، ويجمع إلى صلاح الملك صلاح أتباعه وإذا طرقت الحوادثُ ، ودهستِ العظامُ ، كان للملك عُدَّةٌ وعَتَاداً ، وللرعيَّة كفاً محتاطاً ، ومن ورأها ذاباً ناصراً ، يتعنيه من صلاحها ما لا يتعنيه من صلاح نفسه دونها .

* * *

(١) الذب : الدفاع .

الباب الثامن

نَوَادِرُ لِلنِّسَاءِ الْمَوَاجِينَ وَالْجَوَارِي

استعرض رجلٌ جاريةً فقال : في يدكِ عملٌ ؟
قالت : لا ولكن في رجلي .

وأدخل على المنصور جاريَتانِ فأعجبتهما . . فقالت
التي دخلت أولاً : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَنِي
على هذهِ بقوله : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » (١) فقالت
الأخرى : لا بلُ قَدْ فَضَّلَنِي بقوله : « وَلِآخِرَةٍ خَيْرٌ
لَكَ مِنَ الْأُولَى » (٢) ،

طلُبتُ جاريةً محمود الوَرَّاق (٣) للمعتصمِ بِسبعةِ
آلافِ دينارٍ ، فامتنع من بيعها ، واشتُريتُ له بعد ذلك
من ميراثه بِسبعِمائةِ دينارٍ ، فذكر المعتصمُ لها ذلك يوماً

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٢) سورة الضحى : ٤ .

(٣) محمود الوارِق شاعر عُبَاسِي له حكم وأمثال ومواعظ ، توفي
في حدود المائتين والثلاثين .

فَقَالَتْ : إِذَا كَانَ الْخَلِيفَةُ يُنْتَظَرُ بِشَهَوَاتِهِ الْمَوَارِيثُ فَسَبْعُونَ
دِينَارًا فِي نَمْنِي كَثِيرٌ . فَكَيْفَ سَبْعِمِائَةٌ ؟

وَطَلَبَ آخَرُ مِنْ عَشِيقَتِهِ خَاتَمًا كَانَ مَعَهَا فَقَالَتْ :
يَا سَيِّدِي هَذَا ذَهَبٌ وَأَخَافُ أَنْ تَذْهَبَ ، وَلَكِنْ هَذَا الْعُودُ
حَقٌّ تَعُودَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِآخَرَى : أَرَى شَفَقَتَكَ مُتَشَقِّقَةً ،
فَقَالَتْ : التَّيْنُ إِذَا احْلَلَوْنِي تَشَقَّقَ .

عُرِضَتْ عَلَى الْمَعْتَرِ (١) جَارِيَةٌ فَقَالَ لَهَا : مَا أَنْتِ
مِنْ شَرِّطِي قَالَتْ : وَلَكِنَّكَ مِنْ شَرِّطِي وَاللَّهِ . فَاشْتَرَاهَا
وَحَظَّيْتُ عَنْده .

غَابَ رَجُلٌ عَنْ امْرَأَتِهِ ، فَبَلَغَهَا أَنَّهُ اشْتَرَى جَارِيَةً ،
فَاشْتَرَتْ غَلَامَيْنِ ، فَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِزَوْجِهَا ، فَجَاءَ مُبَادِرًا
وَقَالَ لَهَا : مَا هَذَا ؟ فَقَالَتْ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الرَّحَا إِلَى بَغْلَيْنِ
أَحْوَجُ مِنَ الْبَغْلِ إِلَى الرَّحَا . بَعِ الْجَارِيَةَ حَتَّى أُبِيعَ
الْغَلَامَيْنِ فَفَعَلَ ذَلِكَ .

خَطَبَ ثُمَامَةُ الْعَوْفِيَّ امْرَأَةً فَسَأَلَتْ عَنْ حِرْفَتِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهَا :

(١) الْمَلِكُ : مَا يَمْلِكُ ، أَيْ يَمْضِغُ مِنْ صَنِيعِ الصَّنُوبَرِ وَالْفَسَقِ وَنَحْوِهِمَا .

وسائلةٍ ما حيرفتني ؟ قلت : حيرفتني
مقارعةُ الأبطالِ في كلِّ مسأَزقٍ

وضربي طلي الأبطالِ (١) بالسيفِ مُعْالِمًا
إذا زحف الصَّفَّانِ تحت الحسـو وافقـ

فلمَّا قرأت الشعرَ قالتُ للرسول : قل له : فديتُك
أنتَ أسدٌ فاطلبُ لنفسكَ لبؤةً ؛ فلإني ظبيّةٌ أحتاجُ
إلى غزالٍ .

قال رجلٌ بخاريةٍ اعترضها — وكان دميماً فكرهته
وأعرضتُ عنه : إنما أريدُكِ انْفِسي . قالت : فمن نفسك
أفِرُّ .

وذكر بعضهم قال : مرّت بي امرأةٌ وأنا أصلي
في مسجدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فانقيتُها
بيدي ، فوقعَتْ على فرجها فقالت : يا فتى ، ما أتيتُ
أشدُّ ممّا اتَّقيتُ .

دخلتُ عَزَّةُ على عاتكةَ بنتِ يزيدَ فقالت : أخبريني
عن قولِ كُثَيِّرٍ :

(١) الطلى : جمع طلية وهي العتق أو أصوله .

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْفَى غَرِيمَهُ
وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمُهَا

ما هذا الدَّيْنُ الَّذِي كُنْتُ وَعْدْتُهُ ؟ قالت : كُنْتُ
وَعْدْتُهُ قُبُورَهُ ، فلم أَفِ لَهُ بِهَا . فقالت : هَلَا أَنْجَزْتَهَا لَهُ
وَعَلِيَّ إِيْمَهَا .

وقال عَقِيلُ بْنُ بِلَالٍ : سَمِعْتَنِي أَعْرَابِيَّةٌ أَنْشَدَ :
وَكُتْمٌ لَيْلَةً قَدْ بَنَتْهَا غَيْرَ آثَمٍ
بِمَهْضُومَةٍ الْكَشَّاحِينَ رِيَّانَةَ الْقُلُوبِ (١)
فقالت لي : هَلَا أَثَمْتُ أَخْزَاكَ اللَّهُ .

* * *

(١) القلب : السوار .

الباب التاسع

نَوَادِرُ الْقُصَاصِ •

قيل لأبي القُطوفِ وَكَانَ يُفْتِي وَيُحَدِّثُ وَيَقْصُصُ
وهو قاضي حرَّانَ . ماترى في السَّماعِ ؟ فقال : أما
على الخَسْفِ (١) فلا . وقيل له : ماتقولُ في نبيلِ
العسل ؟ قال : لا تشربه . قيل : ولم ؟ أحرامٌ هو ؟
قال : بل هو نعمةٌ لا تقومُ بشكرِها .

وقيل ليطيرُ بال : ماتقولُ في الإبطِ يُمَسِّ ،
أيتوضأُ منه ؟ قال : يابنُ أخٍ ، كما يكونُ الإبطُ
يُغْتَسَلُ منه .

وكان أبو سنانٍ السَّدُّوسِيُّ يقولُ : فلانٌ عندي
أكفَرُ من رامِهرُ مَرُ .

(*) حافظ المؤلف على كلام القصاص على الرغم مما فيه من تخليط .
والقصاص : مفردُها : قاص ، وهو من يجلس في مسجد الوعظ .
(١) السماع على الخسف : على غير أكل .

وبكى حوله ولده وهو يريد مكة فقال : لا تَبْكُوا ،
بأبي أنتم . فلأني أريد أن أضحى عندكم .

قال أبو عثمان : وكان عندنا قاص^١ يقال له : أبو
موسى فأخذ يوماً في ذكر قيصر أيام الدنيا وطول
أيام الآخرة ، وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة ،
فقال : هذا الذي عاش خمسين سنة لم يعيش شيئاً
وعليه فضل سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال :
خمس وعشرون سنة ليل^٢ هو نائم فيها ، لا يعقل
قليلاً ولا كثيراً ، وخمس سنين قائلة^(١) ، وعشرون
سنة إما أن يكون صبياً ، وإما أن يكون معه مسكر^٣
الشباب وهو لا يعقل ، ولا يد^٤ من صبيحة بالغداة ،
وتعيسة بين المغرب والعشاء ، ويناله فيها كالغشي
الذي يصيب الإنسان مراراً في دهره ، فإذا حصلنا
ذلك فقد صحَّ الذي عاش خمسين سنة لم يعيش شيئاً
وعليه فضل سنتين .

قرأ سيفويه القاص^٥ : « ثم في سائسلة ذرعها

(١) قال : نام وسط النهار .

تسعون ذراعاً « فقل له : فإن الله يقول : « سَبْعُونَ ذراعاً (١) » ، وقد زدت أنت عشرين ذراعاً فقال : نعم هذه عُمِدَاتُ ابْنِهَا (٢) ووصيف (٣) . فأما أنتم فيكفيكم شريطٌ بدائيٌّ ونِصْفٌ .

سأل واحدٌ سيفويه عن حِفْظِهِ الْقُرْآنَ فقال : أحفظه آيةً آيةً ، قل له : فما أوَّلُ الدُّخَانِ ؟ قال : الْحَطَبُ الرُّطْبُ .

وكان أبو كعبٍ القاصُّ يقول في دعائه : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى جِبْرِيلَ ، وَاغْفِرْ لَأَمْنَا عَائِشَةَ ، وَعَافِنِي مِنْ وَجَعِ الْبَطْنِ .

كان أبو عقيلٍ القاصُّ يقول : الرَّعْدُ مَالِكٌ أَصْغَرُ مِنْ نَحْلَةٍ وَأَعْظَمُ مِنْ زُنْبُورٍ . فقالوا : لَعَلَّكَ

(١) الآية : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » سورة الحاقة : ٣٢ .

(٢) بنا الشرايبي : قائد تمرد وطني واستبد في الدولة العباسية قتل سنة ٢٥٤ هـ .

(٣) وصيف التركي أكبر أمراء الدولة في عهد المعز ، استنصف أمراه المعز ، وسجنه وقتل وصيف سنة ٢٥٣ هـ .

تريدُ أصغرُ من زنبور وأعظمُ من نحلة . فقال : لو
كان كذلك لم يكن بعجبٍ .

وسأله رجلٌ وهو في الجامع عن مسألةٍ في الحيضِ
لم يعرفها فقال : ويلك . خَرَّجْ هذه القاذوراتِ من المسجدِ
حتى نخرجَ .

وكان بعضهم يقول : اللهم اغفر لنا كلَّ نعمةٍ
ومَحَسَنَةٍ ، واحشُرني في جملة سيّدي أبي عبدِ الله بنِ
حَنبَلٍ ، ولا تغفرْ للرافضةِ .

كان بعضهم يقولُ . يامعشرَ الناسِ ، إنّ الشيطانَ
إذا سمّى الإنسانُ على الطعامِ والشرابِ لم يأكلْ معه .
وإذا لم يُسمَّ أكلَ معه ، فكأوا خُبِرَ الأرْزِ والمالحِ
ولا تسمّوا ليأكلَ معكم ، ثم اشربوا وسّمّوا ليموتَ عَطَشاً .
حَاقَ بعضهم لحيتته وقال : إنّها نبتت على المعصية .

وكان بعضهم يحجُّ عن حمزةٍ ويقول : استشهد
قبل أن حجَّ ، ويضحّي عن أبي بكرٍ وعُمَرَ يقولُ
أخطأ السنّة في تركِ الأضحية .

وقبَّد آخرُ إحدى عينيه وقال : النُّظرُ بهما إسرافٌ .
 وكان بعضُ القصَّاصِ يتشددُ في خَلْقِ القرآنِ ،
 فسُئِلَ عن معاويةَ : هل كان مخلوقاً ؟ فقال : كان
 إذا كتبَ الوحيَ غيرَ مخلوق ، وإذا لم يكتبْ كان مخلوقاً .
 قال بعضُ القصَّاصِ يوماً : يا قومُ ، هل علمتم أن
 الله قد ذكرَ الهَرِيسَةَ في القرآنِ لفضلها ؟ فقالوا : أين
 ذكرها ؟ فقال : اذْبَحُوا بَقْرَةَ (١) « واضربوه
 ببعضِها (٢) » ، « وفارِ الثَّنُورَ (٣) » : « ولترَكَبْنِ
 طبقاً عَنْ طَبَقِ (٤) » .

سأل رجلٌ سيفويهِ القاصَّ : ما الغِسلينِ (٥) في
 كتابِ الله تعالى ؟ فقال : على الخبيرِ سقطت . سألتُ
 عنه شيخاً من فقهاء الحجازِ منذ أكثرَ من ستين سنةً
 فقال : لا أدري .

(١) الآية : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » « سورة البقرة : ٦٧ .

(٢) سورة البقرة : ٧٣ .

(٣) سورة هود : ٤٠ .

(٤) سورة الانشقاق : ١٩ .

(٥) في الآية : « ولا طعام إلا من غسلين » سورة الحاقة : ٣٦ .

وجاءت امرأة^١ إلى واحد منهم فقالت : يا جعفر ،
مريم بنت عمران كانت نبيّة ؟ قال : لا يا فاعلة .
قالت له : فإيش كانت ؟ قال : كانت ملائكة .
كان عبدُ الأعلى قاصاً : فقال يوماً : تزعمون أنّي
مُراءى ، وكنتُ والله أَمْسَ صائماً ، وقد صُمتُ اليومَ
وما أخبرتُ بذلك أحداً .

ومرّ عبدُ الأعلى بقوم وهو يشايل سُكراً فقال
إنسان : هذا عبدُ الأعلى القاصُّ . فقال : ما أكثرَ من
يُشَبِّهني بذلك الرجلِ الصّالحِ !

قال قاصٌّ بالمدينة في قصّصه : ودّ إبليسُ أن لكلِّ
رجلٍ منكم خمسين ألفَ درهمٍ يَطْغى بها . فقال
رجل من القوم : اللهمّ أعطِ إبليسَ سُؤله فينا .

حكى عن شيخٍ منهم ببغداد كان يُعرف بخُشنِ
حَمَامَةٍ أنّه كان يقول : خلفاءُ الله في الأرضِ ثلاثة :
آدمُ لقوله : « إِنِّي جَاعِلُكَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » (١)

(١) هكذا كتبت والآية : وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في
الأرض خليفة « سورة البقرة : ٣٠ .

وداودُ : « إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ (١) »
وأبو بكر ، لقول الأمة : أَيَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ .
والأمناءُ ثلاثةٌ : جبريلُ لِأَنَّهُ تَحَمَّلَ عَنْ اللَّهِ ، ومحمدُ
لأنَّه بَلَغَ الْأُمَّةَ ، ومعاويةُ لِأَنَّهُ كَتَبَ الْوَحْيَ .

وبَلَغَ مِنْ عَقْلِهِ أَنَّهُ رَأَى عَقْرَبًا فِي دَارِهِ فَقَالَ لَهَا :
يَا مَشْثُومَةً ، أَخْرِجِي لَا تَقْتُلِي أُمَّي .

وكان مولعاً بلطعام الكلابِ ويقول إذا أطعمتها :
هؤلاء أولى من الرافضة .

قال الأصمعي : اختصمت الطفاوةُ وبنو راسبٍ
في صبيٍّ يدعى عليه كلُّ واحدٍ من الفريقين إلى ابنِ عرباضٍ ،
فقال : الْحُكْمُ فِي هَذَا بَيْنَ . قالوا : وما هو ؟ قال :
يُلْقَى الصَّبِيُّ فِي الْمَاءِ ، فَإِنْ طَفَا فَهُوَ طِفَاوِيٌّ ، وَإِنْ رَسَبَ
فَهُوَ رَاسِبِيٌّ .

كانت أمُّ عِيَّاشٍ تُحْسِنُ إِلَى سِفْوَِيهِ وَتَتَعَهَّدُهُ ،
فكان إذا اجتمع إليه النَّاسُ قال : يامعاشِرَ الْمُسْلِمِينَ
ادْعُوا اللَّهَ لَأَمْ عِيَّاشٍ ، فَإِنَّهَا صَدِيقَتِي . فبَلَغَ عِيَّاشُ

(١) سورة ص : ٢٦ .

فبعث إليه وقال : قد فضحتني بهذا القول فأمسك عنه .
فقال : سبحان الله ! لو أنها معي في إزار واحد ما كنت تخاف عليّ .

قال أبو العنبيس : سمعتُ قاصّاً بالكوفة يقول في قصصه : تحت رأس وليّ الله في الجنة سبعون ألف مخدّة ، والمخدّة سبعون ألف حجاب ، ما بين الحجاب والحجاب سبعون ألف عام . قال : فقلتُ : فإن سقط من فوق تلك الفرش كيف يعمل ؟ فقال : إلى النار يا صفّعان .

قال بعضهم في قصصه : كان أبو جهل خُوزيّاً (١) ، ف قيل له : بل هو قرشيٌّ مخزوميٌّ ولكنّه كافر . فقال : يتكلّم أحدكم بما لا يعلم ، كلُّ كافرٍ خوريٌّ .

قال آخر في مجلسه : زعم قومٌ أنّي لا أحسن القرآن . وهل في القرآن أشرف من : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » . وأنا أقرؤه مثل الماء ، وابتدأ وقرأ فلما بلغ قوله : « ولم

(١) الخوز : تطلق على خوزستان ، وأهلها مشهورون قديماً بأنهم أمّعت الناس نفساً .

يَكُنْ أَهٌ» أُرْتَجَّ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْضُرَ خُتْمَةَ
السُّورَةِ فَلْيَحْضُرْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .

دَفَعَ وَاحِدٌ قِطْعَةً إِلَى قَاصٍّ وَقَالَ : ادْعُ لِي وَلَآبِيَّ
بِالْمَغْفِرَةِ ، فَرَفَعَ الْقَاصُّ رَأْسَهُ وَقَالَ : ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ بِقِرَاطٍ ؟
وَأَرَانْخَصَاهُ !

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : فِي لَحِينِكَ هَرِيرَةٌ (١) فَقَالَ : هَذِهِ مِنْ
تِلْكَ الْجُمُعَةِ .

وَمَاتَ عِيصَى بْنُ حَمَّادِ الطَّلْحِيِّ وَقَدْ أَوْصَى بِأَكْثَرِ
مَنْ تَمَلَّكَ مَالُهُ ، فَأَجَازَ ذَلِكَ وَلَدُهُ وَامْرَأَتُهُ ، فَأَتَوْا أَبَا
أَسِيدٍ لِيَكْتُبَ بِذَلِكَ كِتَابًا ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا فُتَيَانُ أَمْكُمُ
قَدْ بَلَغَتْ مِبْلَغَ النِّسَاءِ أَمْ لَا .

وَمَرَّ بِقَوْمٍ يَصِيدُونَ السَّمَكَ ، فَقَالَ : يَا فُتَيَانُ ،
مَالِحٌ أَوْ طَرِيٌّ .

وَدَخَلَ يَوْمًا فِي الْمَاءِ إِلَى كَعْبِهِ فَصَاحَ : الْغَرِيقَ ،
الْغَرِيقَ . فَقِيلَ لَهُ : مَا دَعَاكَ إِلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : أَخْلَدْتُ
بِالْوَثِيقَةِ .

(١) التقيق المهروس جيداً أو المخلوط .

قيل لبعضهم : أيسرُّك أن الله أدخلك الجنة وأنت شاة ؟ قال : نعم بشرط ألا يذهبوا بي إلى التيس .

جاء رجل إلى واحد منهم فقال : ما تقول في شرب النبيذ ؟ قال : لا يجوز . قال : فإن كان الرجل قد أكل المالح ؟ قال : قد رجعت مسألتك إلى الطَّب .

صلى سيفويه يقوم وسلم عن يمينه ولم يسلم عن يساره ، ف قيل له في ذلك فقال : كان في ذلك الجانب إنسان لا أكلمه .

جاس أبو ضمضم ينسب قبائل العرب فقال له بعضهم : يا أبا ضمضم : آدم من أبوه ؟ فحملته استباح الجهل عنده بشيء من الأنساب على أن قال : آدم بن المضاء بن الخليل وأمه ضباعة بن قيرزام . فتضحك القوم وثاب إليه عقله فقال : إنما نسبت أختاً لآدم من أمه .

رأى بعض أهل نيسابور جنازة فقال : ربّي وربك الله لا إله إلا الله فسمعه آخر فقال : أخطأت . قل : اللهم ألبسنا العافية ، وتشاجرا فتحاكما إلى قاضٍ لهم فقال : لم يُصب واحد منكما . إذا رأيتم جنازة فقولوا : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

كان عبدُ الأعلى القاصُّ يتكاسفُ لكلِّ شيءٍ اشتقاقاً
فقال : الكافرُ إنما سُمِّيَ كافراً لأنَّه اكتفى وفرَّ .
قيل له : بماذا اكتفى ومن أيِّ شيءٍ فرَّ ؟ قال : اكتفى
بالشَّيطانِ وفرَّ من الله . وقال : سُمِّيَ الزَّنديقُ زنديقاً
لأنَّه وَّزَنَ فدَقَّتْ . وسُمِّيَ الباغِمُ باغماً لأنَّه بلاءٌ وغمٌ .
وسُمِّيَ الدرهمُ درهماً لأنَّه داءٌ وهمٌ . وسُمِّيَ الدينارُ
ديناراً لأنَّه دينٌ ونارٌ . وسُمِّيَ العُصفُورُ عصفوراً لأنَّه
عصا وفرٌّ . وسُمِّيَ الطَّفَيْشَلُ طَفَيْشَلاً لأنَّه طفا
وشال (١) . وسُمِّيَ نوحٌ نوحاً لأنَّه كان ينوحُ على قرمه .
وسُمِّيَ المسيحُ مسيحاً لأنَّه مسحَ الأرضَ .

جاء رجلٌ إلى بعضهم فقال : أفطرتُ يوماً من شهرِ
رمضانٍ ساهياً ، فما عليَّ ؟ قال : تصومُ يوماً مكانه .
قال : فصمتُ . فأُتيتُ أهلي وقد عملوا حَيْساً (٢) ،
فسبقني يدي لإليه فأكلتُ منه . قال : تقضي يوماً آخرَ . قال :
فقضيتُ يوماً مكانه ، وأُتيتُ أهلي وقد عملوا هريساً

(١) الطفَيْشَلُ : نوع من الطعام أو المرق .

(٢) الحيس : طعام من التمر المعجون بالسن .

فسبقني يدي إليه فأكلت منه فما ترى ؟ قال : أرى ألا
تصومَ إلا ويدك مغلولةً إلى عنقك .

مات أمُّ ابنِ عِيَّاشٍ فَأَتَاهُ سِفْوِيهِ مَعْرِيًّا فَقَالَ :
يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، عَظَّمَ اللَّهُ مُصِيبَتَكَ . فَنَبَسَّ ابْنُ عِيَّاشٍ
وَقَالَ : قَدْ فَعَلَ . فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، هَلْ كَانَ لَأُمِّكَ
وَلَدٌ ؟ فَقَامَ ابْنُ عِيَّاشٍ عَنْ مَجْلِسِهِ وَضَحَكَ حَتَّى اسْتَلْقَى
عَلَى قَتْفَاهُ .

* * *

الباب العاشر

تَوَادِرُ الْقَضَاةِ لِمَنْ نَقَدَّمْ إِلَيْهِمْ

اختصم رجلٌ وامرأةٌ إلى سَوَّارٍ ، فقال الزوجُ
لسَوَّارٍ : أصلح الله القاضي ، لو عرفتُها لبصقتُ في استِها .
فقال سَوَّارٍ : اغْرُبْ ، عليك لعنةُ الله .

قال بعضهم : سمعتُ رجلاً جِيءَ به إلى التيميِّ
القاضي ، فقال : يا معشرَ القاضي . كم يَجْرُؤُوكَ
إِلَيَّ بِحَالٍ أَنَّهُمْ واحدٌ وأنا سِتَّةٌ ، لا يجدون أحداً
يظلمونكَ إِلَّا غيْرِي .

اختصمَ رجلانِ إلى قاضٍ ، فدنا أحدهما منه وقال
له سرّاً : قد وَجَّهْتُ للدَّارِ فراريجَ كَسْكَريةٍ (١) ،
وحِمْطَةً بلدِيَّةً كذا وكذا . فقال القاضي بصوت عالٍ :
كانتْ لك بينةٌ غائبةٌ انتظرناها ، ليس هذا مِمَّا يُسَارُّ به .

(١) نسبة إلى كسكر ، كورة واسعة قريبة من البصرية ، ينسب
إليها نوع من الفراريج يكثر بها .

قال محمد بن رباح القاضي : تقدم إلي قُشَمُ مع
ابن أخيه ، فادَّعَى عليه خمسة آلاف دينار فقال قُشَمُ :
نعم له علي ذلك من أي وجه . فقلت : قد أقررت له
بالمال ، فإن شاء فسَّرَ الوجه ، وإن شاء لم يفسَّر . فقال
ابن أخيه : أشهد أنه بريء منها إن لم أثبتها . فقلت :
وأما أنت فقد أبرأته إلى أن تثبت ذلك . فما رأيت أضعف
منهما في الحكم .

قال بعض القضاة الحمقى : قد عزمتُ على أن
أخصي عدلين للشهادة على النساء .

لما خرج المأمون إلى قسَم الصُّلح (١) لينقل بوران
بنت الحسن ، إذا جماعة على الشَّطِّ وفيهم رجل ينادي
بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين ؛ نعم القاضي قاضي
جبَل (٢) جزاه الله عنّا أفضل ما جرى أحداً من القضاة ؛
فهو العفيف النظيف ، النَّاصِحُ الحبيب ، المأمون الغيب .

(١) لم الصلح : نهر يستمد من دجلة ، ويمر بكورة تسمى

الصلح بها منازل الحسن بن سهل .

(٢) بليدة بين النعمانية وواسط ، ويقاضى بها يضرب المثل .

وكان يحيى بن أكرم يعرف قاضي جبّل وهو ولاه^١
وأشار به . وإذا هو القاضي نفسه ، فقال : يا أمير المؤمنين :
إنّ هذا الذي ينادي ويشتي على القاضي هو القاضي نفسه .
فامتصحك المأمون واستطرفه وأقره على القضاء .
وقد كان أهل جبّل رفعوا عليه وذكروا أنّه
سفيه حديد يعرض رؤوس الخصوم فوق المأمون :
يشتق^(١) إن شاء الله .

جلس أبو ضمضم القاضي للحكم فلمح في
مجلد له رجلاً معه ألواح يعلق نوادره فرماه بالدواة
وشجّه ثم أمر به إلى الحبس . فقال كاتبه : ما أكتب
قصته في الديوان . قال : اكتب : استرق السمع
فاتبعه شهاب ثاقب .

اختصم إلى أبي ضمضم رجلان فأقر أحدهما لصاحبه
بما ادّعاه عليه وقال : أعز الله القاضي . إنّي كلما
طلبته لأوفيه حقه لا أجده فإنه رجل "شريب" منهمك
في الشرب أبداً عند أصحابه وأصدقائه ، وأنا رجل مغفل

(١) يشتق : يؤخذ من الشق ، وهو الأرض .

أحتاج أن أكسب قوت عيالي ، ولا ينهيّا لي أن أتعطل
 عن كسبي وأدور في طلبه . فأمر أبو ضمضم بحبس
 صاحب الحق . وقال لغريمه : اذهب فاشتغل بطلب
 معاشك ومكسبك ، فإذا حضرَكَ ما تردّه عليه فاحمله
 إلى الحبس حتّى لا تحتاج أن تدور في طلبه . فبقي الرَّجلُ
 في الحبس ثمانين يوماً وصاحبه يحمل إليه الشيء بعد
 الشيء لي أن بقي له عشرة دراهم فأرسل إلى القاضي
 وقال : لِمَ رأيت أن تُفرج عني فلم يبق لي على غريمي
 إلا عشرة دراهم فقال : لا والله لا تبرح حتّى تأخذ
 حقك !

غاب رجلٌ في بعض أسفاره ، وطالت غيبته فأرجف
 به وبموته ، وأتى على ذلك مدّة ، وبلغ قاضي البلد
 جمالُ امرأته فخطبها وتزوجتها فصار إليه أهل بيت
 زوجها وبنو أعمامه وقالوا : أعزّ الله القاضي . لم يصح
 عندنا موت هذا الرَّجل ونحن في شك منه ، فكيف
 نتزوج بامرأته ؟ فغضب القاضي وقال : أنتم تسخرون
 بالنساء . والله ما يغيب أحدكم إلا تزوجت بامرأته .

تقدّم رجلان إلى قاضيٍ وادّعى أحدهما على صاحبه
درهماً من ثمن ريثحانٍ اشتراه فأنكر واستحلفه فقال القاضي :
قل : والله الذي لا إله إلاّ هو . فقال الرجل : أصلحك
اللهُ ليست هذه يمين أصحاب الرّياحين . قال القاضي :
وما يمينهم ؟ قال : أن يقول أمّه فاعلةٌ إن كان لهذا عليه
شيءٌ . قال القاضي : ما أشكُ في صدقك ، وغريم
الدّرهم من عنده .

قال الأصمعيّ : اتّيتُ قاضي سبّذان (١) فقلت :
على من تقضي ؟ فقال على الضّعيف .

كان أبو السّكينة قاضياً للحجاج بن يوسف وكان
طويلاً فقال يوماً : بلغني أن الطّويل يكون فيه ثلاثُ
خلالٍ لا بدّ منها قال : قلت : ما هي ؟ قال : يتفرّق من
الكلاب ولا والله ما خلّق الله دابةً أنا لها أشدُّ فرقاً من
الكلاب ، أو تكون في رجله قرحةٌ ولا والله ما فارقتُ
رجلي قرحةً قط أو يكون أحرق وأنتم أعلمُ بقاضيكُم .

(١) سبّذان : بلدة على أربعة فراسخ من البصرة .

ولي عذابة النميري قضاء البحرين فالتأت أهلها عليه
فركب فرسه وأخذ رُمحه وقال : والله لا أقضي إلا
هكذا من خالفني طعنته برمحي .

كان بالبصرة قاضٍ ، فاحتكم إليه حائكٌ في حمامة
فأخذها ومسح عينها ثم أرسلها . فقال الحائكُ : ما فعلت
أيها القاضي ؟ قال : تذهبُ إلى بيت صاحبها .

وتقدم إليه رجلانٍ ومعهما امرأةٌ فقال أحدهما :
أصاحك الله . هذه امرأتِي تزوجتُها على ستين درهماً
وهذا يدعي أنه يتزوجها على سبعين فقال القاضي :
عليّ بشمانين . فقالا : أصاحك الله جئناك لتقضي بيننا ،
لم نجعلك لتزادنا . قال القاضي : فأنتما في شِرٍّ وبيعٍ ،
قوما في لعنة الله .

تقدم إلى قاضٍ اثنان غادعي أحدهما على صاحبه
ثلاثة أرباع دينارٍ . فقال القاضي : ما تقول ؟ قال له :
عليّ دينارٌ غير ربعٍ ، ففكر ساعةً ثم قال : أما تستحيان

في هذا القدر . إنَّما بينكما ثلثُ دينار ! قوما فاصطلحا
فالصِّلحُ خيرٌ .

واختصم إليه رجلان في ديكٍ ذبحته أحدهما فقال :
ارتفعوا إلى الأمير ، فإنَّنا لا نحكُّم في الدماء .

وعزل يحيى بنُ أَكْثَمَ قاضياً كان له على حمص
من أهلها فلمَّا قدم إليه رأى شيخاً وسيماً فقال له : من
جالستَ يا شيخُ ؟ فقال : أبي . فظنَّ أنَّ أباهُ من أهلِ
العامِ . قال : فمن جالسَ أبوك ؟ قال : مكحولاً (١)
قال : فمن جالسَ مكحول ؟ قال : سفيانَ الثوري .
قال : ما كان يقول أبوك في عذابِ القبر ؟ قال : كان
يكرهه .

تزوج بعضُ الحصيان في زمنِ شُرَيْشَحٍ بامرأة
فأنت بولده فتبرأ الحصِيُّ منه وترافعا إلى شُرَيْشَحٍ . فألحق

(١) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الولدَ به وألزمه أن يحمله على عاتقه فخرج على تلك
الصورة واستقبله خصيُّ آخر . فقال له : انجُ بنفسك
فإنَّ شرَّيحا يريدُ أن يفرِّقَ أولادَ الزَّنى على الحصيانِ .

• • •

الباب الحادي عشر

تَوَادِرُ لِأَصْحَابِ النِّسَاءِ وَالزُّنَّاءِ وَالزَّوَانِي

قال بعضهم لأعرابي : هل يَطْأُ أَحَدُكُمْ عَشِيقَتَهُ ؟
فقال : بَأبي أنت وأمي ذاك طَالِبٌ وَلَدٍ لَيْسَ ذَاكَ بِعَاشِقٍ .
سمعَ إسماعيلُ بنُ غَزْوَانَ قولَ اللهِ تبارك وتعالى
« قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ
عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ » ذَلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ » (١)
فقال : لا وَاللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ بِأَغْزَلٍ مِنْ الْفَاسِقَةِ .
ولما سَمِعَ بِكَثْرَةِ مُرَاوِدَتِهَا لِيُوسُفَ وَاسْتَعْصَامِهِ بِاللَّهِ
قال : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ بِي مَحْتَكَّتْ (٢) .

أشارَ ضيفٌ لقومٍ إلى بنتٍ لهم بِقُبْلَةٍ وهي خَلْفُ
الْحَبَاءِ ، فلما سَمِعَ الشَّيْخُ قولَ الجاريةِ : إِنِّي إِذَا
الطَّوِيلَةُ الْعُنُقِ قال : وَبِيتِ اللَّهُ لَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا بِقُبْلَةٍ .

(١) سورة يوسف : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) محك : ليج في المنازعة .

أتى نوفلُ بابن أخيه وقد أحبلَ جاريةً لغيره فقال :
يا عدو الله ، هلا إذا ابتليت بالفاحشة عزلت . قال :
بلغني أن العزل مَكْرُوه . قال : أفما بلغك أن الزنى
حرام .

جاء رجلٌ إلى عابدٍ فسأله عن القُبلة للصَّائم ،
فقال : تُكْرَهُ للحدث ، ولا بأسَ بها للمُسْنِ ، وفي
الليل لك فُسْحَةٌ . فقال : إن زوجتها يعودُ إلى منزله
إيلاً فقال : يابن أخ ، هذا يُكره في سؤالٍ أيضاً .

أخذ رجلٌ مع زنجية وكان قد أعطاه نصفَ درهم ،
فلما أتى به إلى الوالي أمرَ بتجريدِه وجعل يضربه
ويقول : يا عدو الله ، تزني بزنجية ! فلما أكثر
قال : أصلحك الله ، فبنصفِ درهمٍ إيش أجدُ ،
ومن يعطيني ؟ فضحك وخلّاه .

وجد شيخٌ مع زنجية في ليلة الجمعة في مسجدٍ ،
وقد نَوَّمَهَا على الجنَازَةِ (١) ف قيل له : قَبَّحك الله
يا شيخ . فقال : إذا كنت أشتهي وأنا شيخٌ لا ينفَعُني

(١) الجنَازة - بكسر الجيم - السرير الذي يحمل عليه الميت .

شبابكم ، قالوا : فزنجية* : قال : من يزوجني منكم
بعربية ؟ قالوا : ففي المسجد ! قال : مَنْ يُفَرِّغُ لي
بيته منكم ساعة ؟ قالوا : فعلى جنازة ! قال : من يعطيني
سريره . قالوا : فليلة جمعة قال : إن شئتم جئتكم
ليلة السبت فضحكوا منه وخلّوه .

وكان بعضهم في مجلس شرب فيد مغنيات فقامت
واحدة منهن فكانت مليحة ، فوضعت الطبل وقعدت
عليه ، فقال : يا اخوتي . ما كنت أحسب أنني أحب يوماً
ما أن أكون طبلًا حتى الساعة !

كان بشيراز رجل وله زوجة فاسدة ، فنزل به
ضيف فأعطاهم دراهم وقال لها : اشترى لنا رؤوساً
تغدي بها ، فخرجت المرأة ولقيها حريف^(١) فأدخلها
إلى منزله وأحسن بهما الجيران ، فرفعوهما إلى السلطان .
وضربت المرأة وأركبت توراً أيطاف بها في البلد
فلمّا أبطأت على الرجل خرج في طلبها ، فرآها على تلك
الحال فقال لها : ما هذا ويلك ؟ قالت : لا شيء انصرف

(١) الحريف : المعامل في الحرفة ، والمقصود هنا القواد .

أنت إلى البيت فإنَّما بقي صَفَّان : صفَّ العطارين - وصفَّ
الصَّيادلةِ - ثم اشترى الرعوس - وأجيثك .

قال، بعضهم : مررت ذات يوم بشارع السريِّ بِسَرٍّ
مَنْ رَأَى فرأيت امرأتى تمشي فظننتها من الباديةِ ،
فتعرضتُ لها وقلت : إلى أين يقصد الغزالُ ؟ فقالت لي :
إلى منزلها يا قليلَ المعرفةِ بأصحابه .

كان فُلان مفلساً فقال لامرأةٍ : أنا أحبك . قالت :
وما الدَّلِيلُ على ذلك ؟ قال : تعطيني قفيزَ دقيقٍ حتى
أعجنه بدموعِ عيني . قالت : على أن تجيءَ بخبزهِ إلينا .
قال : ياسيدتي ، فأنتِ تريدين خبازاً لا تريدين عاشقاً .

تزوج رجل بشيرازَ امرأةٍ فلما كان في اليومِ الخامسِ
من زفافها ولدتُ ابناً ، فقامَ الرَّجلُ وصارَ إلى السَّوقِ
واشترى لوحاً ودواةً فقالوا له : ماهذا ؟ قال : من يُولَدُ
في خمسةِ أيَّامٍ يذهبُ إلى الكُتَّابِ في ثلاثةِ أيَّامٍ .

* * *

الباب الأول

(٥) من الجزء الخامس من نشر الدر .

كَلَامُ زِيَادٍ وَوَلَدِهِ (١)

قال : إِنْ تَأَخَّرَ جَزَاءُ الْمُحَنِّ لَوْمْ ، وَتَعَجَّلَ عِقُوبَةُ الْمُسِيءِ ذِنَاءٌ . وَالتَّيَّبْتُ فِي الْعُقُوبَةِ رَبُّمَا أَدَّى إِلَى سَلَامَةٍ مِنْهَا ، وَتَأَخَّرَ الْإِحْسَانُ رَبُّمَا أَدَّى إِلَى نَدَمٍ لَمْ يُسَكِّنْ صَاحِبَهُ أَنْ يَتَلَفَاهُ .

وَقَالَ زِيَادٌ لَوْ أَنَّ لِي أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلِي بَعِيرٌ أَجْرَبُ لَقَمْتُ عَلَيْهِ قَامَ رَجُلٍ لَا يَمْلِكُ غَيْرَهُ . وَلَوْ أَنَّ لِي عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ لَا أَمْلِكُ غَيْرَهَا ، وَلَزِمَنِي حَقٌّ لَوْضَعْتُهَا فِيهِ .

وَقَالَ لِابْنِهِ : عَلَيْكَ بِالْحِمَابِ ، فَإِنَّمَا تَمَجَّرَاتِ الرُّعَاةُ عَلَى السَّبَاعِ بِكَثْرَةِ نَظَرِهَا إِلَيْهَا .

وَنَحَطَبَ فَقَالَ : الْأُمُورُ جَارِيَةٌ بِأَقْدَارِ اللَّهِ ، وَالنَّاسُ مُتَصَرِّفُونَ بِمُشِيئَةِ اللَّهِ ؛ وَهُمْ بَيْنَ مُتَسَخِّطٍ وَرَاضٍ ،

(١) وَلَدُ زِيَادٍ : هُوَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، وَلَدَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ٥٢٨ هـ ، وَتُوفِيَ سَنَةَ ٥٦٧ هـ .

وكل يجري إلى أجلٍ وكتابٍ ، ويصيرُ إلى ثوابٍ أو
عقابٍ . ألا ربُّ مسرورٍ بنا لا نسرُّه ، ونخائفٍ ضدُّنا
لا نضرُّه .

وكان في مجلسه الذي يَأْذَنُ فيه الناسُ أربعةُ أسطرٍ
في نواحيه ، أولُها : الشدةُ في غيرِ عُنْفٍ ، واللينُ في
غيرِ ضَعْفٍ . والثاني : المُحْسِنُ يُجَازَى بِإِحْسَانِهِ ،
والمسيءُ يَكْفَأُ بِإِسَاءَتِهِ . والثالثُ : العَطَيَاتُ وَالْأَرْزَاقُ
في إِبْطَانِهَا وَأَوْقَاتِهَا . والرابعُ : لا احتجابَ عن صاحبِ
شُغْرٍ وَلَا مَظَارِقٍ لَيْلٍ .

قدمَ رجلٌ نَحْصُماً إلى زيادٍ في حَقِّ له عليه ،
فقال : إِنْ هَذَا يُدَلُّ بِمُحَاصَّةٍ ذَكَرَ أَنَّهَا لَكَ مِنْكَ . فقال
زيادٌ : صدقَ . وسأخبرُكَ بما ينفعُكَ عندي مِنْ مودته
إِنْ يَكُنْ الْحَقُّ لَكَ أَخَذْتُكَ بِهِ أَخْذاً عَنِيفاً ، وَإِنْ يَكُنْ الْحَقُّ
لَكَ عَلَيْهِ أَقْضِي عَلَيْهِ ثُمَّ أَقْضِي عَنْهُ .

وقال : ليس العاقلُ الذي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ إِذَا وَقَعَ ،
ولكن العاقلُ الذي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ أَلَّا يَقَعَ فِيهِ .

قالوا : قدم زياد^(١) البصرة والياً لمعاوية والفسق^١
بالبصرة ظاهر فاش فخطب خطبة بترأء لم يحمد الله فيها .
ويقال : بل قال : الحمد لله على أفضاله ، ونسأله
المزيد من نعيمه وإكرامه . اللهم كما زدتنا نعماً
فألهمنا شكراً . أما بعد :

فإن الجاهلية الجهلاء ، والضلالة العمياء والغبي^٢
المؤفدة لأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل^٣
عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ،
ولا يتعمشى منها الكبير . كأنكم لم تقرأوا كتاب
الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل
طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي^٤
الذي لا يزول .

أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدّت مسامعه
الشهوات ، واختار الذانية على الباقية ولا تذكروا أنكم
أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه :
من ترككم الضعيف يقهر ، ويؤخذ ماله ،

(١) البصرة : بلد بالعراق ، وأحد مواليه .

لم يكن منكم نُهاةٌ تمنعُ الغُواةَ عن دَلَجِ الليلِ ،
 و غارةِ النهارِ ؟ قَرَبْتُمْ القِرابَةَ ، و باعَدْتُمْ الدِّينَ .
 نَعْتَدِرُونَ بِغَيْرِ الْعُدْرِ وَتُغَضُّونَ عَلَى الْمُخْتَلِسِ ، كُلُّ
 امْرِئٍ مِنْكُمْ يَذُبُّ عَنْ سَفِيهِهِ صَنِيعَ مَنْ لَا يَخَافُ
 عَاقِبَتَهُ ، وَلَا يَرْجُو مَعَاداً . مَا أَنْتُمْ بِالْحُلَمَاءِ ، وَلَقَدْ
 اتَّبَعْتُمُ السُّفَهَاءَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ قِيَامِكُمْ
 دُونَهُمْ ، حَتَّى انْتَهَكُوا حُرْمَ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ أَطْرَقُوا
 وَرَاءَكُمْ كُنُوساً فِي مَكَانِيسِ الرِّيبِ . حَرَّمَ عَلَيَّ
 الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ حَتَّى أُسَوِّبَهَا بِالْأَرْضِ هَدماً وَاحِرَاقاً ،
 لِيَنِي رَأْيْتُ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَصْلَحُ إِلَّا بِمَا صُلِحَ بِهِ
 أَوَّلُهُ : لِيَنِي فِي غَيْرِ ضَعِيفٍ ، وَشِدَّةٍ فِي غَيْرِ عَنِيفٍ .
 وَلِيَنِي أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا أَخُذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْمَوْلَى ، وَالْمَقِيمَ بِالظَّاعِنِ ،
 وَالْمَقْبِلَ بِالْمُنْبِرِ ، وَالصَّحِيحَ مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ بِالسَّقِيمِ حَتَّى
 يَتَلَقَّى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ : « انْجُ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكَ
 سَعِيدٌ » (١) أَوْ تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ .

(١) أصل المثل : أنه كان لضبة بن أد ابنان : سعد وسعيد ، فخرجا
 يطلبان إبلا طما ، فرجع سعد ، ولم يرجع سعيد فكان ضبة إذا رأى سراذاً
 تحت الليل قال : سعد أم سعيد .

إِذْ كَذَبَ الْنَّهْرُ بِلِقَاءِ (١) مَشْهُورَةً ، فَلِذَا تَعَلَّقْتُمْ
 عَلَيَّ بِكَذِبَةٍ فَقَدْ حُلَّ لَكُمْ مَعْصِيَتِي . مَنْ نَقِيبَ عَلَيْهِ
 مِنْكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ ، فَلِإِيَّايَ وَدَلِجَ اللَّيْلِ ،
 فَلِإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْلِجِ (٢) إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ وَقَدْ أَجَلَّتْكُمْ
 فِي ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يَأْتِي الْخَبِيرُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ .
 وَلِإِيَّايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (٣) ، فَلِإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا
 بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ أَحْدَاثًا لَمْ تَكُنْ ، وَقَدْ
 أَحْدَثْنَا لَكُمْ ذَنْبَ عَقُوبَةٍ ؛ فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْنَاهُ ،
 وَمَنْ أَحْرَقَ عَلَى قَوْمٍ أَحْرَقْنَاهُ وَمَنْ نَقَبَ عَلَى قَوْمٍ بَيْتًا
 نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَاهُ فِيهِ حَيًّا كَفُفُوا
 عَنِّي أَيْدِيَكُمْ ، وَأَلَسْتُكُمْ أَكُفَّ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي .
 وَلَا يَظْهَرُ مِنْ أَحَدِكُمْ خِلَافٌ مَا عَلَيْهِ عَامَتُكُمْ إِلَّا ضَرْبَتْ
 عُنُقُهُ . وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ لِحَنٌ (٤) فَجَعَلْتُ
 ذَلِكَ دَبْرًا أَذُنِي ، وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَاذَ مِنْكُمْ

(١) بِلِقَاءِ : الْبَلَقُ : السَّوَادُ وَالْبَيَاضُ . وَالْمَعْنَى : وَاضِحَةٌ وَظَاهِرَةٌ .

(٢) الْمُدْلِجُ : مَنْ أَدْلَجَ : سَارَ أَوَّلَ اللَّيْلِ .

(٣) الْمُرَادُ هَرِ التَّمْصِبِ الْأَصْبَى لِلْقَبِيلَةِ .

(٤) الْإِحْنُ : جَمْعُ إِحْنَةٍ : الْحَقْدُ .

مُحْسِنًا فَلْيَزِدْهُ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَرْتَدِعْ
عَنِ إِسَاءَتِهِ . إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلُّ
مَنْ بَغَضِي لَمْ أَكْشِفْ عَنْهُ قَنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا حَتَّى
يُبْشِرَنِي بِصَفْحَتِهِ ، فَإِذَا فَعَلَ لَمْ أَنَاظِرْهُ فَاَسْتَأْنِفُوا
أُمُورَكُمْ ، وَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، قُرْبُ مَبِيتَتِكُمْ
بِقُدُومِهَا سَيَسْرُّ ، وَمَسْرُورٍ لَقَدْ بَدَّوْنَا سَيِّئَتِكُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَامِعًا ، وَعَنْكُمْ ذَادَةً ،
نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَاهُ ، وَنَلْزُودُ عَنْكُمْ
بِفِيءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا . فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا
أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَلَيْنَا . فَاَسْتَوْجُوا
عَدْلَنَا وَفِيئَتَنَا بِمُنَاصَحَتِكُمْ لَنَا .

وَاعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَّرْتُ عَنْهُ فَإِنْ أَقْصَرَ عَنْ ثَلَاثٍ :
أَسْتُ مُحْتَاجًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ ، وَلَوْ أَنَا فِي طَارِقٍ
يَلْدِي ، وَلَا نَابِسًا عَطَاءً وَلَا رِزْقًا عَنْ إِيَّانِهِ ، وَلَا
مُجَمَّرًا (١) لَكُمْ بَعْدًا ، فَادْعُوا اللَّهَ بِالْإِصْلَاحِ لَا تَعْتَكُمُ ،
فَلَنْهُمْ مَسَاسَتُكُمْ الْمُؤَدَّبُونَ ، وَكَهْفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ .

(١) يُقَالُ : جَمَرَ الْجَيْشَ أَيَّ حَبَسَهُ .

ومتى صلحوا تصالحوا ، ولا تشربوا قلوبكم
بغضهم فيشتدّ لئلك غيظكم ، ويطول لئلك حزنكم ،
ولا تذكرّوا حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم
كان شراً لكم . أسأل الله أن يعين كلّاً على كلّ .

وإذا رأيتوني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على
أذلاله (١) ، وأيّم الله إن لي فيكم لصراً كثيرة
فليحذر كلّ امرئ أن يكون من صرّعاي .

قال : فقام عبد الله بن الأهمّ ، فقال : أشهد
أيّها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . فقال
له : كذبت . ذاك نبي الله داود صلي الله عليه وسلم .
فقام إليه الأحنف بن قيس ، فقال : إنما الثناء
بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإننا لا نثنّي حتى
نبتلي ، ولا نحمد حتى نعطي .

فقال زياد : صدقت .

قال : فقام أبو بلال يهمس وهو يقول : أنبأنا
الله — جل وعز — بغير ما قلت . قال الله تبارك وتعالى :

(١) على أذلاله : أي على وجهه وطرقه . وأذلال جمع ذل بالكسر .

« وإبراهيمَ الذي وقى . ألا تزرُ وازرة وزرَ أخرى .
وأن ليسَ للإنسانِ إلا ما سعى . وأنَّ سعيه سوف
يُرى . ثمَّ يُجزَّاهُ الجزاءَ الأوفى (١) » وأنت تزعُم أنك
تأخذُ الصحيحَ بالقيم ، والمطيعَ بالعاصي ، والمقبِلَ
بالمُدبرِ .

قال زيادٌ لحاجبه : يا عجلانُ ، إنني وليتُك هذا
البابَ ، وعزلتُكَ عن أربعةٍ : عزلتُكَ عن هذا المنادي
إذا دَعَا للصلاةِ ، فلا سبيلَ لكَ عليه ، وعن طارقِ
الليل ، فشرُّ ما جاء به . ولو جاء بخير ما كنتَ من حاجبه .
وعن رسولِ صاحبِ الثغرِ (٢) فإن إبطاءَ ساعةٍ يُفسدُ
تدبيرَ سنةٍ فأدخله عليٌّ وإن كنتُ في ليحافي . وعن هذا
الطباخِ إذا فرغَ من طعامه فإنه إذا أُعيدَ عليه التسخينُ فسدَ .
وقال يُعجبُني من الرجلِ إذا سيمَ خُطَّةَ الضيمِ أن
يقول : لا بملء فيه وإذا أتى نادِي قومٍ علِمَ أين ينبغي
لمثله أن يجلسَ ، فجلسَ . وإذا ركبَ دابةً حملها على
ما يُحب ، ولم يتبعها إلى ما يكره .

(١) سورة النجم من ٣٧ - ٤١ .

(٢) صاحب الثغر : قاله الجيش المواجه للعدو .

وكان حارثةُ بنُ بدر (١) الغُدَّانيُّ قد غلبَ عليَّ زيادٌ — وكان الشرابُ قد غلبَ عليه (٢) — فقبل لزيادٍ :
 إن هذا قد غلبَ عليك وهو مُستهترٌّ بالشرابِ فقال زيادُ :
 كيف باطَّراح رجلٍ هو يُسائرُني ؟ قد دخلتُ عليه
 العراقَ ، فلم يصبكُ ركباني ركاباه ومارا كبني قطُّ
 فمستَّ رُكبتِي ركبتهُ ولا تقدمني فنظرتُ إلى قفاه ،
 ولا تأخَّرَ عني فلويتُ عُني إلى ، ولا أخذَ عليَّ الشمسَ
 في شتاءٍ قطُّ ، ولا الرِّوْحَ في صيفٍ قطُّ ، ولا سألتُهُ عن
 علمٍ إلا ظننتُهُ لم يُحسنَ غيره .

فلما مات زياد جفاهُ عبيد الله ، فقال له حارثةُ :
 أيها الأميرُ . ما هذا الجفاهُ . مع معرفتك بالحال عند أبي
 المغيرة ؟ فقال له عبيدُ الله : إن أبا المغيرة كان قد برع
 برُوعاً لا يلحقه معه عيبٌ وأنا حَدَّثْتُ ، وإنما أنسبُ
 إلى مَنْ تغلبَ عليَّ ، وأنت رجلٌ تُديمُ الشرابَ ، فمتي

(١) حارثة بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها . وكان
 زياد مكرماً له قابلاً لرأيه فلما ولي عبيد الله بن زياد أخر جارة بعض التأخير .
 (٢) أي على حارثة بن بدر .

قَرَّبْتُكَ ، فظهرت رائحةُ الشرابِ منك لم آمنُ أن
يُظنَّ بي . فدعِ النبيلةَ ، وكنْ أولَ داخلٍ ، وآخرَ
خارجٍ .

فقال له حارثةُ : أنا لأدعُ من يحلكُ ضرِّي ونفعي .
أفأدعُ للحالِ عندك ؟ قال : فاختَرُ من عملي ما شئت .
قال : تُولِّيني رامهرمز (١) فإنها أرضٌ عذِيَّةٌ (٢)
ومُسْرِقٌ (٣) وإنَّ بها شراباً وصِفَ لي عنه . فولاه إياه .
وفيه قيل :

أحارِ بنُ بدرٍ قدْ وَلَّيتَ ولايةً
فكنْ جُرْذاً فيها تحْضُونُ وتسْرِقُ (٤)

• • •

(١) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

(٢) أرض عذية : العذاة : الأرض الطيبة البعيدة من الماء ، والوخم .

(٣) سرق : إحدى كور الأهواز .

(٤) قالل هذا البيت أبو الأسود الدؤلي من قصيدة يشيع بها حارثة

ابن بدر . وحار : منادى مرخم .

الباب الثاني

كلامُ الحجاج (١)

نخطب فقال : أيُّها الناسُ . مَنْ أعْيَاه دَاوُّهُ
فعندي دَوَاؤُهُ ، ومن استَبْطَأَ أَجْلَهُ ، فعليَّ أَنْ أعْجَلَهُ .
وَمَنْ ثَقُلَ عَلَيْهِ رَأْسُهُ وَضَعْتُ عَنْهُ ثِقْلَهُ ، ومن استَطَالَ
ماضي عمره قَصَرْتُ عَلَيْهِ باقيةً .

إِنَّ لِلشَّيْطَانِ طَيْفًا (٢) ، وَلِلسَّاطَانِ سَيْفًا ، فمن
سَقَمَتْ سَرِيرَتُهُ صَحَحْتُ عَقُوبَتَهُ ، وَمَنْ وَضَعَهُ ذَنْبُهُ
رَفَعْتُ صَلْبَهُ ، وَمَنْ لَمْ تَسَعَهُ الْعَافِيَةُ (٣) لَمْ تَضِقْ عَنْهُ

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي . ولي الحجاز سنين ،
ثم العراق ، وخراسان عشرين سنة ، وأقره الوليد على عمله بعد أبيه عبد
الملك بن مروان . توفي في رمضان سنة ٨٩٥ عن خمسين سنة .

(٢) المراد بطيف الشيطان : لمس من الشيطان ، وقولهم : طيف
من الشيطان كقولهم : لمس من الشيطان .
(٣) العافية : السلامة .

الهلكة : ومن سبقته بادرة^(١) فمعه سبق بدنه
بسفك دمه .

إني أنذر ثم لا أنظر^(٢) ، وأحذر ثم لا أعذر ،
وأتوعد ثم لا أغفر إنما أفسدكم ترثيق^(٣) ولا تكم .
ومن استرعى لبيبه^(٤) ساء أدبه .

ونخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته : والله ما بقي
من الدنيا إلا مثل مامضي ، وهو أشبه به من الماء بالماء .
والله ما أحب أن مامضي من الدنيا لي بعمامتي هذه .

وقال على المنبر يوماً : والله لألحونكم^(٥) لحو
العصا ، ولأعصينكم عصب السلمة ، ولأضربنكم

(١) بادرة فمه : البادرة ما يخرج من الفم من غير قصد في غضب
أو غيره ، والمراد سبق بدنه سفك دمه : سرعة قتله انتقاماً منه .

(٢) فظره : تألى عليه ، وأنظره : أخره .

(٣) الترثيق : كسر جناح الطائر من داء أو رمي حتى يسقط والمراد :
الضغط في الأمر .

(٤) اللبب : ما يشد في صدر الدابة أو الناقة ، ويكون للرجل
والسرج يمتنعها من الاسترخاء .

(٥) لألحونكم : لحا العصا : قشرها .

ضربت غرائب الإبل (١) . يا أهل العراق ، يا أهل
 الشقاق والنفاق ، ومساوىء الأخلاق . إني سمعتُ
 لكم تكبيراً ليس بالتكبير الذي يُراد به الله في الترغيب ،
 ولكنه التكبير الذي يُراد به التهيب . وقد عرفنا أنها
 عِجاجةٌ تحتها قصفٌ . أي بني اللكيعه (٢) ، وعبيدُ
 العصا ، وأبناء الإماء . إنما مثلي ومثلكم ما قال ابنُ
 بَرّاقة الحمداني (٣) :

وكنّت إذا قومٌ غزوني غزوتهم
 فهل أنا في ذا يالَ همدانَ ظالمٌ ؟

متى نجمع القلبَ الدكيَّ وصارماً
 وأنفاً حميماً ، تجتنبك المظالمُ

أما والله لا تفرعُ عصاً عصاً إلا جعلتها كأمسِ
 الدّاهب .

(١) غرائب الإبل : هذا مثل ضربه لنفسه مع رعيته يهددهم ؛ وذلك
 أن الإبل إذا وردت الماء فدخلت عليها ضربة من غيرها ، ضربت وطردت
 حتى تخرج عنها .

(٢) المراد وصفهم باللوم .

(٣) هو عمرو بن بَرّاقة بن براق .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : رُبُّما سمعتُ الحجاجَ يذكرُ
ما صنعَ به أهلُ العراقِ ، وما صنعَ بهم ، فيقعُ في نفسي
أنهم يظلمونه لبيانه ، وحسنِ تخلصه للحجاج .
وخطبَ الحجاجُ مرةً فقال : اللهم أرني الغيَّ غيًّا
فأجتنبه ، وأرني الهدى هدىً فأتبعه ، ولا تكلني إلى
نفسي فأضلَّ ضلالاً بعيداً .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : غدوتُ إلى الجمعة ، فجلستُ
قريباً من المنبر ، فصعد الحجاجُ ثم قال : امرؤُ زورٌ
عماله (١) ، وامرؤُ محاسبُ نفسه ، امرؤُ فكيرٌ فيما
يقرؤه غداً في صحيفته ، ويراه في ميزانه . امرؤُ كان عند
قلبه زاجرٌ ، وعند همهَّ آمرٌ ، آخذٌ بعنان قلبه كما يأخذُ
الرجلُ بخطامِ جَمَاسِهِ ، فإن قادهُ إلى طاعةِ الله تبيعه ،
وإن قادهُ إلى معصيةِ الله كَفَّته .

وكان يقول : إنا والله ما خلقنا للفناء ، وإنما خلقنا
للبقاء ، ولكنَّ نُنتقلُ من دارٍ إلى دارٍ .

(١) زور عمله : حسه .

وخطب يوما فقال : إن الله أمرنا بطلب الآخرة ،
وكفانا مؤونة الدنيا ، فليتنا كُفينا مؤونة الآخرة ،
وأمرنا بطلب الدنيا .

فقال الحسن : ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق .

وأهدى إلى عبد الملك (١) فرساً وبغلةً وكتب إليه :
وجهتُ إلى أمير المؤمنين فرساً سهلاً الخد ، حسنَ
القد ، يسبقُ الطرف ، ويستغرقُ الوصف . وبغلةً
هوأما زمامها وسوطها .

وكان يقول : العفو عن المقر لا عن المصّر .

وقال : الكوفة امرأة حسناء عاطل (٢) ، والبصرة
عجوزٌ درداء (٣) ، قد أوتيت من كل شيء .

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد ،
من أعظم الخلفاء ودهائم . استعمله معاوية على المدينة سنة ١٦ سنة ،
وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ .

(٢) العاطل : الخالية من الزينة .

(٣) العجوز الدرداء : الدرداء : مؤنث أدر ، والأدر : رجل

ليس في فيه سن .

وقال له بعضُ ولاة الحجاز : إن رأى الأميرُ أن يستهديني ما شاء فابذلْ .

قال : أستهديك بغلةً على شرطى . قال : وما شرطُك ؟ قال : بغلةٌ قصيرةٌ شعرُها ، طويلٌ عِنانُها ، دمُها أمامُها ، وسوطُها لجامُها ، تستبينُ فيها العلفَةُ ، ولا تهزُلُ الركبةُ .

وقال يوماً لجلسائه : ما يُذهبُ الإِعياء ؟ فقال بعضهم : التمرُ . وقال آخر : التمرُحُ وقال آخر : النومُ . قال : لا ، ولكن قضاءُ الحاجةِ الّتي أعْيَا بسببها .

كتب الحجاجُ إلى قُتيبة : لا تهجُنْ بلاءَ أحدٍ من جنُديك وإن قلَّ ، فإنك إذا فعلت ذلك لم يرغبُ أحدٌ منهم في حُسْنِ البلاءِ . وأعطى الذي يأتُيك بما تكرهه صادقا مثل الذي يأتُيك بما تحبُّ كاذبا ، فإنك إن لم تفعل غروك ولم يأتوك بالأمر على وجهه . واعلم أنه ليس للكذوبِ رأيٌ ، ولا في حسودٍ ، حيلةٌ .

وقال الكاتبُ : لا تجعلنَّ مالي عند من لا أستطيع أخذه منه . قال : ومن لا يستطيع الأسيرُ أن يأخذه منه ؟ قال : المفلسُ .

وكتب الوليدُ بن عبد الملك إليه يأمره أن يكتب
إليه بسيرته . فكتب إليه : إني قد أيقظت رأيي ، وأُثمتُ
هواي ، فأدْنيتُ السيّد المطاع في قومه ، وولّيتُ الحرب
الحازم في أمره ، وقادّدتُ الخراج الموفّر لأمانته ،
وقسمتُ لكلّ خصمٍ من نفسي قسماً أعطيه حظّاً من
نظري ، واطيف عنائي ، وصرفتُ السيف إلى النّطف (١)
المسيء والثواب إلى المُحسن البريء ، فخاف المُريب
صوّة العقاب ، وتمسّك المُحسن بحظّه من الثواب .
وقال : لأطلبنّ الدّنيا طالب من لا يموت أبداً
ولأُنْفِقَنَّهَا كَمَنْ لا يعبر أبداً .

قال بعضهم : رأيتُ الحجاج وعنبة بن سعيد
واقمّيتن على دجلة . فأقبل الحجاجُ ، وقال : يا عنبة ،
إذا كنت في بلد يضعفُ سلطانُهُ ، فأخرجْ عنه ؛ فإن
ضعف السلطان أضرتْ على الرعية من جُوده .
وكان يقول : خيرُ المعروف ما نعتت به عثرات
الكرام .

(١) النطف : العيب . يقال : هم أهل الريب والنطف : التلطف بالعيب .

وضرب رجلاً فقال : اعتديت أيها الأمير . فقال :
((فلا عُدُّوان إلا على الظالمين)) (١) .

وقف رجلٌ له فقال : أصْلَح اللهُ الأمير ، جئني
جَنان في الحَيِّ ، فأخذتُ بحريـرته ، وأسقط عطائي .
فقال : أمّا سمعت قول الشاعر :

جانك مَنْ يَجْعَلِي عَلَيْكَ وَقَدْ
تُعْـدِي الصَّحاحُ مَبَارِكُ الْحَرْبِ
وَلِرُبٍّ مَأْخُودٍ بِذَنْبٍ صَدِيقِيهِ
وَنَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الدَّانِبِ

فقال الرجلُ : كتابُ الله أولى ما اتَّبِع . قال الله تعالى :
((مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا
عِنْدَهُ)) (٢) . فقال الحجاجُ : صدقت . وأمر بردَّ عطائه .

وقيل له — وقد احتضر — : ألا تَتُوبُ ؟ فقال :
إن كنت مُسيئاً فليستْ هذه ساعة التَّوبَةِ ، وإن كنتُ
مُحْسِناً فليستْ ساعة النِّمَـزِ .

(١) سورة البقرة : ١٩٣ وأولها « فإِنْ أَنْتَهِوا فَلَا ... »

(٢) سورة يوسف : ٧٩ وأولها : « قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ » .

وقال على المنبر : اقدعوا هذه الأَنفُسَ فانها أَسْأَلُ
شيءٌ إِذَا أُعْطِيَتْ ، وأَعْصَى شيءٌ إِذَا سُئِلَتْ . فرحم
اللهُ أَمْرًا جعل لنفسه خطاءاً وزماماً ، فقادهما بخطامها
إلى طاعة الله ، وعطفها بزمامها من معصية الله ؛ فلإني رأيت
الصبر عن محارمه أيسر من الصبر على عذابه .

وكان يقول : إِنْ أَمْرًا أَتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مِنْ عُمْرِهِ
لم يذكر ربّه ، ولم يستغفر من ذنبه ، أو يفكر في معاده .
بلحدير " أَنْ تَطُولَ حَسْرَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

كان الحجاجُ إِذَا اسْتَغْرَبَ صَحِيكًا وَاتَى بَيْنَ
الاستغفار . وكان إِذَا صَعِدَ المنبرَ تَلَفَّعَ بِمِطْرَفِهِ (١) ، ثُمَّ
تَكَاسَمَ رَوِيدًا فَلَا يَكَادُ يُسْمَعُ مِنْهُ ، ثُمَّ يَتَزَيَّدُ فِي الْكَلَامِ
حَتَّى يُخْرِجَ يَدَهُ مِنْ مِطْرَفِهِ يَزْجُرُ الزُّجْرَةَ فَيَقْرَعُ بِهَا
أَقْصَى مَنْ فِي الْمَسْجِدِ . وَكَانَ يُطْعِمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى
أَلْفِ مَائِدَةٍ ، عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ ثَرِيدٌ وَجَنْبٌ مِنْ شِوَاءٍ ،
وَسَمَكَةٌ طَرِيَّةٌ . وَيَطَافُ بِهِ فِي مِحْفَةِ (٢) عَلَى تِلْكَ

(١) والمطرف : رداء من خبز مربع ، ذو أعلام ، والمطرف من
التياب : ما جعل في طرفيه علمان .

(٢) المحفة بالكسر مركب من مراكب النساء كالهودج إلا أنها
لا تقب كالهودج .

الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة . ثم
يقول : يَا أَهْلَ الشَّامِ . كَسِّرُوا الْخُبْزَ (١) لثَلَا يُعَادَ
عَلَيْكُمْ .

وكان له ساقيان : أحدهما يسقي الماء والعسل ،
والآخر يسقي اللبن .

يُروى عن محمد بن المنتشر الهمداني ، قال : دفع
إليّ الحجاج « أ زاد » مُرْد بن الهزبل ، وأمرني أن أستخرج
منه ، وأغليظ له . فلما انطلقتُ به قال لي : يا محمد ،
إن لك شرفاً وديناً ، وإني لا أعطي على القسْرِ شيئاً ،
فاستأدني (٢) ، وارفُقْ بي . قال : ففعلت : قال : فأدّني
إليّ في أسبوع خمسمائة ألف . قال : فبلغ ذلك الحجاج ،
فاغضبته ، وانتزعه من يدي ، ودفعه إلى رجل كان يتولّى
له العذاب ، فلدق يديه برجليه ، ولم يعطهم شيئاً .

قال محمد بن المنتشر : فلّني لأمرٌ يوماً في السوق
إذا صائح بي : يا محمد . فالتفتُ فإذا به معروضاً على

(١) كناية عن كثرة الطعام ووفرة الخيرات .

(٢) استأذاه : طلب منه أداء ما عليه .

حمار ، مَوْثُوقَ اليدين والرجلين فخِفْتُ الحجاج إن
أَتَيْتُهُ ، وتذمت (١) منه . فملتُ إليه فقال لي : إناك وليت
مني ما ولي هؤلاء ، فَرَفَقْتُ بي فأحسنت إلي ، ولأنهم
صنعوا بي ما ترى ، ولم أعطهم شيئاً . وها هنا خمسمائة
ألف عند فلان . فخذها ، فهي لك .

قال : فقلت : ما كنتُ لأخذ منك على معروفٍ
أجراً ، ولا لأرْزأك على هذه الحال شيئاً .

قال : فأما إذْ أبيتَ فاسمعْ أحدُك : حدثني بعض
أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا
رضيَ اللهُ عن قومٍ أمطرهم المطرَ في وقته ، وجعلَ المال
في سَمَحَاتِهِمْ ، واستعملَ عليهم خيارَهم ، وإذا سَخِطَ
اللهُ على قومٍ استعملَ عليهم شيرارَهم ، وجعلَ المالَ عند
بخلانهم ، وامطرَ المطرَ في غيرِ حينه .

قال : فانصرفتُ ، فما وضعتُ ثوبي حتى أتاني
رسولُ الحجاج يأمرني بالمسيرِ إليه . فألفيته جالساً على
فرشه . والسيفُ مُنْتَضِي في يده . فقال لي : اُدْنُ .

(١) تَذَمَّتْ مِنْهُ : أَيِ اسْتَحْيَيْتْ مِنْهُ ، وَاسْتَنْكَفَتْ .

فدنوتُ شيئاً ، ثم قال : اُدْنُ . فدنوتُ شيئاً . ثم صاح
الثالثة : اُدْنُ . لا أبالك ! ! فقلت : ما بي إلى الدُّنُوِّ من
حاجة . وفي يد الأمير ما أرى . فأضحك الله سنَّه ،
وأغمدَ عني سيفَه . فقال لي : اجلس . ما كان من حديث
الخبث ؟

فقلت له : أيُّها الأميرُ . والله ما غشيتُك منذ
استنصحتني ، ولا كذبتُك منذ استخبرتني ، ولا خنتُك
منذ ائتمنتني . ثم حدَّثته الحديث .

فلما صرتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده أعرضَ
عني بوجهه ، وأومأ إليَّ بيده . وقال : لا تُسمِّه .
ثم قال : إنَّ للخبثِ نفساً ، وقد سمعَ الأحاديثَ ! !

• • •

الباب الثالث

كَلَامُ الْأَحْنَفِ (١)

رَأَى مَعَ رَجُلٍ دِرْهَمًا ، فَقَالَ : تَحِبُّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
أَمَّا إِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ حَتَّى تَفَارِقَهُ .

قَالَ : مَا عَرَضْتُ إِلَّا نِصَافَ عَلَى رَجُلٍ فَقَبِلَهُ إِلَّا هَيْبَتُهُ ،
وَلَا أَبَاهُ إِلَّا طَمَعْتُ فِيهِ .

وَقَالَ : لَا ذِيَّ تَحْكُكَ فِي نَاحِيَةِ بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَيْسَمٍ رَدَدْتُ عَنْهَا كُفُورًا .

وَقِيلَ لَهُ : مَنْ السَّيِّدُ ؟ قَالَ : الذَّلِيلُ فِي نَفْسِهِ ،
الْأَحْمَقُ فِي مَالِهِ ، الْمَعْنِيُّ بِأَمْرِ قَوْمِهِ ، النَّاضِرُ لِلْعَامَّةِ .

وَقَالَ : رَبُّ رَجُلٍ لَا تَمْلُ فَوَائِدَهُ وَإِنْ غَابَ ،
وَأَخَّرَ لَا يَسْلُمُ جَلِيسُهُ وَإِنْ احْتَسِرَسَ .

وَقَالَ : كُلُّ مُلْكٍ غَدَّارٌ وَكُلُّ دَابَّةٍ شُرُودٌ وَكُلُّ
امْرَأَةٍ خَوْفٌ .

(١) الْأَحْنَفُ : هُوَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي

الْحُلُمِ حَتَّى قِيلَ : « أَحْلَمُ مِنَ الْأَحْنَفِ » .

وقال : سهرتُ ليلةً في كلمة أُرضي بها سُلطاني .
ولا أَسْخَطُ بِهَا رَبِّيَ فما وجدتها .

وقيل له : ما الحلمُ ؟ قال : الرِّضاءُ بالذُّل .
وقيل لرجل : ليت طولَ حِلْمنا عنك لا يدعُو
جهلَ غيرنا إليك .

وقال : أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار
والنَّارَ .

وقال : وإياك والكسلَ والضَّجَرَ ، فإنك إن كسلتَ
لم تُؤدِّ حقاً ، وإن ضَجَّرتَ لم تصبرَ على حقٍّ .

وذكرَ رجلاً فقال : لا يحقرَ ضعيفاً ، ولا يحسدُ شريفاً .

وقال : الشريفُ مَنْ عُدَّتْ سَقَطَاتُهُ .

وقيل له : ما اللُّؤْمُ ؟ قال : الاستعصاءُ على الملهوف (١) .

قيل : فما الجود ؟ قال : الاحتياالُ للمعروف .

وسمعَ رجلاً يقول : ما بُتُّ البارحة من وَّجَعَ ضرسٍ .

(١) الاستعصاء على الملهوف : يقصد التلَكُّز في نجدة صاحب الحاجة .

وجعل يُكثر ، فقال له الأحنفُ : كم تكثُرُ ! ! فوالله
لقد ذهبتُ عيني منذ ثلاثين سنة ، فما قلتُ لأحد .
وقال : لستُ بحليم ولكني أتحامُ .

وقال يومَ قُتِلَ مُصْعَبٌ : انظروا إلى المُصْعَبِ ،
على أي دَابَّةٍ يخرجُ ؟ فإن خرج على بِرْذَوْنٍ (١) فهو
يريد الموتَ ، وإن خرج على فرس فهو يريد الحربَ .
قال : فخرج على برذونٍ يجرُّ بَطْنَهُ .

وقال الأحنفُ : استميلُوا النساءَ بحسنِ الأخلاقِ
وفُحْشِ النِّكَاحِ .

وقال : وجدتُ الحلمَ أنصرَ لي من الرجالِ .
وقال له رجلٌ : بِمَ سُدَّتْ ؟ قال : بِتَرْكِي من
أمرِك مالا يعنيني ، كما عَنَّاكَ من أمري مالا يعينك .
وقال : من حقِّ الصديق أن تُحْتَمِلَ له ثلاثٌ :
ظلمُ الغضبِ ، وظلمُ الدَّائَةِ ، وظلمُ الهَفْوَةِ .
خطب معاويةُ مرةً ، فقال : إن الله يقول في كتابه :

(٢) البرذون : تطلق هذه التسمية على غير العربي من الخيل .

« وإن من شيء إلا عندنا خزائنه » (١) فعلام تلوموني إذا قصرت في إعطياتكم ؟

فقال الأحنف : فجعلته أنت في خزائنك ، وحللت بيتنا وبينه ولم تنزله إلا بقدر معلوم .

وقال : مانازعني أحد قط إلا أخذت عليه بأمر ثلاثة : إن كان فوقي عرفت له قدره . وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه .

وقام بصفين ، فاشتد ، فقيل له : أين الحليم يا أبا ببحر ؟ قال : ذاك عند عقر الحي (٢) .

وقال : لا تشاور الجائع حتى يشبع ، ولا العطشان حتى يروى ، ولا الأسير حتى يُطلق ، ولا المصل حتى يجد ، ولا الراغب حتى ينجح .

وأتى مصعب بن الزبير (٣) يكلمه في قوم حبسهم ، فقال : أصالح الله الأمير ، إن كانوا حبسوا في باطل فالحق يُخرجهم وإن كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم ، فخلاهم .

(١) سورة الحجر : ٢١ .

(٢) يقصد بقوله : عقر الحي وقت السلم لا وقت الحرب حيث يكون مقيما بحيه وبلده .

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام ، وأخوه عبيد الله بن الزبير وأمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

وقال : السُّودْدُ ، مع السَّوَادِ . يريد أن السيّدُ مَنْ
أنتهُ السِّيَادَةُ في حدائته وسَّوَاد رأسه ولحيته .

وجلس على باب زياد ، فمرّت به ساقيةٌ ، فوضعت
قربتها ، وقالت : يا شيخُ . احفظْ قربتي حتى أعود ،
ومضتْ ، وأتاهُ الآذَنُ (١) فقال : انهضْ . قال : لا ،
فإن معي وديعةً . وأقام حتى جاءت .

وشتمه يوماً رجلاً وألحَّ عليه فقال له : يا ابنَ أُمِّي .
هل لك في الغداء ؟ فإنك منذُ اليومَ تحَدُّو بجَمَلٍ فقال (٢) .
وقال : كُنَّا نختلفُ إلى قيسِ بنِ عاصمِ (٣) في
الحِلْمِ ، كما يُختلفُ إلى الفقهاء في الفقه .

(١) الآذَنُ : الحاجب .

(٢) جمل ثغال بفتح الثاء والثفال من الإبل البطيء الثقيل الذي لا يكاد
ينبعث .

(٣) قيل للأحنف بن قيس : من تعلمت الحلم ؟ قال من قيس بن
عاصم المنقري ، رأيتُه قاعداً بفناء داره ، محتبياً بحمائل سيفه يحدث
قومه ، حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول . فقيل له : هذا ابن أخيك
قتل ابنك ، فرأته ما حل حيوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه
فقال : يا ابن أخيه ، أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت
ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : يا بني قم فوار أخاك ، وحل كتاف ابن
عمك ، وادق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فلأنها غريبة .

وشتمه رجلٌ ، فسكت عنه ، فأعاد ، فسكت ،
فقال الرجلُ : والهاءُ . ما يمنعه أن يردَّ عليَّ إلا هَوَانِي
عليه .

وقال الأحنفُ : مَنْ لم يصبر على كلمة سمع كلمات ،
ورُبَّ غيظٍ قد تجرَّعته مخافةَ ما هوَ أشدُّ منه .

وكان إذا أتاهُ إنسانٌ أوسعَ له ، فإن لم يجد موضعا
تحركَ ليريه أنه يوسعُ له .

وقال : ما جلستُ قطُّ مجلساً . فخفتُ أن أقامَ عنه
لغيري .

وكان يقولُ : إياك وصدرَ المجلس فلأنه مجلسٌ
قائمةٌ (١) .

وقال : خيرُ الإخوان مَنْ إذا استغثتَ عنه لم يزدك
في المودةِ ، وإن احتجتَ إليه لم ينقصك منها ، وإن
كُوثرَ عَصْدُكَ ، وإن احتجتَ إلى معونته رَفَدَكَ .
وقال : العتابُ مفتاحُ التَّقَالِي ، والعتابُ خيرٌ من الحقد .

(١) مجلس قلمة : إذا كان صاحبه يحتاج إل أن يقوم مرة بعد مرة .

وكان يقول : ما تزالُ العربُ بخير ما لبستِ العمائمَ ،
وتقلدتِ السيوف ولم تتعدَّ الحِلْمَ ذُلًّا ولا التواهبَ بينها
ضبعة .

قوله : لبستِ العمائمَ ؛ يريد ما حافظتُ على زيِّها .
وقال : ما شامتُ أحدًا منذُ كنتُ رجلًا ، ولا زحمتُ
رُكبتاي رُكبتيه ، وإذا لم أصل مُجتديَّ حتى يَنتحَ جبينه ،
كما تنتح الحميتُ (١) ، فوالله ما وصلته .
وقال : إني لأُجالسُ الأحمقَ الساعةَ فأَتبَّنُ ذلك
في عقلي .

وقال له معاويةُ : بلغني عنك الثقةُ فقال : إن الثقةَ لا يبلغُ .
وعُدَّت على الأحنفِ سقطةٌ ؛ وهو أن عمرو بن
الآهم (٢) دسَّ إليه رجلًا ليسفَّههُ . فقال : يا أبا
بحر : من كان أبوك في قومه ؟ قال : كان من أوسطهم ،

(١) الحميت من كل شيء : المتين ، والحميت : وعاء السن .

(٢) هو عمرو بن سنان الآهم التميمي المنقري ، ولقب أبوه بالآهم
لأن ثيته تمت يوم الكلاب . وكان عمرو هذا من عظماء بني تميم وساداتهم ،
ومن شعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام وقد وفد على الرسول عليه
السلام هو والزبير بن بدر وأسلم . وقد توفي عمرو سنة ٨٥٧ .

لم يسدّهم ولم يتخلف عنهم . فرجع إليه ثانية ، ففطن
الأحنف أنه من قبيل عمرو . فقال : ما كان مال أبيك ؟
قال : كانت له صرمة^(١) يمنح منها ، ويقري^(٢) ولم
يكن أهتم سكتاًحاً .

وسمع رجلاً يقول : التعلّم في الصغر ، كالنقش
على الحجر . فقال الأحنف : الكبير أكبر عقلاً ، ولكنه
أشغل قلباً .

ولم قدم على عمّار في وفد أهل البصرة وأهل
الكوفة فقضى حوائجهم قال الأحنف : إن أهل هذه
الأمصار نزلوا على مثل حداقة البعير ، من العيون العذّاب
تأثيهم فواكههم لم تتغير . ولما نزلنا بأرض سبخة
نشاشة^(٣) ، طرف لها بالفلاة ، وطرف بالبحر الأجاج^(٤)

(١) صرمة يمنح منها : الصرمة القطعة من الإبل ما بين العشرة
إلى الأربعين .

(٢) قري الضيف يقريه قري بالكسر والقصر ، والفتح والمدة :
أضافه ، كاتّراء .

(٣) أرض سبخة نشاشة : لا يحف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ،
والذي يقصده الأحنف بقوله « نزلنا سبخة نشاشة » : البصرة . أي
نزارة تنز بالماء .

(٤) الأجاج : الملح المر .

يَا تَيْنَا مَا يَا تَيْنَا فِي مِثْلِ مَرِيءِ النِّعَامَةِ ، فَإِنْ لَمْ تَرْفَعْ
نَحْسِيئَتَنَا (١) بِعِطَاءِ تَفَضُّلُنَا بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ هَلْكَ .

قِيلَ : لِمَا أَجْمَعَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ جَمْعَ الْخُطَبَاءِ
فَتَكَلَّمُوا - وَالْأَحْنَفُ سَاكِتٌ - فَقَالَ : يَا أَبَا بَحْرٍ .
مَا مَنَعَكَ مِنَ الْكَلَامِ ؟ قَالَ : أَنْتَ أَعْلَمُنَا بِبِرِّكَ لِيَلِيَهُ
وَنَهَارِهِ وَسِرُّهُ ، وَعَلَانِيَتِهِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْخِلَافَةَ
خَيْرٌ لَهُ فَاسْتَخْلِفْهُ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا شَرٌّ لَهُ فَلَا تُؤَلِّهِ
الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَذْهَبُ إِلَى الْآخِرَةِ ؛ فَلَتَمَّا لَكَ مَا طَابَ ،
وَعَالِيْنَا أَنْ نَقُولَ : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

وَقَالَ الْأَحْنَفُ : الْمَرْوَةُ كُلُّهَا إِصْلَاحُ الْمَالِ ،
وَبَذْلُهُ لِلْحَقُوقِ .

* * *

(٢) تَرْفَعُ نَحْسِيئَتَنَا : رَفَعَتْ مِنْ نَحْسِيئَتِهِ : إِذَا فَعَلْتَ بِهِ أَمْرًا يَكُونُ
فِيهِ رَفَعَتُهُ .

الباب الرابع

كلامُ المهلبِ وولده (١)

قيل للمهلب : ما النبلُ ؟ قال : أن يخرج الرجلُ
من منزله وحده ، ويعود في جماعة .
وقال : ما رأيتُ الرجال يضيقُ قلوبُها عند شيء
كما تضيقُ عند السرِّ .

خطب يزيدُ بنُ المهلب بواسط (٢) فقال : إنِّي
قد أسمع قول الرَّعاع : قد جاء مسلمةٌ وقد جاء العباسُ ،
وقد جاء أهلُ الشام . وما أهلُ الشام إلا تسعةُ أسياف :
سبعةٌ منها معي ، واثنان عليَّ . وأما مسلمةٌ فجرادةٌ

(١) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي البصري . نشأ في
دولة بني أمية ، ثم أمره مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه
عبد الله بن الزبير ، ثم ولاء عبد الله خراسان ، وهو الذي قاتل الخوارج ،
وكسر شوكتهم ، وقد توفي زمن ولاية الحجاج الثقفي سنة ٨٣ هـ . وأما
أولاده فهم : المغيرة ، ويزيد ، وقبيصة ، وعبد الملك ، وحبيب ،
ومحمد ، والمفضل ، ومدرك .

(٢) واسط : موضع بين البصرة والكوفة .

صفراء ، وأما العباسُ فنسطوسُ (١) بنُ نسطوس ،
أذاكم في بَرابرة (٢) وصقالبة (٣) .

ومن كلام المهلب : عجبتُ لمن يشتري الممالك
بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعرُوفه .

وقال يزيدُ بن المهلب لابنه مُخلد — حين ولّاه
جُرجان : استظرفُ كاتيك ، واستعقلُ حاجبتك .

قال حبيبُ بن المهلب : ما رأيت رجلاً مُستلثماً (٤)
في الحرب إلا كان عندي رجلين ، ولا رأيت حاسرين (٥)
إلا كانا عندي واحداً .

(١) نسطوس : اسم رومي يشير إلى أصل العباس بن الوليد حيث
كانت أمه رومية .

(٢) البرابرة : جمع بربري ، وهي تطلق في مصر على النوبيين أو
البرابرة ، كما يعرفون عادة بهذا الاسم الآن . وموطنهم الوادي العلوي
لنهر النيل من الجهات المجاورة لأسوان . وهم جنس خفيف الحركة ، نشط ،
يتعلمون بسرعة اللغة العربية أو أية لغة . ودينهم الإسلام . والبرابرة
جيل بالمغرب .

(٣) الصقالبة : هم جيل من الناس بين بلاد البفار والقسطنطينية .

(٤) رجلاً مستلثماً : أي لا بساً للأثمة ، وهي لباس الحرب .

(٥) الحاسر : من لا مغفر له ، ولا درع ، أولاً جنة له .

فسمع بعض أهل المعرفة هذا الكلام ، فقال : صدق :
إن السلاح فضيلة . أمّا تراهم يتنادون عند الصّرخ :
السّلاح السلاح ، ولا ينادون : الرّجال ، الرجال .

قيل ليزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ؟ فقال : منزلي
دار الإمارة أو الحبس .

أغاظ رجلٌ للمهلب ، فحلم عنه ، فقليل له : جهل
عليك وتحلمُ عنه ؟ فقال : لم أعرف مساوئيه ، وكرهت
أن أبهته بما ليس فيه .

قال يزيد بن المهلب : ما رأيتُ عاقلاً ينوبه أمرٌ
إلا كان مقولته على تحييه (١) .

وقيل له : إنك لتُلقي نفسك في المهالك . قال : إني
لستُ آتي الموت من حُبّه ، وإنما آتيه من بغضه ، ثم تمثل :
تأخّرتُ أسْتَبقي الحياة فلم أجِدْ
لنَفْسِي حياةً مثل أن أتقَدَّماً (٢)

(١) حيه : الحي : منبت اللحية . والمراد : بدا على وجهه ما يريد
أن يقره .

(٢) قائل البيت : هو الحصين بن الحمام من قصيدة مشهورة .

كتب المهلب إلى الحجاج لما ظفّر بالأزارقة (١) :
الحمد لله الذي كفى بالإسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد
متصلاً بنعمه ، وقضى ألا ينقطع المزيد من فضله ، حتى
ينقطع الشكر من عباده ثم إنا وعدونا كنا على حالين
مختلفتين ؛ نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوءنا ، ويرون
فينا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم . فلم يزل الله يكثرنا
ويعحقهم ، وينصرنا ويخذلهم ، على اشتداد شوكتهم ،
فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ، ونوم
به الرضيع ، فأنتهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها ،
وأدنيبت السواد ، من السواد حتى تعارفت الوجوه .
فلم نزل كذلك حتى بلغ بنا وبهم الكتاب أجله .
((فمُطِع دابرُ القوم الذين ظَلَمُوا والحمدُ لله ربَّ
العالمين)) (٢) .

وقال المهلب لبنيه : يا بني ، إذا غدا عليكم الرجل ،
ولاح مسلحاً ، فكفى بذلك تقاضياً .

(١) الأزارقة : إحدى فرق الخوارج ، وتنسب إلى نافع بن الأزرق .

(٢) سورة الأنعام : ٤٥ .

وقيل له : أيُّ المجالس خَيْرٌ ؟ قال : ما بَعْدُ فيه
مَدَى الطَّرْفِ ، وَكَثُرَتْ فيه فَائِدَةُ الجَلِيسِ .
قال المهلبُ : العيشُ كُلُّهُ في الجليسِ المُتَمَتِّعِ .

وكتب لإيَّاهُ الحجاجُ : أما بَعْدُ . فلَإِنَّكَ تَراخى عن
الحربِ حَتَّى يَأْتِيكَ رُسُلِي . فِيرْجِعُوا بَعْدُ رُكَّ ، وَذَلِكَ
أَنَّكَ تُحَسِّنُ حَتَّى تَبْرَأَ الجراحُ ، وَتُنْسَى القَتْلُ ،
وَيَجُومُ النَّاسُ ، ثُمَّ تَلْقَاهُمْ فَتَحْمِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا يَحْمِلُونَ
مِنْكَ مِنْ وَحْشَةِ القَتْلِ ، وَأَلَمِ الجراحِ . وَلَوْ كُنْتَ تَلْقَاهُمْ
بِذَلِكَ الجِدِّ لَكَانَ الدَّاءُ قَدْ حُسِمَ ، وَالْقِرْنُ قَدْ قُصِمَ .
وَلَعَمْرِي مَا أَنْتَ وَالْقَوْمُ سِوَاءٌ ، لِأَنَّ مِنْ وِرائِكَ
رِجالاً ، وَأَمَامَكَ أَمْوالاً . وَلَيْسَ لِلْقَوْمِ إِلَّا مَا مَعَهُمْ ،
وَلَا يُدْرِكُ الوَجِيفُ (١) بِالذَّيْبِ وَلَا الظَّفَرُ بِالْإِعْذِيرِ .

فكتب المهلبُ لإيَّاهُ : أما بَعْدُ . فَأَنْتَ لَمْ أُعْطِ رِسْلَكَ
عَلَى قَوْلِ الحَقِّ أَجْراً ، وَلَمْ أُحْتَجَّ مِنْهُمْ مَعَ المِشَاهِدَةِ إِلَى
تَلْقِيْنِ . ذَكَرْتَ أَنْتَ أَجْمُ الْقَوْمِ ، وَلَا بَدَّ مِنْ راحَةٍ
يُسْتَرِيحُ فِيهَا الغالبُ ، وَيَحْتالُ فِيهَا المِغْاوبُ ،

(١) الوجيف : ضرب من سِرِّ الإبل والجمال ، وأوجف دابته إذا حثها .

وذكرت أن في الحمام ما ينسي القتلى ، ويهري الجراح . وهيهات أن ينسي ما بيننا وبينهم ؛ تأتي ذلك قتلى لم تُجَنَّ ، وقروح لم تُتَمَرَف (١) . ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ، إن طمعوا حاربوا ، وإن مَلَّوْا وقفوا ، وإن يئسوا انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، ونحترز إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ؛ فإن تركتني والرأي كان القيرن (٢) مفصوما ، والداء — بإذن الله — مجسوما ، وإن أعجَلَنِي لم أطمعك ، ولم أعصِ ، وجعلت وجهي إلى بابك وأنا أعوذ بالله من سخط الله عز وجل ومقت الناس !

* * *

(١) تفرقت القرحة : تقشرت .

(٢) كان القرن مفصوما : القرن من معانيه السيف أو النعل ، والجمع قرون وقران . مفصوماً : مقطوعاً .

الباب الخامس

كلام أبي منسليم (١)

قيل له : ما كان سببُ خروج الدولة عن بني أمية ؟
فقال : ذلك لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقةً بهم ، وأدنتوا
أعداءهم تألفاً لهم ، فلم يصبر العدوُّ بالدنو صديقاً
وصار الصديقُ بالبعد عدوًّا .

وقيل له في حديثه : إنا نراك تأرق كثيراً ، ولا تنام
كأنك مُوكلٌ برعي الكواكب ، أو مُتوقعٌ للوحي من
السماء . فقال : والله ما هو ذاك ، ولكن لي رأيٌ جوالٌ ،
وغريزةٌ تامةٌ ، وذهنٌ صافٍ ، وهمةٌ بعيدةٌ ونفسٌ
تتوقُّ إلى معالي الأمور مع عيشٍ كعيش الهمج والرعاع ،
وحالٌ مُتناهية من الاتضاع ، وإنِّي لأرى بعضَ هذا
مصيبةً لا تُجبرُ بسهر ، ولا تُتلافى بأرقٍ .

قيل له : فما الذي يُبْردُ عليك ، ويشفي أججاجَ
صدرك ؟ قال : الظفرُ بالملك .

(١) أبو مسلم الخراساني : أحد أعلام الفرس الخارجيين على بني
أمية ، والثائرين على حكمهم ، والمبشرين بقيام دولة بني العباس سنة ٨١٣٣
قتله أبو العباس السفاح خوفاً منه سنة ٨١٣٦ .

قيل له : فاطلبُ . قال : إِنْ الْمُلْكُ لَا يَطْلُبُ إِلَّا
 بِرُكُوبِ الْأَهْوَالِ . قيل : فَارْكَبِ الْأَهْوَالِ : قال :
 هِيَهَاتَ . الْعَقْلُ مَانِعٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ . قيل فَمَا
 تَصْنَعُ وَأَنْتَ تَسْبُلِي حَسْرَةً وَتَنْوِبُ كَمَدًا ؟ قال : سَأَجْعَلُ
 مِنْ عَقْلِي بَعْضَهُ جَهْلًا ، وَأُحَاوِلُ بِهِ خَطَرًا ، لِأُنَالَ
 بِالْجَهْلِ مَالًا يُنَالُ إِلَّا بِهِ . وَأَدَبُرُّ بِالْعَقْلِ مَا لَا يَحْتَمِظُ
 إِلَّا بِقُوَّتِهِ ، وَأَعِيشُ عَيْشًا يُبَيِّنُ مَكَانَ حَيَاتِي فِيهِ مِنْ مَكَانِ
 مَوْتِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْخَمُولَ أَخُو الْعَدَمِ وَالشُّهْرَةَ أَبُو الْكُونِ .
 قال رجلٌ من أَهْلِ الْعِرَاقِ : أَوْصَانِي أَبُو مُسْلِمٍ
 وَأَنْسَنِي ، ثُمَّ سَأَلَنِي ، فَقَالَ : أَيُّ الْأَعْرَاضِ أَدْنَى ؟
 فَمَلَّتْ : عِرْضُ بَخِيلٍ . قال : كَلَّا . رُبَّ بُخْلٍ لَمْ يَكَلِّمْ
 عِرْضًا . قلت : فَأَيُّهَا أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ؟ قال : عِرْضٌ لَمْ
 يَرْتَعْ فِيهِ حَرْبٌ وَلَا دَمٌ .

قال أبو زيد : سمعت رؤبة (١) يقول : ما رأيت أروى
 لأشعارنا من أبي مسلم من رجل يرتضخ لُكْنَةً . قال أبو زيد :
 وإذا قال رؤبة لرجل يرتضخ لُكْنَةً فهو من أفصح الناس .

(١) رؤبة بن العجاج المصري التيمي السعدي . كان هو وأخوه من
 الملونين في الرجز ، وكان عارفاً باللغة ، وحشيها وغريبها . والرؤية :
 جريرة اللين ، والرؤية بالهمزة : القطعة من الخشب يشب بها الإناء
 توفي سنة ٨١٤٨ .

الباب السادس

كلامُ جماعةٍ مِن الأُمراءِ

تخطب يوسفُ بنُ عُسر (١) ، فقال : اتقوا الله عبادَ الله . فكم من مُؤمِّلٍ أُملاً لا يبلغُهُ ، وجامعٍ مالاً يأكلُهُ ، ومانعٍ ماسوفٍ يترُكه ، ولعلَّه من باطلٍ جمعةٌ ، ومن حقٍّ منعه . أصابه حراما وورثه عدوا ، واحتمل لإصرُهُ (٢) ، وباءَ بوزريه ، ووردَ على رَبِّه أسفاً لاهفاً خسر الدنيا والآخرة « ذلك هو الخسران المبین » (٣) .

صعيدُ ورْدُ بنُ حاتمِ المنبرِ ، فلما رآهم قد فتحوا أسماعَهُمْ ، وشقُّوا أبصارَهُم نحوه قال : فكسوا رؤوسكم ، وغضُّوا أبصاركم ، فإنَّ أوَّلَ مركبٍ صعبٍ ، وإذا يسَّرَ اللهُ فتحَ قُفْلٍ نيسرَ .

-
- (١) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ، وهو ابن عم الحجاج .
- (٢) الإصر : المهد الثقيل . وأصل الإصر : الثقل والشدة ؛ لأنها أثقل الأيمان وأضيقها مخرجا
- (٣) سورة الحج : ١١ .

كان يوسف بن عمر يقول : كان الحجاج الدثخان
وأنا اللهب ؟

قام خالد (١) بن عبد الله على المنبر بواسط
خطيباً . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم قال : أيُّها الناسُ تنافسُوا في المكارم ،
وسارعُوا إلى المغنم ، واشتروا الحمدَ بالجدود ، ولا تكتسبُوا
بالمَطل ذمّاً ولا تعتدُوا بالمعروف مالم تُعجلُوهُ ، ومهما
يكن لأحدكم عند أحد نعمةٌ فلم يبلُغ شكرها فالله
أحسنُ لها جزاءً وأجزلُ عليها عطاءً . واعلمُوا أن حوائجَ
الناسِ إليكم نِعَمٌ من الله عليكم ، فلا تملُوا النعم
فتتحولَ نقماً . واعلمُوا أن أفضلَ المال ما أكسبَ أجراً ،
وورثَ ذكراً ، ولو رأيتمُ المعروف رجلاً رأيتموهُ
حسناً جميلاً يسرُّ الناظرين ويفوقُ العالمين . ولو رأيتمُ
البُخل رجلاً رأيتموهُ مُشوّهاً قبيحاً تنفر عنه القُأوبُ
وتغضي عنه الأبصارُ . أيُّها الناسُ : إن أجودَ الناس من
أعطى مَنْ لا يرجُوهُ ، وأعظمَ الناس عفواً مَنْ عفا عن
قُدرة ، وأوصلَ الناس من وصلَ من قطعهُ ومن لم

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري . ولله
الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩ هـ ، وولي العراقين في عهد هشام بن عبد الملك .

يطبُ حرثه لم يَزْكُ نَبْتُهُ . والأصولُ عن مغارسها تنمُو ،
وبأصولها تسدُو . أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

أراد رجلٌ أن يمدحَ رجلاً عند خالد بن عبد الله ،
فقال : والله لقد دخلتُ إليه فرأيتُه أهدي الناس داراً
وفرشاً وآلةً . فقال خالدٌ : لقد ذمتهُ من حيثُ أردت
مدحهُ هذا والله . قالُ من لم تدعُ فيه شهوتهُ للمعروف
فضلاً .

حدث بعضهم قال : لما وليَ أبو بكر بنُ عبد الله
المدينة و طال مكثهُ عليها كان يبلُغهُ عن قوم من أهلها
تناولُ لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
واسعافُ من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات
ووجوه الناس في يوم الجمعة أن يقربُوا من المنبر ، فلما
فرغ من خطبة الجمعة قال : « أيُّها الناسُ : إنِّي قائلٌ »
قولاً ، فمن وناه وأداهُ فعلى الله جزاؤه ومن لم يعه فلا
يسعد مَنْ ذمّاً مهذا قصرتم عنه من تفصيله فان تعجزوا
عن تحصيله ، فارعوه أبصاركم ، وأوعوه أسماعكم ،
وأشعروه قلوبكم ، فالموعظةُ حياةٌ والمؤمنون

إِخْوَةٌ . وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ . وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١) فَأَتُوا الْهَدَى تَهْتَدُوا . وَاجْتَنِبُوا الْغِيَّ تَرشُدُوا «(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)» (٢) .
والله جلّ ثناؤه ، وتقدّست أسمى أَسْمَاؤُهُ أَمَرَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ،
وَرَضِيَهَا لَكُمْ ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْفِرْقَةِ ، وَسَخَطَهَا مِنْكُمْ
«(اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون .
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة
الله عليكم إذ كنتم أعداء فألفَ بين قلوبكم فأصبحتم
بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النارِ فَأَنْقَذَكُمْ
منها)» (٣) جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّن تَتَّبِعُ رِضْوَانَهُ ، وَتَجَنَّبُ
سَخَطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْزَنُ بِهِ وَلَهُ .

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِينَ ،
وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ،

(١) يَتَّبِسُ مِنَ الْآيَةِ ٩ مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ « وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ
وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ » .

(٢) سُورَةُ النَّورِ : ٣١ . وَأَوَّلُهَا : « وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَنْقُضُنَّ مِنْ
أَبْصَارِهِنَّ ... » .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : ١٠٢ ، ١٠٣ .

وزراء دون الخاق ، اختصهم به ، وانتخبهم له ،
فصلّقوه ، ونصروه ، وعزّروه (١) . ووقروه ، فلم
يقدموا إلا بأمره ، ولم يُحجّجوا إلا عن رأيه ، وكانوا
أعوانه بعهد ، وخافاءه من بعده ، فوصفهم فأحسن
صفتهم ، وذكرهم فأثنى عليهم . فقال وقوله الحقُّ :
«(محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفارِ رُحَمَاءُ
بينهم تراهم رُكُوعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضلاً من الله
ورضواناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ
مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ
شَطَآءُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ
لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)» (٢) .

فمن غاظوه فقد كفر ، وخاب ، وفجر ، وخسر ،
وقال عز وجل : ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من
ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون
اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا

(١) عزروا : نصروه وقروه .

(٢) سورة الفتح : ٢٩ .

الدارَ والإيمانَ من قبلهم يحبون من هاجرَ إليهم ولا يجدونَ في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرونَ على أنفسهم ولو كانَ همُ المفاحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوفٌ رحيمٌ» (((١)

فمن خالف شريعة الله عليه لم ، وأمره إياه فيهم ، فلا حقَّ له في الشيء ، ولا سَهمَ له في الإسلام في أيِّ كثيرةٍ من القرآن . فمَرَقَتْ مَارَقَةً من الذين وفارقوا المسلمين ، وجعلوهم عِضِينَ (٢) وتشعبوا أحزاباً أشابات (٣) ، وأوشاباً ، فخالفوا كتاب الله فيهم ، وثناءه عليهم ، وأذوا رسولَ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيهم ، فخابوا ، وخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخمران المبين . «(أفمن كان على بَيِّنَةٍ من ربه كَمَنَّ زَيْنٌ له سوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)» (((٤) .

(١) سورة الحشر : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) عِضِينَ : العضة - كعدة : الفرقة ، والقطعة ، والكذب .

(٣) أَشَابَات : الأَشَابَةُ - بالضم : الأخلاط ، ومن الكسب :

ما خالطه الحرام .

(٤) سورة عمه : ١٤ .

وقال قتبية : إن الحريص يستعجل الذلة قبل
إدراك البغية .

أهدى عبيد الله بن السدي إلى عبد الله بن طاهر
لما ولي مصر ، مائة وصيف ، مع كل وصيف ألف
دينار ، ووجه بذلك ليلاً . فردّه ، وبعث إليه :
لو قبلت هديتك ليلاً لقبلتها نهاراً وما ((آتاني الله خير
مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون)) (١) .

قال المأمون لطاهر بن الحسين : صف لي عبد الله
ابنك . قال : إن مدحته هجنته ، وإن هجوته ظلمته .
ولد الناس ابناً ، وولدت ابناً يحسن ما أحسن ولا أحسن
ما يحسن .

وليّ عبد الله بن طاهر رجلاً بريد ما وراء النهر ،
فكتب إليه : لمنّ ها هنا قوماً من العرب قد تمعصبوا ،
وتأشّبوا (٢) ، وأظنّ أمرهم سيرتقي إلى ما هو أغلظ منه .

(١) سورة النمل ٣٦ . وأرلها « فما آتاني .. » .

(٢) تأشّبوا : اجتمعوا واختلطوا .

فكتب إليه عبدُ الله : إنما بُعِثْتُ لِأَخْبَارِ السَّابِقَةِ
وَالْحَوَادِثِ الظَّاهِرَةِ لَا لِلْكَهَانَةِ وَالنَّظَنِّي (١) .

قال عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر : لا ينقضي عَجْبي
من ثلاثة : إِفلاتِ عُبَّاس بنِ عمرو من القرمطيِّ ،
وهلِكَ أَصْحَابِهِ ، ووقوعِ الصَّغَارِ ، وإِفلاتِ أَصْحَابِهِ .
وولايةِ ابْنِي الجَسْرَيْنِ وأنا متعطِّلٌ .

وقال محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ طاهر لولده : عِفُّوا
تَشْرُفُوا ، وَاعْشَقُوا تَنْظُرُوا

وقال عبيدُ الله بن عبد الله في عِلته : لم يبق علي من
بِأَس الزمانِ إِلَّا الْعِلَّةُ وَالْحَلَّةُ (١) وَأَشَدُّهُمَا عَلَيَّ أَهْوَنُهُمَا
عَلَى النَّاسِ . وَلَآنَ أَلَمَ جَسْمِي بِالْأَوْجَاعِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَلَمِ
قَلْبِي لِلْحَقِّ الْمَضَاعِ .

جَرَى ذَكَرُ رَجُلٍ فِي مَجْلَسِ سَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ (٢) ،

(٣) التَّظَنِّي : إِعْمَالُ الظَّنِّ ، وَهُوَ اتِّهَامُ الْإِنْسَانِ بِلَا دَلِيلٍ ، وَالْكَهَانَةُ
الْقَضَاءُ بِالْغَيْبِ .

(١) الْحَلَّةُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ ، وَالْخِصَاصَةُ .

(٢) سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ : هُوَ سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ الْبَاهِلِيِّ الْخُرَسَانِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ :
وَلِيَ الْبَصْرَةَ لِيَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ فِي أَيَّامِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ وَلِيَهَا
فِي أَيَّامِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، فَكَانَ مِنَ الْمُوثُوقِ بِهِمْ فِي الدَّوْلَتَيْنِ (الْأُمَوِيَّةِ
وَالْعَبَّاسِيَّةِ) وَكَانَ مِنْ عَقْلَاءِ الْأُمَرَاءِ ، عَادِلًا حَسَنَ سِيرَتِهِ ، وَمَاتَ بِالرِّيِّ .

فقال منه بعضهم ، فأقبل سالمٌ فقال : يا هذا ؛ أوجشتنا
من نفسك ، وأياستنا من مودَّتِكَ ، ودَلَّتْنا على عورتِكَ .
قال بعضهم : كنت عند يزيد بن حاتم بإفريقية ،
وكنت به خاصاً فعرضَ عليه تاجرٌ أدراعاً ، فأكثرَ
تقليبها ، ومزاولة صاحبها . فقلت له : أصاح الله الأمير .
فعلامَ تلوم السُّوقَ ؟ فقال : ويحك ! ! إني لست
أشتري أدراعاً إنما أشتري أعماراً .

قال المأمون لطاهر بن الحُسين : أشرُ عليّ بإنسان
يكفيني أمرَ مصرَ والشَّامِ . فقال له طاهرٌ : قد أصبته .
قال : من هو ؟ قام : عبدُ الله ابني ، وخادمُك ،
وعبدُك . قال : كيف شجاعته ؟ قال : معه ما هو خيرٌ
من ذلك . قال له المأمون : وما هو ؟ قال : الحزمُ .

قال : فكيف سخاؤه ؟ قال : معه ما هو خيرٌ من
ذلك . قال : وما هو ؟

قال : التَّنَزُّهُ وخُلُفُ النفسِ .

مرضَ عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر ، فركبَ
إليه الوزيرُ ، فلما انصرف عنه كتب إليه عبدُ الله :

ما أعرف أحداً جَزَى العِلَّةَ خيراً غيري ، فإنني جزيتها
الخيرَ ، وشكرتُ نعمتها على ، إذ كانت إلى رؤيتك
مؤديةً .

وكتب المأمونُ إلى طاهر يسأله عن استقلالِ ابنه
عبدِ الله .

فكتب طاهرٌ إليه : عبدُ الله — يا أميرَ المؤمنين —
ابني . وإن مدحتُه ذمته وإن ذمته ظلمته . ولنعم الخلفُ
هو لأمر المؤمنين من عبده .

فكتبَ إليه المأمونُ : ما رضيتَ أنْ قرظتهُ في
حياتك حتى أوصيتنَا به بعدَ وفاتك .

قال طاهرٌ : طولُ العمرِ ثائرُ (١) مولاه لأنه لا
يُخْلِيكَ من رؤيةِ محبةٍ في عِلو .

قال الكلبيُّ : قال لي خالدُ بنُ عبدِ الله بنِ يزيد
القسري : ما يُعدُّ السُّوددُ فيكم ؟ فقلتُ : أما في
الجاهليةِ فالرياسةُ ، وأما في الإسلامِ فالولايةُ ، وخيرٌ من
هذا وذلك التقوى .

(١) الثائر : من لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره . والمراد أن طول
عمر الإنسان يتيح له التشفي من خصومه لما يتزل بهم من مكروه .

فقال لي : صدقت .

كان أبي يقولُ : لم يُدرك الأولُ الشرفَ إلا بالفعل ،
ولا يُدركُ الأخيرُ إلا بما أدرك به الأولُ .

قال : فقلت : صدقَ أبوك . ساد الأحنفُ بحلمه ،
وساد مالكُ بنُ مسمعٍ بمحبة العشيرة له ، وساد قُتيبةُ
بدهائه ، وساد المهلبُ بجميع هذه الحلال .

فقال لي : صدقت . كان أبي يقولُ : خيرُ الناسِ
لِلنَّاسِ خيرُهُمْ لِنَفْسِهِ . إنه إذا كان كذلك أبقى على نفسه
من السرقة لثلاثاً يُقطع ، ومن القتل لثلاثاً يُقاد ، ومن
الزنى لثلاثاً يُحد ، فسكِمَ الناسُ منه بابقائه على نفسه .

قيل : وكان عبدُ الله بنُ يزيدَ أبو خالدٍ من عقلاء
الرجال .

وقال له عبدُ الملك يومًا : ما مالُك ؟ فقال : شيطان
لا عيلةَ (١) عليَّ معها : الرضا عن الله عزَّ وجل ،
والغنى عن الناس .

(١) لا عيلة : العيلة : الفقر .

فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته ؟ بقدر
مالك ؟

فقال : لم يعد أن يكون قليلاً فيحقيري ، أو
كثيراً فيحسدني .

وقيل أنصري بن سيار (١) : إن فلاناً لا يكتب .
فقال : تلك الزمانة الخفية (٢) .

وقال : أولاً أن عمر بن هبيرة كان بدويّاً ما ضبط
أعمال العراق ، وهو لا يكتب .

اعتذر رجل إلى مسلم بن قتيبة من أمر بلغه عنه ،
فَعذَرَهُ ثم قال له : يا هذا : لا يحملنك الخروج من أمر
تخلصت منه على الدخول في أمرٍ لعلك لا تتخلص منه .

وقال مسلم بن قتيبة : الشباب الصّحة ، والسُّلطانُ
الغنى ، والمروءةُ الصبرُ على الرجال .

وقال خالد بن عبد الله القسري : يُحمدُ الجودُ

(١) هو نصر بن سيار بن أبي رافع بن ربيعة الليثي قلده هشام
أمر خراسان .

(٢) الزمانة الخفية : الزمانة : العاهة ، والمراد العيب المستمر
الذي لا يبرء منه .

مَسَّالْمُ يَسْبِقُهُ مَسْأَلَةٌ وَمَالْمُ يَتَّبِعُهُ مَنْ ، وَلَمْ يُزْرَ بِهِ
قُصُورٌ ، وَوَافَقَ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ .

قال الرشيد لسعيد بن سَلَمٍ : يا سعيدُ ، مَنْ بَيْتُ
قيس في الجاهلية ؟ قال : يا أمير المؤمنين . بنو فزارة .
قال : فَمَنْ بَيْتُهُمْ في الإسلام ؟

قال : يا أمير المؤمنين : الشريف من شَرَفْتُمُوهُ .
قال : صدقت : أَنْتَ وقومك .

قال بعضهم : رَأَيْتُ نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ (١) على المنبر
بِسَرِّخْسٍ (٢) . وقد حَسَرَ ذِرَاعِيهِ — وَكَانَ أَشْعَرَ طَوِيلَ
السَّاعِدَيْنِ — وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ
مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَنْ آبَائِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ — قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ أَنْعَمَ عَلَى قَوْمٍ نِعْمَةً فَكَفَرُوا
نِعْمَتَهُ ، فَدَعَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ .

(١) نصر بن سيار : أحد ولاة مروان بن محمد آخر خلفاء بني
أمية وكان نصر واليا على إقليم خراسان . وفي أيامه قام أبو مسلم
الخراساني يدعوا لبني العباس ، فأرسل نصر إلى مروان يخبره بأمره
في رسالة طويلة .

(٢) سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ، ومرو .

اللهم إنَّكَ تعلمُ أني أحسنتُ إلى آلِ بسَّام فكفروا
نعمني .

اللهم افعل بهم . ودعنا عليهم .

قال : فام يتحلَّ الحولُ وعلى الأرض منهم عين
تطرف (١) ، وكانوا سبعين رجلاً ، كأنهم قد ركبَ الخيلَ
كان أبو هبيرة يقول : أعوذ بك من كلِّ شيطان
مُسْتَعْرِبٍ وكلِّ نبطيٍّ مُسْتَعْرِبٍ .

خطب بلالُ بنُ أبي بُردةَ بالبصرة ، فعرف
أنهم قد استحسنوا كلامه . فقال : لا يمنعكم أقبَحُ
ما تعلمون فينا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منا .

* * *

(١) كناية عن فئالهم .

الباب السابع

فُضُولُ الكِتَابِ والوزراء وتوقيعاتٌ ونكتٌ من كلامِهِمْ ونوادِرُهُمْ

أمرَ المأمونُ أحمدَ بنَ يوسفَ (١) أن يكتبَ في
الآفاق بتعليق المصابيح في المساجد في شهر رمضان . قال :
فأخذتُ القُرطاس لأكتب ، فاستعجم عليّ ، ففكّرتُ
طويلاً ، ثم غشيتُني نعشةً فقيل لي : أكتب : فإنَّ
في كثرة المصابيح إضاءةً للمتجهّدين ، وأنساً
للسّابلة (٢) ، ونفياً لمكامن الرّيب ، وتنزيهاً لبيوت الله
عن وحشة الظُّلم .

أهدى سعيدُ بنُ حمّيدٍ إلى المأمون في يوم

(١) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن بلجيم ،
كاتب المأمون ، وكان عالي الطبقة في البلاغة . ووزر للمأمون بعد أحمد بن
أبي خالده .

(٢) السّابلة : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم .
والجمع السوابل .

مهترجان خوان جزع (١) ، واتخذ ميلاً من ذهب بقدر ،
وحمله معه . وكتب إليه : قد أهديتُ إلى أمير المؤمنين
خوان جزع ميلاً في ميل . فاستحسن ذلك وقبله .

وقع جعفر بن يحيى (٢) في رُقعةٍ مُستحرم به :
هَذَا فَتَى لَهُ حَرَمَةُ الْأَمَلِ ، فامتنع به بالعمل ، فإن كان
كافياً فالسلطان له دوننا ، وإن لم يكن كافياً . فنهجن له
دون السلطان .

كتب أحمد بن يوسف إلى إسحاق الموصلي (٣) -
وقد زاره إبراهيم بن المهدي : عندي مَنْ "أنا عنده ،
وحجّتنا عليك لإعلامنا إياك ذلك . قد آذنتك .

(١) خوان جزع : يقصد مائة معلقة باللون الأصفر ، أو مائة
ذات تقاسيم .

(٢) جعفر بن يحيى : هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن
برمك ، وزير هارون الرشيد . ولما قتل الرشيد رثاه الشعراء بقصائد
كثيرة تدل على شدة حزنهم عليه ، وأملهم لديه . وكان قتل سنة ١٨٧ هـ .

(٣) إسحاق بن إبراهيم الموصلي : يكنى أبا محمد عالم أديب راوية
للشعر بارع بالغناء والموسيقى .

فصل لأحمد بن يوسف .

أكثر من يلجأ إلى الحياة مَنْ عجز عن المبادأة
والإصهار (١) ؛ وأكثر مَنْ يروم المنابذة مَنْ قَصَرَ
عن لطيف الخدع ، وخَفِيَ الاستدراج . والقَصْدُ
مؤد إلى الرشَد .

تأخر إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن إبراهيم
ابن المهدي ، فكتب إليه : لا عذر لك في التأخر عني ؛
فلإني لا أخلو من حاليْن : سَخَط أمير المؤمنين عليٍّ
فهو لا يكره أن يُضرتني ، أو رضاه عني فهو لا يكره
أن يسرني .

أمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب كتاب
عناية ، ويوجز . فكتب : كتابي كتاب واثق بمن كتبتُ
إليه ، متعني بمن كتبت له ، ولن يضيع بين الثقة
والعناية موصَّله .

كتب أحمد بن يوسف إلى صديق له : كتبتُ إليك
في الظُّهر تفاؤلاً بأن يُظهرَكَ اللهُ على مَنْ ناوأكَ ،
ويجعلكَ ظهراً لمن ولاك .

(٢) الأصهار : أصحر : دخل الصحراء .

كتب بعضهم إلى رئيس : تختم كُتُبَكَ لانتها
مطايا البر ، ولا أختمها لأنها حواملُ الشكر .

وقع جعفرُ بنُ يحيى إلى عاملٍ له : وأنصف من
وَلَيْتَ أَمْرَهُ ، وإلا أنصفه منك مَنْ وَلِيَّ أَمْرَكَ .

وقع أحمدُ بنُ هشام في قصةٍ مُتَظَلِمٍ : اكفني
أمرَ هذا . وإلا كَفَيْتَهُ أَمْرَكَ .

استشهد ابنُ الفُرات (١) في أيام وزارته عليَّ بنُ
عيسى ، فلم يشهد له ، وكتب إليه لما عادَ إلى بيته :
لا تُلَمِّني على نُكُوصي عن نُصْرَتِكَ بِشَهادَةِ زُور ،
فإنَّه لا اتِّفَاقَ على نفاق . ولا وفاةٍ لذي مَينٍ (٢)
واختلاق . وأحرَّ بِمَنْ تَعَدَّى الحَقَّ في مَسَرَّتِكَ إذا رَضِي ،
أَنْ يَتَعَدَّى إلى الباطل في مَسَاةَتِكَ إذا غَضِب . والسلام .

وَقَعَ إبراهيمُ ابنُ العباس (٣) في ظهرِ رُقعة : إذا

(١) ابن الفرات : هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن الفرات ،
أبو العباس ، وزير من بيت فضل ورياسة ، ووزارة .

(٢) المين : الكلاب .

(٣) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، وكان صول رجلاً
من الأتراك ففتح يزيد بن المهلب بلده ، وأسلم على يديه .

كَانَ لِلْمُحْسِنِ مِنَ الْحَقِّ مَا يَقْنَعُهُ ، وَلِلْمُسِيءِ مِنَ
النِّكَالِ مَا يَقْمَعُهُ ، بِذَلِكَ الْمُحْسِنُ الْحَقُّ رَغْبَةً وَانْقَادَ
الْمُسِيءُ لَهُ رَهْبَةً .

كتب القاسمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَرْمِيُّ إِلَى بعضِ
الْوُزَرَاءِ : وَلِي فِيمَا جَدَّدَ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعَةِ لِلْوَزِيرِ
مَنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ ، مَا انْتَرَعَتْهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
فِي قَوْلِهِ : « (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي) » (١) . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ
نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ لَمْ يَزَلْ نَامِيًا عَالِيًا عَلَى كُلِّ دِينٍ ، وَأَنَّهُ
لَمَّا خَرَّبَ بِجُرْأَنِهِ وَقَهَرَ الْأُمَمَ شَرْقًا وَغَرْبًا بَعْدَ كَمَالِهِ .

وَقَعَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ (٢) إِلَى طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ :
يَا نَصِيفَ إِنْسَانٍ . وَاللَّهِ لَنْ أَمُرَّ لِأَنْفَذَنَّ ، وَلَنْ
أَنْفَذْتُ لِأَبْرِمَنَّ ، وَلَنْ أَبْرِمْتُ لِأَبْلَغَنَّ .

فَأَجَابَهُ : أَنَا — أَعَزُّكَ اللَّهُ — كَالْأُمَةِ السُّودَاءِ ،

(١) سُوْرَةُ الْمَائِدَةِ : ٣ . وَأَوْطَى : « حَرَمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةَ » .

(٢) ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ : لَقَبٌ لِقَبِ بِهِ الْمَأْمُونُ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ . وَمَعْنَى
ذَلِكَ رِيَاةَ الْحَرْبِ وَرِيَاةَ التَّدْيِيرِ . وَعَقْدَ لَهُ الْمَأْمُونُ عَلَى سَنَانِ ذِي شُعْبَتَيْنِ .

إن حمل عايتها دمدمت (١) وإن رُفَّه عنها أشرت (٢) :
وإن عُرِقت فباستحقاق ، وإن عَفِيَّ عنها فبإحسان .

كتب إبراهيم بن العباس إلى أهل حمص :
أما بعدُ فإن أمير المؤمنين يرث من حق الله عليه
استعمال ثلاث يُقدَّمُ بعضهنَّ على بعض : الأولى
تقديم تنبيه وتوجيه ، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف .
ثم التي لا ينفع لحسبم الداء غيرها .

أناة فإن لم تُغنِ أعقبَ بعدها
وعيداً فإن لم تُجدِ أغنت عزائمه
ويقال : إنَّ هذا أوَّلُ كتاب صدرَ عن خليفة
من بني العباس وفيه شعْرٌ .

وقيل : إن إبراهيم بن العباس لم يتعمَّد أن يقول
شعراً ، ولكنَّه لما رآه موزوناً تركه .

(٢) دمدمت : هلكت .

(٣) الأثر : البطر وكفر النعمة .

وَقَعَ جَوْهَرٌ (١) مَوْلَى الْفَاطِمِيِّينَ لَمَّا افْتَتَحَ مِصْرَ
فِي قِصَّةٍ رَفَعَهَا إِلَيْهِ أَهْلُهَا : سُوءَ الْاحْتِرَامِ أَوْقَعَ بِكُمْ
حُلُولَ الْإِنْتِقَامِ . وَكَفَرُ الْإِنْعَامِ أَخَرَّكُمْ مِنْ حِفْظِ
الدِّمَامِ : فَالْوَاجِبُ فِيكُمْ تَرْكُ الْإِيجَابِ ، وَالْإِلَازِمُ
لَكُمْ مِلَازِمَةُ الْاجْتِنَابِ ؛ لِأَنَّكُمْ بَدَأْتُمْ فَأَسَأْتُمْ ، وَعَدْتُمْ
فَتَعْدَيْتُمْ . فَابْتَدَأْتُمْ مَلُومٌ ، وَعَوَّدْتُمْ مَذْمُومٌ ،
وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا فُرْجَةٌ تَقْتَضِي إِلَّا الدَّمَ لَكُمْ ، وَالْإِعْرَاضُ
عَنْكُمْ لِيَرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - رَأْيَهُ فِيكُمْ .

كُتِبَ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ إِلَى الْمُتَوَصِّلِيِّ : مَا أَدْرِي كَيْفَ
أَصْنَعُ ؟ أَغَيِّبُ فَأَشْتَاقُ ، وَأَتَقَبَّلُ فَلَا أَشْتَفِي . ثُمَّ سَبَّحَ حَدِيثَ
لِي اللَّقَاءِ نَوْعًا مِنَ الْحُرْقَةِ ، لِلْوَعَةِ الْفُرْقَةِ .

كُتِبَ آخِرُ : مِنَ الْعَجَبِ إِذْ كَانَ مُعَنَّي (٢) ،
وَحَثُّ مُشَيَّقَظٍ ، وَاسْتَهْطَاءُ دَالِيرٍ إِلَّا أَنْ ذَا الْحَاجَةِ
لَا يَدَّعِ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ .

(١) هُوَ جَوْهَرُ الصَّقَلِيِّ الْقَائِدِ الَّذِي أَرْسَلَهُ الْمُعِزُّ لِدِينِ آلِهِ الْفَاطِمِيِّ
لِفَتْحِ مِصْرَ ، فَفَتَحَهَا ، وَبَنَى الْقَاهِرَةَ ، وَالْجَامِعَ الْأَزْهَرَ ، وَبَعْضَ الْقُصُورِ .
وَقَدْ تَوَفَّى بِالْقَاهِرَةِ .

(٢) الْمُعَنَّي : الْمَهْمُومُ .

كتب بعضهم إلى ابن الزيات (١) : إن مما يطمعني
في بقائنا عليك ويزيدني بصيرة في دوامها لك ، أنك أخذتها
بحقك ، واستدّمتها بما فيك من أسبابها . ومن شأن
الأجناس أن تقاوم ، والشئ يتقلقل إلى معدنه ، ويحن
إلى عنصره ، فإذا صادف منبته ركن في مغرسه ،
وضرب بعرقه ، وسمق بفرعه ، وتمكّن الإقامة ،
وثبت ثبات الطبيعة .

آخر : إلى ابن خاقان (٢) : رأيتني فيما أتعاطى من
مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر
الزاهر ، الذي لا يخفى على ناظر ، وأيقنت أني حيث
أنتهى من القول منسوب إلى العجز ، مقصّر عن الغاية ،
فأنصرفت عن الثناء عليك إلى الدُّعاء لك ، ووكلت
الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

(٢) ابن الزيات : هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن
حمزة المعروف بابن الزيات من أهل الأدب وقد كان وزيراً للمعتصم .

(٢) ابن خاقان : هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان
الإشبيلي ، صاحب كتاب قلائد العقيان . وكلامه في كتبه يدل على غزارة
فضله وسعة مادته وقد توفي سنة ٥٣٥ هـ بمدينة مراکش .

كتب الحسن (١) بن وهب إلى صديق له يدعوهُ :

افتتحت الكتاب - جعلني الله فداك - والآلات
معدة ، والأوتار ناطقة ، والكأس محشوة ، والجو
صاف ، وحواشي الدهر رقاق ، ومخايل السرور لائحة ؛
ونسأل الله إتمام النعمة بتمام السلامة من شوب العوائق ،
وطروق الحوادث ، وأنت نظام شمل السرور ، وكمال
بهاء المجلس . فلا تحترم (٢) ما به يتنظم سروري وبهاء
مجلسي .

كاتب : قد أهديت لك مودتي رغبة ، ورضيت
منك بقبولها مثوبة ، وأنت بالقبول قاضٍ لحق ، ومالك
أرق .

كاتب : كان لي أملان : أحدهما لك ، والآخر
بك ، أما الأمل لك فقد بلغته ، وأما الأمل بك فأرجو
أن يحققه الله ويوشيكه .

(١) هو الحسن بن وهب بن سعد ، شاعر كاتب مرسى فصيح أديب .

(٢) انخرمهم الدهر وتخرمهم : اقتطعهم واستأصلهم . والمراد :

لا تحرمني ظلمتك التي هي سبب سروري وزينة مجلسي .

آخر : ودّعتُ قلبي بتوديعك ، فهو يتصرّفُ
بتصرفك ، وينصرفُ بمنُصرفِك .

آخر : قد كنتَ لنكباتِ الدهرِ مُستعدا ، ولغدواته
متحرّفا (١) ، فهل زاد على أنْ صدّقك عن نفسه ،
وأثاك بما كنتَ عالماً أنه يأتيك؟ فكيف تجزعُ وأنت تعلمُ
أنه ليسَ لما وقع مرَدٌّ ولا لما ذهب مُرتجعٌ؟

تهنئة بابنة : ربّ مكروهٍ أعقبَ مسرةً ، ومحبةٍ
أعقبَ معرةً ، وخالقِ المنفعةِ والمضرةِ أعلمُ بمواضعِ
الخيرِ .

آخر : إنه ليتربّصُ بكِ الدوائرَ ، ويتمنّى لكِ
الغوائلَ (٢) ، ولا يؤمّلُ صلاحاً إلا بفسادِ حالِك ، ولا رفعةً
إلا بسقوطِ قدرِك .

فصل : حَسَرَ الدهرُ عن تجمُّلي قيناعَ القنّاعةِ ،

(١) أي صاداً لغدواتِ الزمانِ . يقال : نحرف وحرّقه بسوء : جازاه .

(٢) الغوائل : الدواهي ، والمفرد غائلة .

ولكنني - مع الظمأ عن دنيّ الموارد - نافرٌ ، ومع الفاقة -
بغنيّ النفس مُكاثِر .

فصل : من تهتة بإملاك : وكيف يرتاع لهجوم -
غُرْبَةٍ ، أو يجاور توحُّش نُقْلة مَنْ لم يقطع اتصاله بي
عنك ، ولا باعده انتقاله إليّ منك ، فهو مخاطبٌ على البعد
بألفاظك ، مرموقٌ بالمرآعة من ألاحظك ، غير نازح
عما أليفه من عواطف الولادة ، ورأفة التربية ،
وانبساط الأنسة ، والله يُسْعِدُهَا بمن سارتُ إليه كما
سرَّ بها من وفدتُ عليه ، ويُرِيْنِي من المحبَّة فيها مثل
ما أرائيه من المحبة بها ، وكيف يُوصِي الناظرُ بنوره ،
أم كيف يُحْضُ القاب على حفظِ سروره .

وُجدني كتاب بلعفر بن يحيى أربعة أسطرٍ بالذهب :
الرزقُ "مقسوم" ، والحريصُ "محروم" ، والبخیلُ "مذموم" ،
والحسودُ "مغموم" .

قال منصورُ بنُ زياد (١) الكاتبُ : للمعلّي بن

(١) منصور بن زياد الكاتب : أديب معاصر ليحيى بن خالد وكان
عل صلة طيبة به .

أَيُّوبَ : وَاللَّهِ إِنِّي لأَبْذُلُ ، وَإِنِّي لأَقْدِرُ وَإِنِّي لأَخْتَارُ ،
وَإِنِّي لأَسْتَشِيرُ ، وَإِنِّي لأَحِبُّ مَعَ طَيْبِ الْخَبْرِ ، وَحَسَنِ
الْمَنْظَرِ ، وَإِنِّي لأَعْشَقُ الْبَهَاءَ كَمَا تَتَعْشَقُ الْمَرْأَةُ الْحُسْنَاءَ ،
وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ لأَدْخُلُ دَارَكَ فَأَحْقِرُ كُلَّ شَيْءٍ فِي دَارِي .
فَمَا الْعِلَّةُ ؟ قَالَ : أَوْ مَا تَعْلَمُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ لِأَنِّي
أَقْدَمُ غَنًى مِنْكَ .

كَانَ نَقَشُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْجَرَّاحِ (١) : مِنْ
نَمِّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ .

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ (٢) : سَأَلْتُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ
حَاجَةً . فَقَالَ : أَشَوْقَكَ الْيَوْمَ بِالْوَعْدِ ، وَأَحْبَبُكَ غَدًا
بِالْإِنْجَازِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ يُحْيَى بْنَ خَالِدٍ يَقُولُ : الْمَوَاعِيدُ
شَبَكَةٌ مِنْ شِبَاكِ الْكِرَامِ ، يَصِيدُونَ بِهَا مُحَامِدَ الْأَحْرَارِ
وَلَوْ كَانَ الْمُعْطِيُّ لَا يَتَعَدُّ ، لَارْتَفَعَتْ مَفَاخِرُ الْإِنْجَازِ
الْوَعْدِ ، وَنَقَصَ فَضْلُ صِدْقِ الْمَقَالِ .

(١) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْجَرَّاحِ ، وَلَدَ عَامَ ٢٤٣ هـ ،
وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ لِلْخَلِيفَةِ ابْنِ الْمُعْتَزِ وَقَدْ اشتهر بِأَدَبِهِ . وَمَاتَ سَنَةَ ٢٩٦ هـ .
(٢) مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِصَرِيحِ النُّوَائِي . وَكَانَ مِنْ أَشْعَرِ
شُعَرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ .

ووقع الفضلُ إلى تميم بن مخرمة : الأمورُ بتسامها ،
والأعمالُ بخواتيمها ، والصنائعُ باستدامتها ، وإلى الغاية
ما يجزى الجوادُ ، فهناك كشفتِ الخبرةُ قناعَ الشكِّ ،
فحميدُ السابق ، وذمُّ الساقط .

كان يحيى بن خالد : يقول لستَ ترى أحداً تكبرُ
في إمارةٍ إلا وقد دلَّ على أن الذي نالَ فوقَ قدره ،
ولستَ ترى أحداً تواضعَ في الإمارةِ إلا وهو في نفسه
أكبرُ مما نالَ من سلطانه .

احتاج يحيى في الحبسِ إلى شيءٍ فقيل له : لو كتبتَ
إلى صديقك فلانٍ فقال : دعوهُ يسكنُ صديقاً .

وحضرَ الفضلُ بنُ الربيعِ جنازةَ ابنِ حمدون بعدَ
لكبة البرامكة (١) ، فذكرتهم ، وأطراهم ، وقرظهم ،

(١) البرامكة : إحدى الأسر الفارسية التي نشطت في الدولة العباسية ،
وكان لها من أدبها ، وكرمها وحسن سياستها ما جعلها تحترف الوزارة
لخلفاء العباسيين أول الأمر . الأمر الذي أوغر صدور الطامحين عليهم ،
فوشوا بهم إل هارون الرشيد فبطش بهم بطشه الكبري وسجنهم ، وقتل
بعضهم ، وصادر أموالهم . .

وقال : كنا نعتبُ عليهم ، فصرنا نتمنّاهم ونبكي عليهم ،
ثم أنشد متمثلاً .

عتبتُ على سَلَمٍ فلماً فقدتُه
وجربتُ أقواماً بكيتُ على سَلَمٍ

قال الفضلُ بنُ سهل : رأيت جملةَ السخّاءِ حسنَ
الظنِّ بالله ، وجملةَ البخلِ سوءَ الظنِّ بالله ، قال
الله تعالى : « (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) » (١) . وقال :
« (وما أنفقتم من شيء فهو يخالفه) » (٢) . احتجّ أن
يُكتبَ على المعتضد كتابٌ يشهدُ عليه فيه العُدُولُ ،
فلما عُدِرَ ضُتْ النسخةُ على عبيد الله بنِ سليمان (٣) ،
وكان ابنُ ثوابةٍ قد كتبها كما يكتبُ في الصّكّاءِ (٤)
« في صحّةِ عقله ، وجوازِ أمره له وعليه » فضرَبَ عليه
عبيدُ الله وقال : هذا لا يجوزُ أن يُقالَ للخليفةِ ،
وكتبَ : « في سلامةٍ من جسّمه ، وأصالةٍ من رأيه » .

(١) سورة البقرة ٢٦٨ .

(٢) سورة سبأ ٣٩ . وأولها : « قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء » .

(٣) عبيد الله بن سليمان : هو أحد وزراء الموفق بن جعفر المتوكل

العباسي .

(٤) الصّكّاء : جمع صك ، وهو الكتاب ، فارسيّ معرب .

قال الحسن بن سهل : لا يكسد رئيس صيانة إلا
في شر زمان ، وأخس سلطان .

اعتل ذو الرياستين بخراسان مدة طويلة ثم أبلى
واستقل (١) وجلس للناس فدخلوا إليه وهنؤوه بالعافية ،
فأنصت لهم حتى تنقضى كلامهم ، ثم اندفع فقال :
إن في العيل نيعاً لا ينبغي للعقلاء أن يجهلوا ، منها
تمحيص للذنب ، وتعريض لثواب الصبر ، وإيقاظ من
الغفلة ، وإذكاء بالنعمة في حال الصحة ، واستدعاء
للتوبة ، وحض على الصدقة ، وفي قضاء الله وقدره
بعد الحيار ، فانصرف الناس بكلامه ، ونسوا ما قال غيره .

كتب ابن الفرات علي بن محمد ، ومحمد بن داود ،
ومحمد بن عبدون رقعة إلى العباس بن الحسن الوزير
يستريدون فيها ، فوقّع بخط على ظهرها « ما حالكم
حال مستريد ، ولا فوق ما أنا عليه لكم من مزيد ،
فإن تكن الاستزادة من مال فهو موفور عليكم ،
وإن تكن من رأي فالأعمال لكم ، ولي اسمها ،

(١) استقل : يقال : استقل القوم : ذهبوا أو ارتحلوا .

وعليّ عبثها ، وثقل تدبيرها وأقول لعليّ بن محمد من
بيئكم : ما يطيق نفسه تدلّلاً واعتداداً أميناً يؤمن
كانت هذه الاستزادة أم من بطر النعمة ، ودلال
الثروة ، ولي في أمر جماعتكم نظراً ينكشف عن قريب ،
حسبي ، وحسبكم الله ونعم الحبيب .

عتب أحمد بن خالد على أحمد بن هشام في أمر
كان بينهما فاعتذر إليه ، فقال ابن خالد : لا أقبل لك
عذراً حتى آتي إليك . فقال : والله لئن فعلت لاستعديت
عليك إلا ظلمتك ، ولا أطمعني فيك إلا بغيتك .

قال الفضل بن يحيى لبعض المتحرّمين (١) به :
اعتذر إليك بصالح النية ، واحتج عليك بغالب القضاء .
وكتب إلى عامل له : بشّ الزاد إلى المعاد العدوان
على العباد .

وقال لرجل استبطأ عنده الرشيد - وكان من
أهل بيته - : إنّما شغل عنك أمير المؤمنين حقوق
أهل الطاعة دونك ، ولو قد فرغ فيهم إليك لم يؤثّر من
دونك عليك . فقام أبوه يحيى ، فقبل رأسه .

(١) المتحرم . الممتنع ، من تحرم بمعنى تمنع وتحصى .

كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر :
لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنه يرى بين نعمة
مقصورة عليه أو زيادة مُنتظرة . فقال : عبد الله
الكاتبه (١) : كيف ترى مسمع هاتين الكلمتين ؟ فقال :
كأنهما قُرطان بينهما وجهٌ حسنٌ .

وقّع جعفر بن يحيى على ظهر كتاب علي بن عيسى :
حبّ الله إياك الوفاء - يا أخى - فقد أبغضته ، وبغض
إياك الغد . فقد أحببته . إني نظرت في الأشياء لأجد فيها
ما يُشبهك . فلما لم أجد رجعت إليك فشبهتك بك .
واقعد بلغ من حسن ظنك بالأيام أن أمنت السلامة مع
البغي ، وليس هذا من عاداتها .

قال يحيى بن خالد : ذلّ العزل يضحك من
تسيه الولاية .

وقال الفضل بن مروان : إن الكاتب مثل الدُّولاب
إذا تعطلّ تكسّر .

قال المأمون لأحمد بن يوسف : إن أصحاب

(١) هو محمد بن رباح .

الصدقات تظلموا منك ، فقال : يا أمير المؤمنين والله ما رضي أصحاب الصدقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله فيهم : « (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) » (١) فكيف يرضون عني ؟ فاستضحك المأمون ، وقال له : تأمل أحوالهم ، وأحسن النظر في أمرهم .

وكي الرشيد عاملاً خراج طمساسيج (٢) السواد ، فقال لجعفر ويحيى : أوصيائه . فقال جعفر : وفّر واعمر . وقال يحيى : أنصف وانتصف . وقال الرشيد : يا هذا : أحسن واعدل . ففضل الناس كلام الرشيد . فقبل لهما : لم نقص كلامكما عن كلامه ؟ فقال جعفر : لا يعتد هذا نقصانا إلا من لا يعرف ما لنا وما علينا . إنما أمرنا بما علينا أن نأمر به ، وأمير المؤمنين بما له أن يأمر به ؟

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(١) الطاسيج : جمع طسوج - كسفود : الناحية .

قال رجلٌ ليحيى بن خالد - وكان من صناعته - :
إنني سمعتُ الرشيدَ وقد خرجتَ من عنده يقولُ :
قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ ، فاحْتُلْ لِنَفْسِكَ . فقال :
اسْكُتْ يَا أَخِي ، إِذَا جَاءَ الْإِدْبَارُ كَانَ الْعَطْبُ فِي الْحِيلَةِ (١) .

أمرَ يحيى كاتبين من كتّابه أَنْ يَكْتُبَا كِتَابًا فِي
مَعْنَى وَاحِدٍ ، فَكُتِبَا ، وَاخْتَصِرَ أَحَدُهُمَا ، وَأَطَالَ الْآخَرُ ،
فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَ الْمُخْتَصِرِ ، قَالَ : مَا أَجْدُ مَوْضِعَ مَزِيدٍ .
ثُمَّ قَرَأَ كِتَابَ الْمُطِيلِ ، فَقَالَ : مَا أَحَدُ مَوَاضِعِ نَقْصَانٍ ؟

اعتذر رجلٌ إِلَى أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَلَمَّا أَبْرَمَ (٢) قَالَ :
مَا رَأَيْتُ عُذْرًا أَشَبَّهَ بِاسْتِنَانِ (٣) ذَنْبٍ مِنْ هَذَا .

قال بعضهم لابن الزيات : أَنَا أَمْتُ إِلَيْكَ بِحِوَارِي
لَكَ ، وَأَرْغَبُ فِي عَطْفِكَ . فقال : أَمَّا الْحِوَارُ فَنَسَبٌ
بَيْنَ الْحَيِّطَانِ ، وَأَمَّا الْعَطْفُ وَالرِّقَّةُ فَهُمَا لِلصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ .

(١) المراد : إِذَا كَانَ الْخَطُّ غَيْرَ مَوَاتٍ ، وَالْأَمْرُ مَوْلِيَةً ، فَالْحِيلَةُ
لَمَنْعِ ذَلِكَ قَدْ تَعَجَّلَ الْفُرُورُ وَلَا تَدْفَعُهُ .

(٢) أَبْرَمَ : بَرِمَ بِالْأَمْرِ : إِذَا سَمِعَهُ فَهُوَ يَرِمُ : فَجَر .

(٣) سَنَنْتُ السَّنَةَ وَاسْتَنْتَيْتُهَا : سَرَّهَا . فَهُوَ يَرِيدُ : أَنَّهُ فَعَلَ الذَّنْبَ ،
وَأَغْرَى بِهِ ، وَجَعَلَهَا سَنَةً لَغَيْرِهِ .

ونظره رجل فصّالحه^١ على مال ، فقال له : عجّل^٢ به .
 فقال الرجل : . . أظأم^٣ وتعجيل^٤ ؟ قال : فصلح^٥ وتأجيل^٦ ؟
 قيل ليعحي بن خاله : غير حاجيك . قال : فمن^٧
 يعرف إخواني القُدماء ؟

قال عبّيد الله بن عبد الله بن طاهر : أتاني كتاب^٨
 المعتز (١) ، وكتاب أحمد بن إسرائيل (٢) . مع رسول ،
 ومعه رأس بُغا وفي الكُتُب أن أنصبّه^٩ على الجانيين ،
 فلم أفعل وكتبت^{١٠} إلى أحمد بن إسرائيل : قد أوجب^{١١}
 الله^{١٢} على نصيح أمير المؤمنين من جهات : منها ما تقتضيه
 الديانة ، وتوجيه الإمامة ، ومنها اصطناع آباءه
 لخلاصهم من أسلافي ، ومنها اختصاصه^{١٣} لي^{١٤} بجميل رأيه ،
 ومع هذا فلم أكُن لأؤخر عتلك رأياً مع ، أنا عليه
 من المناصحة والشكر . وإن الكُتُب وردت عليّ بنصب
 رأس بُغا في الجانيين ، وقد أخرت^{١٥} ذلك حتى يعود^{١٦}

(١) لما كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، قلد المعتز وزارته جعفر
 ابن محمود الهرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد بن إسرائيل .
 (٢) بغا : أحد زعماء الأتراك الذين جلبهم الخليفة العباسي .

إِلَيَّ الْأَمْرُ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ « وَبِغَا » فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ
 لَمْ تُتَّهَمُوا فِيهِ ، وَأَخَافُ أَنْ تَتَّبِعَكُمُ الْآثَرَاكُ عِنْدَ أَوَّلِ
 شَغَبَةٍ بِهِ ، وَيَطَالِبُوكُم بِدَمِيهِ . وَيَجْأُوا ذَلِكَ ذَرْبَةً
 إِلَى إِيْقَاعِ سُوءٍ ، وَكَانَ الصَّوَابُ عِنْدِي أَنْ يَغْسِلَهُ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ . وَيُدْفَنُهُ وَيُظْهَرُ حَرْنَا ،
 وَيَقُولُ : مَا أَحَبُّ أَنْ يَصَابَ صَغِيرٌ مِنْكُمْ وَلَا كَبِيرٌ ،
 وَقَدْ غَسَّيْتُ أَمْرًا بِغَا وَلَوْ وَصَلَ إِلَيَّ لَزِدْتُ فِي مَرْتَبَتِهِ ،
 وَمَا يُشْبِهُ هَذَا .

فوردَ عليّ كتابُ أحمدَ بنِ إسرائيل يشكُرُ ما كان
 مِنِّي ويحلفُ أَنَّهُ سَبَقَنِي إِلَى هَذَا الرَّأْيِ ، وَاجْتَهَدَ فِيهِ فَمَا
 أَمَكْنَهُ إِلَّا أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ ، وَلَمْ يَقْبَلْ قَوْلَهُ . وَفِي آخِرِ
 كِتَابِهِ : وَاعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَ بِعَدَاكَ وَهُوَ مِمَّا لَا نَعْرِفُهُ
 نَحْنُ . وَلَا أَنْتَ . رَأْيٌ لِلْحُرِّمِ وَالْحَدَمِ يُقْبَلُ وَيُعْمَلُ
 عَلَيْهِ ، وَهَذَا فَتْحٌ لِلْخَطَا وَإِخْلَاقٌ لِلصَّوَابِ فَانْصَبِ الرَّأْسَ
 قَلِيلًا ، ثُمَّ أَنْفِذْهُ إِلَى خِرَاسَانَ .

كَتَبْتُ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَعْنَى أَنَّ صَاحِبَ الطَّرِيقِ قَدْ
 اشْتَطَّ فِيمَا يَطْلُبُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَوَقَّعَ جَعْفَرٌ : هَذَا رَجُلٌ

منقطع عن الساطعان ، وبين ذؤبان (١) العرب ، بحيث العدد والعدة ، والقلوب القاسية ، والأُنوف الحمية ، فليُمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به علوه فإن نفقات الحروب يُستظهر لها ولا يُستظهر عليها (٢) .

وأكثر الناس شكية عامل فوق إليه في قصتهم يا هذا قد كثُر شاكوك ، وقل حامدوك ، فإمّا عدلت وإمّا اعتزلت .

وكان يقول : إِنْ قدرْتُمْ أَنْ تَكُونُ كَتَبُكُمْ كُلُّهَا تَوَقَّعاتٍ فافعلوا .

كتب الفضل بن سهل في كتاب جواب ساع : ونحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، فاتقوا الساعي فإنه لو كان في سعائته صادقاً لكان في صدقه لثيماً ؛ إذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة .

(١) ذؤبان العرب : لصومهم وصعاليكهم .

(٢) لا يستظهر عليها : المعنى : يتعاون في دفعها بجمع نفقاتها من القادرين ، لا بالتساهل في جمع تلك النفقات ، الأمر الذي يؤدي إلى وقوع الكارثة .

الباب الثامن

نكتٌ مستحسنةٌ للقضاة

قال شريح^(١) : إنما لا نعيبُ الشهودَ ، ولا ناقضَ
الخصومَ ، ولم نسلطْ على أشعاركم وأبشاركم ، إنما
نقتضي بينكم ؛ فمن سألتم لقضائنا فيها ، ومن لا ،
أمرنا به إلى السجن .

كتب الفضل بن الربيع إلى عبد الله بن سوار^(٢) يسأله
أن يشتري له ضبيعة . فكتب إليه : إن القضاء لا يُدَّسُ بالوكالة .

قال الزهري^(٣) : ثلاثٌ إذا كنَّ في القاضي فليسَ
بمأضٍ : إذا كره اللوائمَ ، وأحبَّ المحامدَ ، وكرهَ
العزْلَ .

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث الكندي ، ولي قضاء الكوفة
لعمر رضى الله عنه ، فن بعه خمساً وسبعين سنة ، ولم يتعلل فيها إلا
ثلاث سنين ، وكان له درجة في القضاء .

(٢) هو عبد الله بن سوار العبدي ، استشهد سنة ٥٤٦هـ .

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله الزهري ، أبو مصعب .

قال أيُّوب : إِنْ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ أَرْجُو دَعْوَتَهُ ،
وَلَا أُجِيزُ شَهَادَتَهُ .

وقال سَوَّار (١) : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي أَفْضَلَ
مِنْ عَطَاءِ السُّلَمِيِّ ، وَلَوْ شَهِدَ عِنْدِي عَلَى فُلَانٍ مَا أُجَزْتُ
شَهَادَتَهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ ضَعِيفٌ لَيْسَ بِالْحَازِمِ .
وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ (٢) لَا يُجُوزُ شَهَادَةَ أَصْحَابِ
الْحَمِيرِ .

وَسُئِلَ قَتَادَةُ عَنْ شَهَادَةِ الصَّبْرِ فَقَالَ : لَا تَجُوزُ
شَهَادَتُهُ .

وَلِيَّ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ (٣) قَضَاءٌ لِلْبَصْرَةِ فَجَعَلَ
يُحَاذِي النَّاسَ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَمَا خَيْرُ رَجُلٍ
لَا يَقْطَعُ لِأَخِيهِ مِنْ دِينِهِ ؟
قَالَ شَرِيحٌ : الْحِدَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ .

(١) هُوَ سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَوَّارٍ الْقَاضِي .

(٢) أَحَدُ رَوَاةِ الْحَدِيثِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْ
الَّذِينَ كَانُوا يَحْفَلُونَ السَّنَةَ وَيُلْفَوْنَهَا النَّاسَ .

(٣) هُوَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابنُ شُبْرُمَة لرجل : أَتَشْرَبُ النِّبِيْدَ ؟ قال :
أَشْرَبُ الرُّطَابَيْنِ وَالدَّلَاثَةَ .

فقال : وَاللَّهِ مَا شَرِبْتَهُ شَرَبَ الْفَيْسِيَّانِ ، وَلَا تَرَكْتَهُ
تَرَكَ الْقُرْآنَ .

وقيل لهُ : لِمَ تَرَكْتَ النِّبِيْدَ ؟ فقال إِنْ كَانَ حَلَالًا
فَحَظَّتِي تَرَكْتُ ، وَإِنْ كَانَ حَرَامًا فَبِالْحَزْمِ أَخَذْتُ .
وسُئِلَ شَرِيكَ عَنِ النِّبِيْدِ . فقال : قَدْ شَرِبَهُ قَوْمٌ
صَالِحُونَ يُقْتَدَى بِهِمْ . فَقِيلَ : كَيْفَ أَشْرَبُ ؟ قال :
مَالًا يَتَشَرَّبُكَ (١) .

لَمَّا وَلِيَ بِحْثِي بنُ أَكْثَمَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ اسْتَصْفَرُوا سَنَةً ،
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَمْ سَنٌ الْقَاضِي أَعَزَّهُ اللهُ ؟ فقال : سِنٌ
عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ (٢) حِينَ وَلَّاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ، فَجَعَلَ جَوَابَهُ احْتِجَاجًا .

(١) المراد : مَالًا يَذْهَبُ بِوَعْيِكَ وَإِدْرَاكَكَ .

(٢) عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ : وَلَّاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَ مَكَّةَ
وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ سَنَةً .

ساوَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَعْرَابِيًّا بِفَرَسٍ لَهُ فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى ثَمَنِ أَخَذَهَا مِنْهُ عُمَرُ عَلَى أَنَّهُ فِيهَا بِالْخِيَارِ ، إِنْ رَضِيَ أَمْسَكَ ، وَإِنْ كَرِهَ رَدَّ ، فَحَمَلَ عُمَرُ عَلَيْهَا رَجُلًا يُشَوِّرُهَا (١) فَوَقَعَتْ فِي بئرٍ فَتَكَسَّرَتْ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ ضَمِنْتَ فَرَسِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : كَلَّا ، فَإِنِّي لَمْ أَرْضَها . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَجَعَلَا بَيْنَهُمَا شُرَيْحًا ، فَقَصَّصَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ شُرَيْحٌ ضَمِنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَسَ الرَّجُلِ ، لِأَنَّكَ أَخَذْتَهَا عَلَى شَيْءٍ مَعْلُومٍ ، فَأَنْتَ لَهَا ضَامِنٌ حَتَّى تَرُدَّهَا عَلَيْهِ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ عُمَرُ ، وَبَعَثَ شُرَيْحًا عَلَى قِضَاءِ الْكَوْفَةِ .

سَأَلَ الشَّعْبِيُّ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهَا . فَقِيلَ : لَا نَسْتَحْيِي ؟ قَالَ : وَلَمْ أَسْتَحْيِ مِمَّا لَمْ يَسْتَحْيِ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ حِينَ قَالَتْ : « (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) » (٢) ؟ كَانَ شُرَيْحٌ يَقُولُ : مَنْ سَأَلَ مُحَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ

(١) شار الدابة يشورها : راضها أو ركبها عند العرض على مشترئها .

(٢) سورة البقرة : ٣٢ . وأولها : « قالوا سبحانك » ..

نفسه على الرُّقُّ فَإِنْ قَضَاهَا الْمُسْتَوْلُ اسْتَعْبَدَهُ بِهَا ، وَإِنْ
رَدَّه عَنْهَا رَجَعَ حُرًّا ، وَهَذَا ذَلِيلَانِ : هَذَا بِذُلِّ اللُّثْمِ ،
وَذَاكَ بِذُلِّ الرَّدِّ

قال بَكَارُ بْنُ مُحَمَّدٍ رَأَيْتُ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - وَأَرَادَ
أَنْ يَحْكُمَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَتَرَفَّرَتْ عَيْنَاهُ
ثُمَّ حَكِمَ .

قيل للشعبي (١) : مَا أَحْسَنَ الْبَرَاءَةَ فِي الْإِمَاءِ !
فَقَالَ : تَوَرَّدُ مَاءُ الْحَيَاءِ فِي وَجْهِ الْحُرِّ أَحْسَنُ .

دَخَلَ شُرَيْحٌ عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ ، فَقَالَ الْأَمِيرُ :
يَا جَارِيَّةُ ؛ هَاتِي عَوْدًا فِجَاءَتَهُ بَعُودَ يَضْرِبُ . فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ
الْأَمِيرُ خَجَلَ ، وَقَالَ : نِعِمَّ هَذَا ، أَخِذِ الْبَارِحَةَ مَعَ
إِنْسَانٍ فِي الطَّوْفِ . اكْسِرُوهُ . ثُمَّ صَبَرَ قَلِيلًا ، وَقَالَ :
يَا جَارِيَّةُ . هَاتِي عَوْدًا لِلْبُخُورِ . فَقَالَ شُرَيْحٌ : أَتَخَافُ
أَنْ تَغْلُظَ مَرَّةً ثَانِيَةً ؟؟

(١) الشعبي : هو أبو عامر بن شراحيل اليمني الكوفي ، تابعي جليل
القدر ، وافر العلم . ولد سنة ٨٢١ تقريباً بالكوفة ، وكان عالماً
باللغة والسنة .

شهد رجلٌ من جلساء الحسنِ بشهادة عند إياس بن معاوية ، فردّه ، فشكا الرجلُ ذلك إلى الحسن . فأتاه الحسنُ فقال : يا أبا وائلة ، لم ردّدت شهادةَ فلان ؟ فقال : يا أبا سعيد ، إن الله يقول «(مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)» (١) وليس فلان مِمَّنْ أَرْضَى ،
 وشهد عند عبيدِ الله بن الحسن رجلٌ من بني نَسْلٍ على أمر ، فقال له : أتروي قول الأسود بن يعفر (٢) :

• نام الخليليُّ فما أحسنُ رُقادي •

فقال له الرجل : لا . فقال : تُردُّ شهادته . وقال : لو كان في هذا خيرٌ نروي شرفاً أهله .
 جاء رجلٌ إلى شُريح فكلمه بشيء ، وأخفاه .

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ . وأول الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ... » .

(٢) هو الأسود بن يعفر :

نام الخليلي وما أحسن رُقادي والحلم محتضر لدي وسادي
 وهو شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية .

فلما قام قال له رجلٌ : يا أبا أميَّة ، ما قال لك ؟ قال :
يا بنَ أخي . أو ما رأيته أسره منك ؟

كان تشريح عند زياد - وهو مريض - فلما خرج
من عنده أرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولا وقال :
كيف تركت الأمير ؟ فقال : تركته يأمر وينهى . قال
مسروق : إنه صاحب غويص (١) ، فارجع إليه
وأسلته : ما يأمر وما ينهى ؟

قال : يأمر بالوصية وينهى عن النُّوح .

ومات ابن تشريح فلم يشعر بموته أحد ، ولم
تصرخ عليه صارخة ، فقليل له : يا أبا أميَّة ، كيف
أمسى ابنك ؟ قال : سكنَ عزلته (٢) ورجاهُ أهله .
وما كان منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

حكى عن الشعبي أنه قال : شهدتُ شريحا ،
وجاءته امرأةٌ تُخاصمُ زوجها ، فأرسلتُ عينيها ،

(١) أي كلام ملتو لا يفهم .

(٢) عزله - العلز - بالتحريك : الضجر . والعلز : شبه رعدة

تأخذ المريض .

فبكت . فقلتُ : يا أبا أمية ، ما أظنُّ هذه البائسةَ
إلا مظلومةً .

فقال : يا شعبيُّ ، إنَّ إخوة يوسف «(جاءوا أباهم
عشاءً يبكون)» (١) .

كان شُرَّيح إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا
أمية ؟ قال : أصبحت ونصفُ الناسِ غضابٌ .

كان لشُرَّيح حائِطٌ مائلٌ ، فقال له جاره له :
حائِطُك هذا مائلٌ . قالَ : لا تُفَارِقني أو يُنْقَضْ .
قال : فنقضتهُ مِن ساعته .. فقال الرجلُ : لا تعجَلْ
يا أبا أمية ، فذاك إيلَـك . قال : بعد أن أشهدتَ عليَّ ؟

قال الشعبيُّ : وجهتُني عبدُ الملك بن مروان إلى ملك
الرُّوم ، فلمَّا قدِمْتُ عليه ودفعْتُ إليه كتابَ عبدِ الملك
جعل يُسأِّلُنِي عن أشياء فأخبرتهُ بها ، فأقمتُ عنده
أياماً ، ثم كتب جوابَ كتابي ، فلمَّا انصرفتُ رفعتهُ
إلى عبدِ الملك فجعل يقرؤه ، ويتغيَّر لونه ، ثم قال :

(١) الآية : ١٩ من سورة يوسف «(وجاءوا ... » .

يا شعبي : علمت ما كتب الطاغية ؟ قلت : يا أمير المؤمنين . كانت الكتبُ مختومةً ولو لم تكن مختومةً ما قرأتها . وهي إليك . قال : إنه كتب : إن العجب من قوم يكونُ فيهم مثلٌ من أرسلت به إلى فيملكون غيره . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، ذاك لأنّه لم يرك . قال : فسرتي عنه ، ثم قال : حسدني عليك ، فأراد أن أقولك .

قال الشعبي : قدمتُ على عبد الملك ، فما رأيتُ أحسن حديثاً منه إذا حدثت ، ولا أحسن إنصافاً منه إذا حدثت ، ولا أعلم منه إذا خولف ، وأخطأت عنده في أربع : حدثني يوماً بحديث ، فقلت : أعده عليّ يا أمير المؤمنين ، فقال : أمّا علمت أنه لا يُستعاد أمير المؤمنين ؟ وقلت له حين أذن لي عليه : أنا الشعبي يا أمير المؤمنين . فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك . وكنتُ عنده رجلاً فقال : أمّا علمت أنه لا يُكُنّى أحدٌ عند أمير المؤمنين . وسألتُه أن يُكُتِبَني حديثاً . فقال : إنّا نُكُتِبُ ولا نَكُتُبُ .

لما أخذ الحجاجُ الشعبيّ - وكان نخرج عليه مع ابن

الأشعث — قال : يا شعبيُّ ، ألمْ أرفعْ مِنْ قَدْرِكَ ،
وبلغتْ بِكَ شرفَ العطاءِ ، وأوفدتُكَ على أميرِ المؤمنين ،
ورضيتُكَ جليساً لي ومحدثاً ؟ قال : بلى ، أصلحَ اللهُ
الأميرَ . قال : فما أخرجَكَ مع ابنِ الأشعثِ تقاتلُنِي على
غيرِ دينٍ ولا دُنْيَا ؟ فأين كنتَ مِنْ هذهِ الفِتنةِ ؟ فقال :
أصلحَ اللهُ الأميرَ ، أوحشَ الجَنابُ ، وأحزنَ بنا
المنزلُ ، واستشعرنا الخوفَ ، واكتحلنا السهرَ ، وفقدنا
صالحَ الإخوانِ ، وشملتنا فتنةٌ لم نكن فيها بررةً أتقياءَ ،
ولا فجرةً أقوياءَ . فضحك الحجاجُ ، وعفا عنه .

قال الشعبيُّ : مَنْ أَمِنَ الثَّقَلَ ثَقُلَ .

أَسْمَعَ رجلَ الشعبيِّ كلاماً ، وعدَّدَ فيه خِصالاً
قبيحةً — والشعبيُّ ساكتٌ — فلما فرغ الرجلُ مِنْ كلامه ،
قال : واللهِ لأُغيظَنَّ مَنْ أَمَرَكَ بهذا . إن كنتَ صادقاً ،
فغفرَ اللهُ لي ، وإن كنتَ كاذباً فغفرَ اللهُ لك .

قيل : يا أبا عامر : وَمَنْ أمرُهُ بهذا ؟ قال : الشيطانُ

وقال ابنُ شبرمة : مَنْ بالغَ في الحُصومةِ أثِمَ ،
ومن قصَّرَ خَصِمَ .

وقال : من لَزِمَ العَفَافَ هانت عَليه مَوْجِدَةُ المَلك .
دخل رجلٌ على عيسى بن موسى بالكوفة فكلَّمه ،
وحضر عبدُ اللّٰه بنُ شُبْرَمَةَ فَأَعَانَهُ ، وقال : أَصْلَحَكَ
اللّٰهُ . إنَّ له شرفاً ، وبيتاً وقَدَمًا . فقيل لابنِ شبرمة :
أَتَعْرِفُهُ ؟ قال : لا . قالُوا : فكيف أثبتَ عليه ؟

قال : قلتُ ؛ إنَّ له شرفاً ، أي : أَذُنَيْنِ وَمَنْكِبَيْنِ ،
وبيتاً يأوي إليه ، وقدمًا يطأُ عليها .

وقال له رجلٌ : صنعتَ إلى فُلانٍ ، وصنعت ، فقال :
اسكت ، فلا خيرَ في المعروفِ إذا أُحصِيَ . وكان إذا
وُلِدَ له غلامٌ يقول : اللّٰهُمَّ اجْعَلْهُ بَرًّا تَقِيًّا ، واجعل
لِدَّتِهِ في بَلَدِهِ .

قيل : بينا رَقَبَةُ بنُ مَصْقَلَةَ القَاضِي في حَلَقَةٍ إِذْ
مرَّ رجلٌ غليظُ العُنُقِ ، فقال له بعضُ جلسائِهِ : يا أبا
عبدِ اللّٰه ، هذا الَّذِي تَرى مِن أَعْبِدِ النَّاسِ . فقال رَقَبَةُ :
لَأَرى لَذا عُنُقًا قَلَمًا وَقَدَّتْهَا (١) العِبَادَةُ .

(١) وقلتها : من معاني وقده : سكنه ، وتركه غليلاً .. والمراد :
أن العبادَةَ لم تؤثر عليه بدليل أن عنقه ما زالت مثقلة وغير مستقرة .

قال : فعضى الرجلُ ، ثم عاد قاصداً إليهم ، فقال
رجلٌ رقةٌ : يا أبا عبد الله ، أخبرهُ بما قلت ؛ لا تكون
غيبَةً . قال : نعم . أخبرهُ حتى تكون نائمةً .
وكان رقةٌ يقول : أيُّ مجلسٍ المسجدُ لو كان عليك
فيه إذن !

خاصم رجلٌ خالدَ بنَ صفوان (١) إلى بلال ، فقضى
للرجلِ عليه . فقام خالدٌ وهو يقولُ :

« سحابةٌ صَيْفٍ عن قليلٍ تَنْقَشَعُ »

فقال بلالٌ : أما إنها لا تنقشع حتى يصيبك منها
شؤبوب (٢) برْد . وأمر به إلى الحبس .

فقال خالد : علامَ تحبسُنِي ؟ فوالله ما جنيتُ
جنايةً . فقال بلال : يخبرنا عن ذلك بابٌ مُصَمَّتٌ ،
وأقيادٌ ثقالٌ ، وقيِّمٌ يقال له : حفص .

قال بلال : إذا رأيتَ الرجلَ لجوجاً ممارياً ، معجباً
برأيه ، فقد تمت خسارته .

(١) خالد بن صفوان : هو أحد بخلاء العرب .

(٢) شؤبوب برد : الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والدفعة من كل شيء .

كان إياسُ بنُ معاويةَ بنِ قرّة (١) صادقَ الظنِّ ،
لطيفاً في الأمور ، وتولّى قضاءَ البصرة في أيام عمرَ بنِ
العزيز . واختصم إليه رجلان في مُطَرَفٍ خَزٍّ وأنبجاني (٢) ،
فادّعى كلُّ واحد منهما المُطَرَفَ الخَزَّ أنه له ، وأنَّ
الأنبجاني الآخر . فدعا إياس بمشط وماء ، فبلَّ رأسَ
كلِّ واحد منهما . ثم قال لأحدهما : سرح رأسك .
فخرج في المُشط غفرُ المطرف (٣) ، وفي مشط الآخر غفرُ
الأنبجاني . فقال : يا خبيثُ ؛ الأنبجاني لك . فأمر . فدفع
المطرف إلى صاحبه .

استودعَ رجلٌ رجلاً من أُمّناء إياسٍ مالا ، وخرجَ
الرجلُ إلى مكة . فلما رجع طالبه بالمال فجحدّه ،
فأتى إياساً فأخبره ، فقال إياسُ : عليمُ أنك أتيتني ؟
قال : لا . قال : فنازعته عند أحد ؟ قال : لا . لا يعلم أحدٌ

(٢) هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني اللبي ، وكنيته أبو واقله .
يضرب بذكائه المثل .

(٢) الأنبجاني : ثوب من الكتان ونحوه وليس غالي القيمة .

(٣) غفر المطرف : يقال : غفر الثوب غفراً : ثار زئيره .

والمطرف : الثوب والمعنى : ظهر غبار الثوب .

أحدٌ بهذا . قال : فانصرف ، واكتُم أمرك ثم عُدْ
إليَّ بعد يومين . فمضى الرجل ، ودعا إياسُ أُمَيْتَه ذلك ،
فقال : قد حضرَ مالٌ كثيرٌ ، وأريد أن أصيِّرَه إليك
أَتَحْصِنَنَّ مَنْزِلَكَ ؟ قال : نعم . قال : فأعدَّ موضعاً
للأمال ، وقوماً يحملونه . وعاد الرجلُ إلى إياس ، فقال له :
انطلقْ إلى صاحبك ، فاطلُبْ مالكَ . فإن أعطاك
فذاك ، وإن جحدَكَ فَقُلْ له : إنِّي أخبرُ القاضي .
فأتى الرجلُ صاحبه ، فقال : مالي ، وإلاَّ أتيتُ القاضي ،
وشكوتُ إليه ، فدفعَ إليه ماله . ورجعَ الرَّجُلُ إلى
إياس فأخبره ، وجاء الأُمِينُ لموَصِيدهِ ، فزجره إياسُ
وقال : لقد بانَ يا خائنُ .

قال إياسُ لقوم من أهل مكَّة : قدمنا بلادكم ،
فعرفنا خياركم ، وشراركم قالوا : وكيف عرفتم ؟
قال : كان معنا أخيارٌ ، وأشرارٌ نعرفُهم ، فلحق
كلُّ جنسٍ بجنسه .

كان إياسُ يقول : الحبُّ (١) لا يخدعني ، ولا يخدع
ابنَ سيرين ، ويخدع الحسن ، ويخدعُ أبي .

(١) الحب : المخادع الناس .

أَخَذَ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ (١) إِيَّاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ فِي
ظِلَّةِ الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ : إِنَّكَ خَارِجِيٌّ مُنَافِقٌ ،
وَأَوْسَعُهُ شَتْمًا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِيَّتَنِي بِكَفِيلٍ . فَقَالَ :
أَكْفُلْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَمَا أَحَدٌ أَعْرَفَ مِنْكَ بِي . قَالَ :
وَمَا عَلِمَ بِي وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ
الْعِرَاقِ ؟ فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ : فَفِيمَ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟
فَضَحِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

كَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى وَلِيَّ الْقُضَاءِ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، وَبَعْدَهُم
لِبَنِي الْعَبَّاسِ . وَقِيلَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّى قُضَاءَ بَغْدَادَ .
وَقِيلَ : بَلْ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّاهَا مِنَ الْقُضَاةِ شَرِيكَ .

وَقَالَ سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : شَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ الْأَسْوَدِ عِنْدَ ابْنِ لَيْلَى بِشَهَادَةٍ ، فَتَوَقَّفَ فِي شَهَادَتِهِ .
قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : فَنَظَرْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى فِي ذَلِكَ ، وَقُلْتُ
لَهُ : أَنَّى لَكَ بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ مِثْلُهُ ؟ ؟ فَقَالَ : هُوَ كَذَلِكَ ،
إِلَّا أَنَّ الَّذِي شَهِدَ بِهِ عَظِيمٌ ، وَالرَّجُلُ فَقِيرٌ . قَالَ : فَأَعْجَبَنِي
هَذَا مِنْ قَوْلِهِ .

(١) هُوَ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ الثَّقَفِيُّ عَامِلُ الْحِجَاجِ .

وأخذ على ابن ليلى رجلٌ من جلسائه كلمةً ،
فقال له ابن أبي ليلى : أهيد إلينا مِن هذا ما شئت .
وكان يقول : أحذرْكم الثُّقات (١) .

دعا المنصور ابن أبي ليلى ، فأرادَه على القضاء ،
فأبى ، فتوعَّده إن لم يفعل . فأبى أن يفعل ، ثم إنَّ غداءَ
المنصور حضرَ ، فأتى فيما أتى بصحفة فيها مثالُ رأس .
فقال لابن أبي ليلى : خُذْ أيها الرجلُ مِن هذا . قال ابنُ
أبي ليلى : فجعلتُ أضربُ بيدي إلى الشيء ، فاذا وضعتهُ
في فمِي سال ؛ لا أحتاجُ إلى أن أمضغه . فلما فرغَ
الرجلُ جعلَ يلحسُ الصَّحفةَ . فقال لي : يا محمدُ .
ألدري ما كنتَ تأكلُ ؟ قلتُ : لا - والله - يا أميرُ
المؤمنين . قال : هذا مخُ النِّينان (٢) معقودٌ بالسكر
الطَّبرزد (٣) . وتلدري بكم تُقَوِّم هذه الصَّحفةُ علينا ؟

(١) المراد أنه لا يليق أن يثق الإنسان بغيره . ثقته مطلقة ، بل يأخذ
كلامه بحرص وتأمل وتشكيك حتى يثبت صدقه .

(٢) النِّينان : جمع (نون) وهو الخوت .

(٣) السكر الطَّبرزد : الطَّبرزد : السكر ، مغرب ، كأنه نحت من
نواحيه بالفأس .

قلت : لا ، يا أمير المؤمنين . فقال : تقوم بثلاث مائة
وبضعة عشر . أتدري : لِمَ أحسُّها ؟ هذه صحيفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أطلبُ البركةَ بذلك .
فلما خرجَ ابنُ أبي ليلى من عنده رفعَ رأسه إلى الربيع
فقال : لقد أكل الشيخُ عندنا أكلةً لا يفلحُ بعدها أبداً .

فلما كان عَشِيَّةَ ذلك اليوم راح ابنُ أبي ليلى إلى
المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فكرتُ فيما عرضتَ
عليَّ ، فرأيتُ أنه لا يسعُنِي خِلافُكَ . فوالله القضاء .
ثم قال للربيع : كيف رأيتَ حَدسي ؟

رَوَى عن العباس بن محمد (١) أنه قال : لما أرادَ
المنصورُ شريكَ بنَ عبد الله علىَ القضاءِ قالَ : أريدُ
أن تكلِّمَ أميرَ المؤمنين ليُعَفِّيَنِي فقلتُ له : إنَّ أبا جعفر
إذا عزمَ أمراً لم تُردَّ عَزَمَاتُهُ . قال : فلما قام ، وأقرَّه
على القضاءِ قلتُ له : إنَّ أميرَ المؤمنين المهديَّ ألينُ عَرِيكةً
من الماضي . فقال : أما الآنَ فلا ، فلإني أخشى شماتةَ
الآعداء .

(١) هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : أخو المنصور .

قال بعض أصحاب الحديث : سألتُ شريكاً عن النبيذ ،
فقال لي : أمّا أنا فلا أتركه حتى يكون أسوأ عملي .

وسئل عن أبي حنيفة (١) ، فقال : أعلمُ الناس بما
لا يكون ، وأجهلهم بما يكون .

ودخل على المهديّ فقال له : يا شريك ، بلغني
أنّك فاطميّ . فقال : أحبُّ فاطمة ؟ أعترّ الله من
لا يحبُّ فاطمة . فقال المهديّ : آمين . فلما خرج شريك
قال المهديّ لمن عنده : لعنه الله ، ما أظنُّه إلا عتاني .
وقال له يوماً : أيُّنا أشرفُ : نحن أم ولدُ عليّ ؟
فقال شريك : هات أمّا مثلَ فاطمة حتى تُساوِيَهُمْ في
الشرف .

ولما دعاه المهديّ إلى القضاء قال له : لا أصلحُ لذلك .
قال : ولمَ ذاك قال : لآتي نساءً . قال : عليك بمضغ

(١) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه ، الإمام الفقيه ،
الكوفي ، أدرك بعض الصحابة وكان عالماً ، زاهداً ، عابداً ، ورعاً تقياً ،
دائم التضرع إلى الله . وقد أبى أن يتولّى القضاء على الرغم من إلحاح
الخلفاء عليه في ذلك حتى حبس من جراء امتناعه . ومذهبه يمتنقه الكثير من
المسلمين . توفي سنة ١٥٠ هـ .

اللبان (١) . قال : إني حديدٌ . قال : قد فرض لك أمير المؤمنين فالوذجة (٢) توقرك . قال : إني امرؤ أقضي على الوارد ، والصادر .

قال : اقض عليّ ، وعلى والدي . قال : فاكفني حاشيتك . قال . قد فعلت .

فكانت أول رقعة وردت عليه خالصة جارية المهدي . فجاءت لتتقدم الحصم ، فقال : وراءك مع خصميك ميراناً . فأبت . فقال : وراءك بالخناء (٣) قالت : يا شيخ ، أبت أحمق .

قال : قد أخبرت مولاك ، فأبى عليّ . فجاءت إلى المهدي تشكو إليه . فقال لها : الزمي بيتك ، ولا تعرضي له .

(١) اللبان - يضم اللام : نبات من الفصيلة البخورية يفرز صمغاً ويسمى الكندر .

(٢) فالوذج : والفالوذ : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، وتصنع الآن من النشا والماء والسكر ، وهو معرب .

(٣) بالخناء : اللخن : قبح ريح الفرج . والخناء : التي لم تخن . وقيل : اللخن : التتن .

قال ابن أبي ليلى إلى قوله : ليست من الإيمان .
وقال : كيف أجيزُ شهادة قوم يزعمون أن الصلاة
ليست من الإيمان .

وكان ابنُ شُبْرُمة يقول : لأنَّ استعملَ خائناً
بصيراً بعمله أحبُّ إليَّ من أن استعمل مُضِيئاً لا يبصر
العملَ .

ودخل سوارُ بن عبد الله على المنصور — والمصحفُ
في حجره ، وعينه تملان (١) — فقال : السلام عليكم .
يا أمير المؤمنين . فقال : يا سوارُ ، ألا مرةً على المؤمنين !!
هدمتُ ديني ، وذهبتُ بآخرتي ، وأفسدتُ ما كان من
صالح عملي . قال سوارُ : فانتهزتها فُرصةً ، وطلبتُ
ثوابَ الله في عِظَتِهِ فَقُلْتُ : يا أمير المؤمنين ، إنك جديرٌ
بالبكاءِ ، حقيقٌ بطُولِ الحزنِ ما أقمتَ في الدنيا . وقد
استرعاكَ الله أمرُ المسلمين ، واستحفظَكَ أموالهم ،
يسألك عما عملت فيما استرعاكَ في اليوم الذي أعلمك في
كتابه ، فقال «(يومئذ يصدُّرُ الناسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا

(١) عيناه تملان : هملت : فاضت وسالت .

أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره^١ . ومن
يعمل مثقال ذرة شراً يره^٢ » (١) . فازداد بكاءً ،
وقال : ((يا ليتني مبت قبل هذا وكنت نسيئاً منسياً)) (٢) .
ثم قال يا سوار^٣ إني أعالج نفسي ، وأعاتبها منذ وابت^٤
أمور المسلمين على حمل الدرة على عنقي ، والمشي
في الأسواق على قدمي ، وأن أسد^٥ بالحرش (٣) من الطعام
جوعتي وأواري بأخشن الثوب عورتي ، وأضع قدر^٦
من أراد الدنيا ، وأرفع قدر^٧ من أراد الآخرة ، وسعى لها ،
فلم تطعني ، وعصني ، ونفرت^٨ نفوراً شديداً .

قال سوار^٩ لا تجشمها يا أمير المؤمنين صعب الأمور ،
ولا تحملها ما لا تطيق ، وألزمها أربع خصال تسام^{١٠}
لك دنياك وآخرتك : أقيم الحدود واحكم بالعدل ،
واجب الأموال من وجوها ، واقسمها على أهلها بالحق .
خاصم عبد الله بن عبد الأعلى الكريزي^{١١} (٤) مولى

(١) سورة الزلزلة : ٦ - ٨ .

(٢) سورة مريم : ٢٣ وأولها : « فأجابها المخاض ... » .

(٣) الحرش : دقيق فيه غلظ . والمعنى الطعام الخشن .

(٤) هو عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز ،

القرشي .

له في أرض إلى سوار — وكان جدُّه أقطعها جدَّه . فقال
سوار : إني لأرغبُ بك عن هذا ، تُنازعُهُ في أرض
أقطعها جدُّك جدَّه ؟ فقال الكريزي : الشحيحُ أغدرُ من
الظالم . فنكس سوارُ طويلاً ، ثم رفع رأسه ، فقال :
اللهم ارددْ على قریش أخطارها .

دعا الرشيد أبا يوسف القاضي (١) ليلاً فسأله عن
مسألة ، فأفتاه . فأمر له بمائة ألف درهم . فقال : إن
رأى أميرُ المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصبح . فقال :
عجلوها له . فقبل : إن الخازن في بيته ، والأبواب
مغلقة . فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيتي والدُّروبُ
مغلقة ، فحين دعيتُ بي ففتحت .

وقال له الرشيد : بلغني أنَّك لا ترى لبس السواد (٢)
فقال : يا أمير المؤمنين . ولِمَ ؟ وليس في يدي شيءٌ أعزُّ
عليَّ منه . قال : ما هو ؟ قال : السوادُ الذي في عيني .

(١) القاضي أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، ولد سنة
٨١٣ هـ . وهو من أهل الكوفة ، وكان صاحباً للإمام أبي حنيفة ، وقد
أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وقد توفي سنة ١٨٢ هـ .
(٢) كان شعار العباسيين لبسهم المعائم السوداء ، تشبهاً بما فعله
النبي عليه السلام في بعض غزواته .

وسُئِلَ مرةً عن السَّوَادِ ، فَقَالَ : النُّورُ فِي السَّوَادِ .
يريد سواد العين .

وكان خالدُ بنُ طليقٍ الحِمْزَاعِيُّ قاضياً ، فاختصم
إليه اثنان ، فكان أحدهُما كلما أراد أن يتكلّم غمزّه
الشَّرْطِيُّ ألاّ يتكلّم . فلما كثر ذلك عليه قال : أيُّها
القاضي ، أتقضي على غائبٍ ؟ فقال : لا . فقال : أنا
غائبٌ إذا لم أترك أن أتكلّم .

وكان خالدٌ تيّاهاً صليفاً (١) ، وقال يوماً لمحمد بنِ
سليمان - مع محله وشرفه وثروته - نحنُ وأنتمُ في
الجاهلية كهاتين . وجمع بين إصبعيه .

كان عبيدُ بنُ ظبيانٍ قاضي الرِّقّةِ ، فجاءه رجلٌ
واستعده اه على عيسى بنِ جعفر ، وكان الرشيدُ إذا ذاك
بالرِّقّة فكتب ابنُ ظبيان إلى عيسى أمّا بعد أطال الله
بقاء الأمير وحفظه وأنتمُ نعمته عليه . أتاني رجلٌ فذكر
أنّ له على الأمير خمسمائة ألف درهم . فإني رأى الأميرُ -

(٢) الصلف : الصلف مجاوزة القدر في الظرف والادعاء فوق
ذلك تكبر .

أعزّه الله - أن يحضر مجلس الحكم ، أو يُوكّل وكيلاً
يُناظر عنه فعل .

ودفع الكتاب إلى الرجل ، فأتى باب عيسى ، فدفع
كتابته إلى الحاجب ، فأوصله إليه ، فقال له : كُلُّ
هذا الكتاب ١١ فرجع إلى القاضي فأخبره . فكتب إليه :
أبقاك الله وحفظك ، وأتمّ نعمته عليك . حضر رجل
يفال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقّاً ، فصر معه
إلى مجلس الحكم ، أو وكيلك إن شاء الله .

تقدم رجل إلى أبي خازم ، وقدّم أباهُ يطالبهُ بدّين
له عليه . فأقرّ الأبُ بذلك . فأراد الابنُ حبس أبيه بالدين .
فقال له أبو خازم : هل لأبيك مال ؟ قال : لا أعلسه .
قال : فمُدّ كم دايئته بهذا المال ؟ قال : منذ كذا وكذا .
قال . فقد عرضتُ عليك نفقة أهلك من وقت المدّاية .
فحبس الابن ، وخلّى عن الأب .

وكان إسماعيل بن إسحاق (١) قاضياً للمعتمد بمدينة

(١) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي ،
فقيه مالكي المذهب جليل التصانيف ، .

السلام(١) . فدخل على الموفق ، فقال له : يا إسماعيلُ :
ما تقول في هذا النيد ؟ فقال له : أيها الأميرُ ، إذا أصبح
الإنسانُ وفي رأسه منه شيء ، قال ماذا ؟ قال الموفق :
يقولُ : أنا مخمورٌ . قال : فهو كاسمه .

قدم البلاذريُّ(٢) إلى الحسن بن أبي الشَّوارب في
دين عليه ، فادَّعى غريمهُ مائتي دينار . فذكر البلاذري
معاملةً بينهما . وعادة جرت بالنظيرة . فقال له القاضي :
أنظِرهُ . فقال : لم أطأ به إلا وقد علمتُ الساحة نعمته .
فقال البلاذري : صدق أيها القاضي ، إني من الله أفي
نعم ، لا أقومُ بشكرها ، أولها : نعمةُ الإسلام ، وهي
التي لا تعدلُها نعمةٌ ثم نعمةُ العافية - وهي أفضلُ النعم

(١) مدينة السلام : بغداد .

(٢) البلاذري : هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري أبو
الحسن ، وقيل أبو بكر ، من أهل بغداد ، مات في أيام المعتز على الله ،
في أواخرها ، وأهم كتبه فتوح البلدان .

بعدها - وما يُقضى من هاتين الدين . فقال القاضي
لغيره : انصرف ، ورُحْ إليّ . فراح إلى القاضي ،
فأعطاه عنه مئتي دينار .

كان يحيى بن سعيد الأنصاري^(١) قاضياً للرشد ،
وكان خفيف الحال وكان له مجلسٌ من السوق . فلما
ولي القضاء ، وارتفع شأنه لم يترك مجلسه في السوق .
ف قيل له في ذلك ، فقال : مَنْ كانت له نفسٌ واحدةٌ لم
يغيّرهُ الإقتارُ ، ولا المالُ .

كان البرقيّ عفيفاً ، صالحاً ، وولي قضاء مدينة
السلام أيام المعتمد ، وكان قد ولاه قبل ذلك يحيى بن
أَكْثَم . فقيل له : واثبت البرقي القضاء وهو رجلٌ من
أهل السواد ؟

فقال يحيى : ألم تسمع قول الله تعالى : «(وما
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ)» (٢) .

(١) هو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري البخاري أبو سعيد ، قاض ،
من أكابر أهل الحديث ، من أهل المدينة ولي القضاء بالمدينة زمن بني أمية .
(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

قال بعضهم : رأيت البرقي يوماً وهو يقرأ علينا شيئاً من حديث سفيان فقال له رجل كان معنا يا أبا العباس . فقام إليه البرقي ، وضرب لحيته ، وقال له : أنا قاضٍ مُذْكَرٌ وكذا سنةً !! تقولُ : هيا يا أبا العباس . وكان أبو العيناء (١) يقول : كان أحمدُ بنُ أبي دُوادٍ إذا رأى صديقه مع عدوه قتل صديقه .

وقال أبو العيناء : ما رأيتُ مثل ابن أبي دُوادٍ من رجلٍ قد مُكِّنَ في الدنيا ذلك التمكين ، كنتُ أراهُ في مجلسٍ سقفه غير مُقَرَّرٍ ، جالساً على مِسحٍ (٢) وأصحابه معه يتشدَّدون (٣) القميصُ عليه فلا يبدُّله ، حتى يعاتب في ذلك ، ليست له همةٌ ولا لذةٌ من لذات الدنيا إلا أن يحمل رجلاً على منبر ، وآخر على جلدع .

وقال له المعتصم في أمر العباس بن المأمون : يا أبا عبد الله ، أكرهُ أن أحبسَه ، فأهتكه وأكرهُ أن أدعه

(١) أبو العيناء هو : محمد بن القاسم بن خلاد بن يامر بن سليمان من بني حنيفة أهل اليمامة ، وكان ضريراً وهو من اشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستطرفة .

(٢) جالسا على مسح : المسح بكسر الميم : الكساء من الشعر .

(٣) يتشدَّدون القميص : درن الثوب : أصابه الدرن ، وهو الوسخ ، أو تلتخ .

فأهملته . فقال له ابن أبي دُواد : الحبسُ - يا أمير المؤمنين - فإن الاعتذار خيرٌ من الاغترار .

وكان الأَفْشِينُ (١) يحسدُ أبا دُلف (٢) ، ويبغضُهُ للعربية ، والشجاعةِ والجُود ، فاحتال عليه حتى شُهد عليه بخيانةٍ فجلس له ، وأحضره ، وأحضر السيَّاف لقتله . وبلغ ذلك أحمد بن أبي دُواد ، فركب مع من حضره من عُدُوله . ودخل على الأَفْشِين وقد جيء بأبي دلف ليُقتل . فوقف ، ثم قال : إني رسولُ أمير المؤمنين إليك بألا تحدث في القاسمِ حدثاً حتى تحمله إليه مسلماً . ثم التفت إلى العُدُول ، فقال : اشهدوا أنني أديتُ الرسالة والقاسمُ حيٌّ مُعافى . وخرج فلم يَقدِّم الأَفْشِينُ عليه .

وصار ابنُ أبي دُواد من وقته إلى المعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أدَّيتُ عنك إلى الأَفْشِين رسالةً لم تُعْملها لي ، لا أعتدُّ بعمل عملته خير منها ، ولاني لأرجو

(١) حيدر بن كاوس من أجل قواد المعتصم .

(٢) أبو دلف : القاسم بن عيسى .

لك يا أمير المؤمنين بها الجنة . وخبره الخبر ، فصوب رأيه ،
وأمر بالإفراج عن أبي دلف .

وكان أحمد بن أبي دؤاد بعد ذلك يقرظُ أبا دلف
ويصفه للمعتصم ، فقال له : يا أبا عبد الله ، إن أبا
دلف حسنُ الغناء ، جيّدُ الضربِ بالعود . فقال : يا
أمير المؤمنين ، القاسمُ في شجاعته وبيته في العرب يفعلُ
هذا !! .

ثم أحبَّ المعتصمُ أن يسمعه ابنُ أبي دؤاد . فقال له
يوماً : يا قاسمُ ، غنّني . فقال ، والله ما أستطيع ذلك —
وأنا أنظرُ إلى أمير المؤمنين — هيبةً وإجلالاً . قال : فاجلس
من وراء ستارة . ففعل وغنّى .

وأحضر ابنُ أبي دؤاد ، وأجلسه وقال : كيف
تسمعُ هذا الغناء ؟ قال : أميرُ المؤمنين أعلمُ به ، ولكنّي
أسمعُ حسناً . فغمز غلاماً ، فهتَكَ الستارة ، فإذا أبو دلف .

فلما رأى أبو دلف ابنَ أبي دؤاد وثب قائماً ، وأقبل
على ابنِ أبي دؤاد ، فقال : إني أجبرتُ على هذا .
فقال : يا ماجنُ ، لولا دُرْبُكَ في الغناء ؛ من أين

كنت تأتي مثل هذا ؟ هبك أجبرت على أن تُغني ،
مَنْ أجبرك على أن تُحسن ؟ .

قال الحسن بن وهب : شكرت أبا عبد الله أحمد
ابن أبي دواد على شيء كان منه . فقال لي : لا أحرّجك
الله ، ولا إيماننا إلا أن نعرف ما لنا عند الأصدقاء ؛
وتخطئ بعض بني هاشم رقاب الناس عند ابن أبي
دواد ، فقال : يا بُني ، إن الأدب ميراث الأشراف ولست
أرى عندك من سلفك ميراثا . فاستحسن كلامه
كل من حضر .

قال الواثق لأحمد بن أبي دواد في رجل حميل إليه
من بعض النواحي : قد عزمْتُ على ضرب عُنقه . فقال :
لا يحيل لك يا أمير المؤمنين . قال : فأضربه بالسياط ؛
قال : ظهّرُ المسلم حِمِي (١) إلا من حد . قال له :
أنت أبدا تعترض علي . قال : يا أمير المؤمنين ؛ أخافُ
عليك العامة . قال : وما عسى العامةُ تفعل ؟ قال :
أقول يا أمير المؤمنين ولا تغضب . قال : قل ؛
قال : إذا رأوك قد جرّرت في الحكم ؛ أخلدوا بيدك

(١) الحى : ما يجب حمايته . والمعنى : لا يحل عقوبة المسلم الا
بسبب تنفيذ حد من حدود الله .

فَأَقَامُواكَ عَنْ مَجْلِسِيكَ ، وَاجْلُثُوا غَيْرَكَ . قَالَ : فَأَمْسَكَ
الْوَائِقُ ، وَلَمْ يَحِرْ جَوَابًا (١) ، وَزَالَ الْمَكْرُوهُ عَنْ
ذَلِكَ الرَّجُلِ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ : مَوْتُ الْأَحْرَارِ أَشَدُّ مِنْ ذَهَابِ
الْأَمْوَالِ .

وَقَالَ : الشَّجَاعَةُ شُجَاعَةٌ فِي الْقَلْبِ ، وَالْبَخْلُ
شُجَاعَةٌ فِي الْوَجْهِ .

قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ شُبْرُومَةَ : ذَهَبَ الْعِلْمُ إِلَّا غُبَرَاتٍ
فِي أَوْعِيَةٍ سَوَاءٍ (٢) .

• • •

(١) أَنَحَمَ فَلَمْ يَجِدْ مَا يَحِبُّ بِهِ .

(٢) الْمَعْنَى : لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَ أَنَاسٍ
هِيَ حَسِي الْخَلْقِ .

الباب التاسع

كلامُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (١)

كان الحجاجُ يقولُ : أخطبُ الناسَ صاحبُ العمامةِ
السوداءِ بين أخصاصِ (٢) البصرة ؛ إذا شاء تكلمَ ،
وإذا شاء سكت . يعني « الحسن » .

كتب إليه عُمَرُ بنُ عبد العزيز : أنْ أعنِّي ببعضِ
أصحابك . فكتبَ إليه الحسنُ : أما بعد . فإنه مَنْ كان
مِنْ أصحابي يريد الدنيا فلا حاجةَ لك فيه ، وَمَنْ كان
يريد الآخرةَ فلا حاجةَ له فيما قبَلَكَ ، ولكن عليك
بلموي الإحسان فإنهم إن لم يستحيوا استحيوا ، وإن لم
يستحيوا تكرموا .

(١) الحسن البصري هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار
البصري ونشأ الحسن بوادي القرى ، وتلقى الفصاحة من أعرابه ، وكان
من سادات التابعين وكبرائهم بارعاً في الفقه ، معروفاً بالورع والزهد
والعبادة ، وهو شيخ راصل بن عطاء الله رأس المعتزلة . وكانت وفاته
بالبصرة سنة ١١٠ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك .

(٢) أخصاص البصرة : المفرد خص ، وهو بيت من شجر أو
قصب ، والبيت يسقف بخشب .

وقال : كُنْ في الدنيا كالغريب الذي لا يجزعُ
من ذُلِّها ولا يشارك أهلها في عزِّها . للناس حالٌ وله
حالٌ أخرى ، قد أهتمَّتْه نفسه ، وعمل لما بعد الموت ؛
فالناسُ منه في عافية ، ونفسه منه في شغلٍ .

ذكروا أنه سمع رجلاً يقولُ : أهْلِكَ اللهُ
الْمُجْتَارَ فقال : إِنْ تَسْتَوْحِشْ (١) فِي الطَّرْقِ .

قال أعرابيٌّ للحسن : عَلَّمَنِي دِينًا وَسُوطًا (٢) ،
لَا ذَاهِبًا شَطُومًا ، وَلَا هَابِطًا هَبِوطًا .

فقال الحسنُ : لَنْ قُلْتَ ذَلِكَ ؛ إِنْ خَيْرَ الْأُمُورِ
لَا وَسْطُهَا .

وقال له رجل : إِنْ آكَرَ الموتَ . قال : ذَاكَ
أَنْتَ أَنْخَرْتَ مَالَكَ وَأَوْ قَدَمَتَهُ لِسَرِّكَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ .

وقال : اقْدَعُوا (٣) هَذِهِ النُّفُوسَ فَلَيْنَهَا طُلُوعَةٌ ،
وَاعْصُوهَا فَلَيْنَكُمْ إِنْ أَطَعْتَهُمَا تَنْتَرِعَ بِكُمْ إِلَى شَرِّ
غَايَةٍ ، وَحَادِثُوهَا بِالذِّكْرِ فَلَيْنَهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ (٤) .

(١) المراد أنه لن يجد من يؤنسُه لكثرة من يهلك بسبب الفجورة .

(٢) الوسوط : المتوسط ، والجمع وسط .

(٣) قدعه : منعه وكفه . والمعنى امنعها وحدوا من نوازعها .

(٤) الدُّثُور : دثور القلوب : إخماء الذكر منها .

وقال الحسنُ : لا تزُولُ قلمُ ابنِ آدَمَ حتى يُسألَ
عَنْ ثَلَاثَ : شَبَابِهِ : فِيمَ أَبْلَاهُ ؟ وَعَمَلِهِ : فِيمَ أَفْنَاهُ ؟
وَمَالِهِ : مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟

ورأى رجلاً يَكِيدُ (١) بنفسه فقال : لِمَ امْرَأً هَذَا
آخِرُهُ لِحَدِيرٍ أَنْ يَزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ ، وَلِمَ امْرَأً هَذَا أَوَّلُهُ لِحَدِيرٍ
أَنْ يَخَافَ آخِرَهُ .

وقال : بَعْ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ تَرْبِحُهُمَا جَمِيعاً ، وَلَا تَبِعْ
آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ فَتُخْسِرُهُمَا جَمِيعاً .

وقال : مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَةِ .

وقال : مَنْ خَافَ اللَّهَ أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ،
وَمَنْ خَافَ النَّاسَ أَخَافَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وقال : مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا قِيلَ لَهُ :
نَحْلُهُ وَمِثْلُهُ مِنَ الْحَرَصِ .

قال الحسنُ : إِنْ قَوْمًا جَعَلُوا تَوَاضُعَهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ ،
وَكِبَرَهُمْ فِي صَلَواتِهِمْ حَتَّى لَصَّاحِبُ الْمَدْرَعَةِ فِي مَدْرَعَتِهِ
أَشَدُّ فَرَحًا مِنْ صَاحِبِ الْمُطَرَفِ (٢) بِمُطَرَفِهِ .

(١) هو يكيد بنفسه كيداً : يجود بها .

(٢) المطرف ، بضم الميم وكسرها : واحد المطارف ، وهي أردية

من شعر مربعة لها أعلام ،

قيل لخالد بن صفوان : مَنْ أبلغ الناس ؟ قال :
الحسن البصري لقوله : فضح الموت الدنيا . أو عقل أهل
الدنيا خربت الدنيا .

وقال : أهينوا الدنيا فوالله لأهنا ما تكون حين
تهينونها .

وقال له رجل : ما تقول في الدنيا ؟ قال : محللها
حساب ، وحرامها عذاب . فقال له : ما رأيت أوجز
من كلامك . فقال الحسن : بل كلام عمر بن عبد العزيز
أوجز من كلامي . كتب إليه بعض عمّال حمص (١) :
أما بعد : فإن مدينة حمص قد تهافت ، واحتاجت إلى
إصلاح . فكتب إليه عمر : حصنها بالعدل ، ونق
طرقها من الجور . والسلام .

قال الحسن لفرقد (٢) : يا أبا يعقوب . بلغني أنك
لا تأكل الفالوذج . قال : يا أبا سعيد . أخاف ألا

(١) حمص : مدينة وسط سوريا .

(٢) فرقد : هو فرقد البخري النصراني ، وكنيته أبو يعقوب .

أُودِي شُكْرَهُ . قال : يا لُكْعُ ! ! وهل تُؤدِّي شكرَ
الماءِ الباردِ .

وسَمِعَ رجلاً يشكو علةً به إلى آخر . فقال : أمّا
إِنَّكَ تشكو من برحمتك إلى من لا يرحمك .
وقيل له : من شرّ الناس ؟ قال : الذي يرى أنّه
خيرُهم .

وقال : قد ذمَّ الله الثقل في القرآن بقوله « (فإذا
طعِمْتُمْ فانتشروا) » (١)
وقال : الدنيا كُلُّها غمٌ ، فما كانَ فيها من سرور
فهو ربيعٌ .

وقال : إن الله — جل ثناؤه — لم يَأمرْ نبيّه عليه السلامُ
بمشاورة أصحابه لحاجة منه إلى آرائهم ، ولكنه أحبَّ
أن يُعلِّمه ما في المشورة من البركة .

ويُروى عنه أنه قال منذُ دهر ندعو الله فنقول :
اللهم استعمل علينا أختيارنا فأعظم بها مصيبة ألا يستجاب

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ وأولها « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا
بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ » .

لنا ، وأعظمُ من ذلك أن يكون استُجيبَ لنا فيكون
هؤلاءِ خيارنا .

وذكر الدنيا فقال : المؤمنُ لا يجرعُ من ذُلِّها ولا
يُنافس في عزها .

وقال : أربعٌ قواصمٌ للظهر : إِمَامٌ تُطيعُهُ ويُضِلُّكَ ،
وزَوْجَةٌ تَأْمَنُهَا وتحزنُكَ ، وجارٌ إِنْ عَلمَ خيراً سترَهُ ، وإن
عَلمَ شراً نشرَهُ وفقرٌ حَاضرٌ لا يجدُ صاحبُهُ عنه شاردًا (١) .

ووصفَ الأسواقَ ، فقال : الأسواقُ موائدُ الله
مَنْ أتاها أصاب منها .

وقال : من عملٍ بالعافية فيمَنِّ دونه رُزقٌ بالعافية
مِمَّنْ قوتهُ .

وقيلَ لَهُ : وكيفَ رأيتَ الوُلاةَ يا أبا سَعِيدَ ؟ قال
رَأَيْتُهُمْ يَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ (٢) آيَةً يَعْبَثُونَ . وَيَتَخَذُونَ
مِصْنَعَ لَعْلَهُمْ يَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشُوا بَطَشُوا جَبَارِينَ (٣) .

(١) الشارد : النافر . والمراد لزوم الفقر لصاحبه .

(٢) الريح - يكثر الراء : المرتفع من الأرض .

(٣) انظر الآيات ١٢٨ - ١٣٠ من سورة الشعراء .

وكان يقول : ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر .

وقال : من وسع الله عليه في ذات يده فلم يخف أن يكون ذلك مكرأ من الله به فقد أمن مخوفاً ، ومن ضيق الله عليه في ذات يده فلم يرج أن يكون ذلك نظراً من الله له فقد ضيع مأمولاً .

وقال : إن من عظيم نعيم الله على خلقه أن يخاف لهم النار يحوشهم (١) بها إلى الجنة .

وقال لرجل : كيف طلبت لك الدنيا ؟ قال شديد . قال : فهل أدركت منها ما تريد ؟ قال : لا . قال : فهذه التي طلبتها لم تترك منها ما تريد فكيف بالتي لا تطأها ؟ وقال : ابن آدم أسير الجوع ، صرع الشبع . وذكر يوماً الحجاج فقال : أنا أعيش - أخيفش (٢)

(١) يقال : حاش الصيد يحوشه : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحيلة .

(٢) أخيفش : تصغير الأخفش ، وقد يكون الخفش علة ، وهو الذي يبصر الشيء بالليل ، ولا يبصره بالنهار .
والأعيش : تصغير الأعشى ، والعشى ألا تزال العين تسيل الدمع ، ولا يكاد الأعشى يبصر بها .

له جُمَيْعَةٌ^١ (١) يُرَجِّلُهَا فَأُخْرِجَ إِلَيْنَا لِمَامًا^(٢) قِصَارًا ،
والله ما عرق فيها عِنانٌ في سبيل الله . فقال : بايعوني .
فبايعناه^٣ ثم رقى هذه الأعوادَ ينظر إلينا بالتصغير ،
وننظرُ إليه بالتعظيم ، يَأْمُرُنَا بالمعروف ويحْتَنِبُهُ^٤ ، وينهاينا
عن المنكر ويرتْكِبُهُ .

وسُئِلَ عن قوله تعالى : « (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ^٥
بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا) » (٣) ما الثمنُ القليلُ ؟
قال : الدنيا بخلافها .

وقال : الدنيا تَطْلُبُ الهاربَ منها ، وتهْرُبُ من الطالبِ
لها ، فإن أدركتِ الهاربَ منها جرحته^٦ ، وإن أدركها
الطالبُ لها قتلتُه^٧ .

وقال : رَبٌّ هَالِكٌ بالثناء عليه ، ومغرورٌ بالسترِ
عليه ، ومستترَجٌ بالإحسانِ إليه .

(١) والجميعة : تصغير الجمعة ، وهو مجتمع شعر الرأس .

(٢) اللام : جمع لمة وهي شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
واللمة (بضم اللام) : الصاحب أو الأصحاب في السفر .

(٣) سورة آل عمران : ٧٧ .

وقال : إِنْ لَمْ تُطْعَمْكَ نَفْسُكَ فِيمَا تَحْمِلُهَا عَلَيْهِ
مِمَّا تَكْرَهُ فَلَا تُطْعَمْهَا فِيمَا تَحْمِلُكَ عَلَيْهِ مِمَّا تَهْوَى .

وقال تَشَبَّهَ زِيَادٌ بِعَمْرِ فَأَفْرَطَ ، وَتَشَبَّهَ الْحِجَاجُ
بِزِيَادٍ فَأَفْرَطَ ، وَأَهْلَاكَ النَّاسَ .

وقال : الْمُؤْمِنُ لَا يَسْخِيفُ (١) عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ،
وَلَا يَأْتِمُ فِيمَنْ يُحِبُّ .

وقال لَهُ بَعْضُ الْجُنْدِ فِي زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةَ : تُرَى أَنْ
أَتَّخِذَ أَرْزَاقِي أَوْ أَتْرَكُهَا حَتَّى آخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ؟ . قَالَ : مُرُّ فَخِذِ أَرْزَاقِكَ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَهَالِسُ .

وَكُتِبَ إِلَى أَخِي لَهُ : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الصِّدْقَ أَمَانَةٌ ،
وَالْكَذِبَ خِيَانَةٌ وَالْإِنْصَافَ رَاحَةٌ ، وَالْإِلْحَاحَ وَقَاحَةٌ ،
وَالْتَوَانِي إِضَاعَةٌ ، وَالصُّحَّةُ بَضَاعَةٌ ، وَالْحَزْمُ كِيَاسَةٌ ،
وَالْأَدَبُ سِيَاسَةٌ .

وقال : يَا بَنَ آدَمَ . اصْحَبِ النَّاسَ بِأَيِّ خُلُقٍ شِئْتَ
بِصَحْبَتِكَ بِمِثْلِهِ .

(١) الحيف : الظلم وال جور .

وقال : الرُّجَالُ ثَلَاثَةٌ ، رَجُلٌ بِنَفْسِهِ ، وَآخَرُ بِلِسَانِهِ
وآخر بِمَالِهِ .

وقال له رجلٌ : لي بُنْيَةٌ وَأَنهَا تُخَطَّبُ . فَمِمَّنْ
أَزْوَجُهَا ؟ قال : « وَجْهًا مِّنْ يَتَّقِي اللَّهَ فَإِنْ أَحْبَبَهَا أَكْرَمَهَا ،
وإِنْ أَبْغَضَهَا لَمْ يَظْلَمْهَا . »

وقال : كُنَّا فِي أَقْوَامٍ يَخْزِنُونَ أَلْسِنَتَهُمْ ، وَيُنْفِقُونَ
أُورَاقَهُمْ ، فَقَدْ بَقِينَا فِي أَقْوَامٍ يَخْزِنُونَ أُورَاقَهُمْ (١) ،
وَيَنْفِقُونَ أَلْسِنَتَهُمْ .

وكتب إلى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . أَمَّا بَعْدُ : فَكَأَنَّكَ
بِالدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ ، وَكَأَنَّكَ بِالْآخِرَةِ لَمْ تَنْزَلْ .

وقيل له في أميرِ قَدَمِ البَصْرَةِ ، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ " قَدْ
قَضَاهُ " . فقال : مَا كَانَ قَطُّ أَكْثَرَ دَيْنًا مِنْهُ الْآنَ .

وقال : يَنَادِي مَنَادٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَنْ لَهُ عَمَلٌ عَلَى اللَّهِ
أَجْرٌ فَلْيَقُمْ ، فَيَقُومُ الْعَاقِلُونَ عَنِ النَّاسِ . وَتَلَا قَوْلَهُ
تَعَالَى : « فَمَنْ عَفَا ، وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ (٢) » .

(١) الأوراق : جمع ورق ، وهو المال .

(٢) سورة الشورى : ٤٠ . وأولها « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » .

اجتاز نخّاس^(١) مع جارية به . فقال أتبيعها ؟
قال : نعم . قال : أفترضى أن تقبض ثمنها الدرهم
والدرهمين حتى تستوفي ؟ قال : لا : قال : فإن الله
عزّ وجلّ قد رضي في الحور العين بالفس والفلسين .
وقيل له : ما بال الناس يكرمون صاحب المال ؟
قال : لأن عشيقهم عنده .

وكان بلال بن أبي بردة أكلوا . فقال الحسن فيه :
يتكئ على شماليه ويأكل غير مثاله ، حتّى إذا كظّمه
الطعام يقول : ابغوني هاضوماً . ويلك ! ! وهل
تهضم إلا دينك ! !

وكان الحسن إذا دخل ختّنه^(٢) تنحى عن مكانه ،
ويقول : مرحبا بمن كفى الموثنة ، وستر العورة .
ومن كلامه : مسكين ابن آدم ، مكتوم الأجل
والعيال ، أسير الجوع والشبع .

(١) النخّاس : تاجر الرقيق .

(٢) الختن : كل ما كان من قبل المرأة كابيها وأخيها ، وكذلك زوج

البت وزوج الأخت . والمراد هنا : زوج البنت أو الأخت .

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناسُ عليها ، فقال :
مالكمُ تزدحمون ؟ ؟ ها هي تلك ساريته (١) في المسجد .
اقعدوا تحته ، واصنعوا ما كان يصنع حتى تكونوا مثله .
وقال لشيخ في جنازة : أترى أن هذا الميت لو رجع
إلى الدنيا يعملُ عملاً صالحاً ؟ قال : نعم . قال له :
إن لم يكن ذلك فكن أنت ذلك .

ونظر إلى قصور المهالبة ، فقال : يا عجباً رفعوا
الطين ، ووضعوا الدين ، وركبوا البراذين ،
واتخذوا البساتين ، وتشبهوا بالدهاقين (٢) « فذرهم
في غمرتهم حتى حين (٣) » .

وكان يقول في دعائه : اللهم إنا نعوذُ بك أن نملَّ
معافاتك . فقليل له في ذلك .

فقال : أن يكون الرجلُ في خفص عيش فتدعوهُ نفسهُ
إلى سفر .

(١) السارية : الاسطوانة أو العمود الذي يقام عليه المسجد .

(٢) الدهاقين : المفرد : دهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم .

(٣) سررة المؤمنون : ٥٤ .

ودخل إلى مريض قد أبلّ من عنته ، فقال له :
إنّ الله ذكرك فاذكّره . وأقالك (١) فاشكّره .

ويقالُ : إنّ أوّل كلامه أنّهُ صلّى يوماً بأصحابه ،
ثم انقل ، وأقبل عليهم ، فقال : أيها الناسُ ، إنيّ
أعظُكُمْ ، وأنا كثيرُ الإسراف على نفسي ، غيرُ مصلح
لها ، ولا حاملُها على المكروه من طاعة ربّها . قد بلوتُ
نفسي في السّراء والضّراء ، فلم أجِدْ لها كثيرَ شكر
عند الرّجاء ، ولا كبيرَ صبر عند البلاء ، ولو أنّ الرجل
لم يعظُ أخاه حتّى يحكم أمر نفسه ، ويكمل في الذي
خلّق له من طاعة ربّه لقلّ الواعظونُ السّاعون إلى الله
بالحثّ على طاعته ، ولكن في اجتماع الإخوان واستماع
حديث بعضهم من بعض حياة للقلوب ، وتذكير من
النّسيان . أيها الناسُ إنّما الدّنيا دارٌ مَن لا دار له ، وبها
يفرحُ من لا عقل له ، فأنزلوها منزلتها . ثم أمسك .

(١) أقالك فاشكّره : يقال : أقلته البيع إقالة : قبلت فسخه للبيع .

والعق : أنقذك تقدم شكرك له .

ولمّا مات أخوهُ بكى ، فقل له : أتبكي يا أبا سعيد ؟
فقال : الحمد لله الذي لم يجعل الحزن عاراً على يعقوب (١)
وقال : إذا خرجت من منزلك فلقيت من هو أسنُّ
منك فقل : هذا خيرٌ منّي عبّد الله قبلي ، وإذا لقيت
من هو دونك في السنّ فقل : هذا خيرٌ منّي عصيتُ
الله قبله . وإذا لقيت من هو مثلك فقل : هذا خيرٌ
منّي أعرف من نفسي مالا أعرف منه .

وكان يقولُ : يا عجباً لقوم قد أمروا بالزاد ، وأوذّوا
بالرحيل ، وأقام أولهم على آخرهم . فليت شعري
مالذي ينتظرون ؟

ونظر إلى الناس في مصلى البصرة يضحكون ،
ويلعبون في يوم عيد ، فقال : إنّ الله — عزّ وجل —
جعل الصّوم مضماراً لعباده ليستبقّوا إلى طاعته ، ولعمري
لو كشف الغطاء لشغل محسنٌ بإحسانه ، ومسيءٌ
بإساءته عن تجديد ثوب ، أو ترطيل شعر (٢) :

(١) يشير إلى بكاء يعقوب عليه السلام حزناً على يوسف وأخيه
حتى ابيضت عيناه .

(٢) رطل شعره : لينه بالدهن وكسره وثناه .

وكان يقول : اجعل الدنيا كالمقنطرة تجوزُ عليها
ولا تعمُرُها .

وقال : تلقى أحدهم أبيض بضاً يملُخُ في (١) الباطل
ملَخاً ، ينفُضُ مذرويته (٢) ، ويضربُ أضدريه ، يقولُ
هأنذا فاعرفوني . قد عرفناك ، فمقتك الله ومقتك
الصالحون .

وقال : نيعمُ الله أكثرُ من أن تُشكر إلا ما أعان عليه .
وذئوبُ ابن آدم أكثرُ من أن يسلم منها إلا ما عفا عنه .
وكان يقولُ : ليس العجبُ ممَّن عطب كيف عطب ؟
إنما العجبُ ممَّن نجا كيف نجا ؟

وكان يقولُ : حادثوا هذه القلوب فإنَّها سريعةُ
الدُّثور ، واقدعوا هذه الأنفس فإنَّها طُلعةُ (٣) ،
فإنَّكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شرٍّ غاية .

(١) يملخ في الباطل : الملمخ - كالمئخ : السير الشديد ، والتردد في
الباطل وإكثاره .

(٢) المذروان : فرعا الأليتين ، والمنكبين ، وطرفا كل شيء .
والمراد بهما هنا فرعا المنكبين . ويقال ذلك للرجل إذا جاء باغيا يتهدد .
(٣) طلعة : كثيرة التطلع إلى الشيء .

وقال لمطرف (١) بن عبد الله بن الشَّخِير : يا مطرفُ ،
عظُ أصحابك . فقال مطرفُ : إني أخافُ أن أقولَ مَآلًا
أفعلُ . فقال الحسنُ : يرحمك اللهُ وأيُّنا يفعلُ ما يقولُ ؟
يودُّ الشَّيْطَانُ أَنه ظفرٌ بهذهِ منكم ، فلمْ يأمرُ أحدٌ
بمعروفٍ ، ولم ينه عن منكرٍ .

وكان يقولُ : ما حَاجَةٌ هؤلاء ، السلطان إلى الشرِّطِ .
فلمَّا ولي القضاء ، كثرُ عليه الناس فقال : لا بُدَّ
لِلنَّاسِ مِنْ وَزْعَةٍ (٢) .

وكان يقولُ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِنْ
عَرَضَ لَهُ الْقَوْلُ نَظَرَ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ أَنْ يَقُولَ قَالَ ، وَإِنْ كَانَ
عَلَيْهِ الْقَوْلُ أَمْسَكَ ، وَلِسَانُ الْأَحْمَقِ أَمَامَ قَلْبِهِ فَإِذَا عَرَضَ
لَهُ الْقَوْلُ قَالَ عَلَيْهِ أَوْ لَهُ .

وقال : أو لم يُصِيبِ ابْنُ آدَمَ إِلَّا الصَّحَّةُ وَالسَّلَامَةُ
لَأَوْشَكَ أَنْ يَرُدَّاهُ إِلَى أَرْضِ الْعَمْرِ فَمُحَدَّثٌ بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ

(١) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف .. كان فقيهاً ،
وكان لوالده عبد الله صحبة ، وكان مطرف من أعبد الناس وأنسكهم .
وقد توفي سنة ٨٧ هـ .

(٢) وزعة : جمع وأرع ، وهو الحابس السكر الموكل بالصفوف .

جعفر فأعجبه ، وقال : سبحان الله ما أعجب كلام
العرب وأشبه بعضه ببعض ؟؟ والله لكأن النمر بن
توليب (١) سمع هذا . فقال :

يسرُ الفتي طولُ السَّلامةِ جاهداً
فكيف ترى طولُ السَّلامةِ يفعلُ ؟
وقال حميد بن ثور (٢) .

• وحسبك داء أن تصبح وتسلم •

وكان يدعو ويقول : اللهم أعطنا قوةً في عبادتك ،
وبصراً في كتابك ، وفهماً في حكمك ، وآتانا كيف لميس (٣)
من رحمته . بيض وجوهنا بشورك ، واجعل
راحتنا في إيقائك ، واجعل رغبتنا فيما عندك من
الخير . اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل ، والمهرم ،
والجبن ، والبخل . اللهم إنا نعوذ بك من قلوب

(١) هو النمر بن تولب بن أئيش ، شاعر ، مقل ، مخضرم أدرك
الجاهلية ، وأسلم فحسن إسلامه ،

(٢) صدر البيت :

(*) أرى بصري قد رايتني بعد صحة • وحيد بن ثور شاعر مخضرم

(٣) الكفل : النصيب .

لَا تَحْشَع ، وَأَذْفُسْ لَا تَشْبَع ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْفُسَنَا
وَأَهْلِيْنَا وَخِرَارِيْنَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وَقَالَ : إِنَّمَا تَعْظُ مُسْتَرْشِدًا لِيْفْهَمَ ، أَوْ جَاهِلًا
لِيَتَعَلَّمَ ، فَأَمَّا مَنْ وَضَعَ سَيْفَهُ وَسَوْطَهُ وَقَالَ : احْذَرْنِي
فَمَا لَكَ وَاهُ ؟

وَقَالَ : إِنَّ قَوْمًا لَبِسُوا هَذِهِ الْمِطَافِرَ الْعِتَاقَ ،
وَالْعِمَائِمَ الرَّقَافَ ، وَأَوْسَعُوا دُورَهُمْ ، وَضَيَّقُوا
قُبُورَهُمْ ، وَأَمْسَسُوا دَوَابَّتَهُمْ ، وَأَهْزَلُوا دِينَهُمْ ، طَعَامُ
أَحَدِهِمْ غَضْبٌ ، وَخَادِمُهُ سُخْرَةٌ ، يَتَكَيءُ عَلَى شِمَالِهِ ،
وَيَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ مَالِهِ ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَتْهُ الْكَظَّةُ ،
قَالَ : هَلْمِي يَا جَارِيَةَ هَاضُومًا ، وَيْلَكَ !! وَهَلْ تَحْطُمُ
إِلَّا دِينَكَ ؟ .. أَيْنَ مَسَاكِينِكَ ؟ أَيْنَ يَتَامَاكَ ؟ أَيْنَ مَا أَمْرَكَ
اللَّهُ بِهِ . أَيْنَ ؟ أَيْنَ ؟ ؟

وَرَأَى رَجُلًا يَمْشِي مَبْشِيَّةً مَذْكُورَةً . فَقَالَ : يَخْلُجُ (١)
فِي مَشْيِهِ خَلَجَانِ الْمَجْنُونِ . لِلَّهِ فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ
لَقْمَةٌ ، وَالشَّيْطَانُ لَعِبَةٌ .

(١) يَخْلُجُ فِي مَشْيِهِ : يَضْطَرِبُ .

كان أبو الحسن اسمه يسار ، واسم أمه خيرة ،
 مولاة لأم سلمة أم المؤمنين ، وكانت خيرة ربما
 غابت فيبكي الحسن فتعطيه أم سلمة ثديها تعلمه به ،
 إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها . فيرون أن تلك
 الحكمة ، والفصاحة ، من بركة ذلك . ونشأ الحسن
 بوادي القرى (١) .

وشكا إليه رجل ضيق المعاش ، فقال : ويحك !!
 أهاهنا ضيق أو سعة ؟ إننا الضيق والسعة أمامك .

وقال : أولا قصرت همم الناس ما قامت الدنيا .

وقال : يا بن آدم : إننا ألت عدد أيمانك إذا
 مضى يوم مضى بعضك .

وتذاكروا عذبه أمر الصحابة . قال الحسن :
 رحمهم الله ، شهدوا وغبنوا وعلموا وجهلنا ،
 وحفظوا ونسينا . فما أجمعوا عليه اتبعناه ، وما
 اختلفوا فيه وقفناه .

وقال : حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم .

(٢) وادي القرى : مكان قريب من المدينة ، ولد به الحسن البصري .

وقال : عاشراً أهملتُ بأحسن أخلاقك ؛ فإن
الثَّوَاءَ فيهم قليلٌ (١) .

وقال : السُّؤالُ نصفُ العِلْمِ ، ومُداراةُ النَّاسِ
نصفُ العَقْلِ ، والقصدُ في المعيشة نصفُ المعيشة . ومَا
عَالٌ مُقْتَصِدٌ .

وقال : تخفِ اللهَ خوفاً ترى أنَّكَ لو أتَيْتَهُ بِحَسَنَاتٍ
أَهْلُ الْأَرْضِ لَمْ يَقْبَلُهَا مِنْكَ وَارْجُ اللهَ رجاءَ ترى أنَّكَ
إِنْ أتَيْتَهُ بِسَيِّئَاتٍ أَهْلُ الْأَرْضِ غَفَرَهَا لَكَ .

وقال : مَا اسْتَوْدَعَ اللهُ رَجُلًا عَقْلًا إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ
بِهِ يَوْمًا مَا .

وقال : الْمُؤْمِنُ لَا يَتَحَيَّفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا
يَأْتُمُّ فَيَسَنُّ وَيُحِبُّ .

وَدَخَلَ إِلَيْهِ أَمْرَدٌ حَسَنُ الْوَجْهِ : فَالْتَفَتَ إِلَى
أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَقَدْ ذَكَّرَنِي هَذَا الْفَقِيرُ الْحُورُ الْعَيْنُ .

وَوُلِدَ لَهُ غُلَامٌ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ :

(١) الثَّوَاءُ فيهم قليل : الإقامة بينهم قصيرة .

بارك الله لك في هيبته ، وزادك في نعمتيه . فقال الحسن :
الحمد لله على كل حسنة ، ونسأله الزيادة من كل
نعمة ، ولا مرجحاً بحدّ إن كنت مُقِلّاً أنصبتني ،
وإن كنت غنيّاً أذهلني لا أرضى بسعْيي له سعياً ،
ولا بكدي عليه في الحياة كدّاً ، حتى أشفيق عائلته بعد
وفاتي من الفاقة ، وأنا في حال لا يصل إليّ من همّه
حزنٌ ، ولا من فرحه سرورٌ .

وقال : عزّ الشريف أدبه ، وعزّ المؤمن استغناؤه
عن الناس .

وقال : العام في الصغر كالنقش على الحجر ،
وفي الكبر كالرقم على الماء .

وقال : ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وعليه
فيها تبعه إلا سليمان فإن الله قال : « هذا عطاؤنا
فامنن أو أمسينك بغير حساب » (١) .

(١) سورة ص ٢٩ .

وقال : لا أبالك ، إن لم تكن حليماً فتحلّم فإنه
قلّ رجل يتشبهه بقوم إلا أوْشك أن يكون منهم .
وقال : لا تشترين عداوة رجل بمودة الشفِ رجل .
وقيل أهلك فلان فجأة . فقال : لو لم يهلك
فجأة لمرض فجأة .

وقال : من زهّد في الدنيا ملكها ، ومن رغب
فيها عبدها .

قال له رجل : يا أبا سعيد ، ما تقول في الغناء ؟
قال : نعيم الشيء الغنى تصل به الرّحيم ، وتفك به
العاني ، وتنفّس به عن المكروب .

قال : لست عن هذا أسألك ، إنما أسألك
عن الغناء . قال : وما هو أنعرف منه شيئاً ؟ قال :
نعم : قال : فهاتيه : فاندفع يغني ، ويلوي
شِدْقَيْهِ ، ومنخرينه ، ويكسر عَيْنَيْهِ : قال :
فبهِتَ الحسن ، وجعل يعزّبُ عنه بعضُ عقله
حتى فعل كما فعل الرجل بتحريك عَيْنَيْهِ ،

وَكَسَّرَ حَاجِبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لَمَّا تَنَبَّهَ مِنْ مِثْنَتِهِ : أُمْسِكْ
بَاهَذَا ، قَبَّحَ اللَّهُ مُخَدَّآ ، مَا كُنْتُ إِلَّا فِي حُلْمٍ .

قَالُوا : وَلِيِّيَ الْحَسَنُ الْقَضَاءُ فَمَا حُمِدَ . يَرِيدُ
أَنَّهُ لَوْ حُمِدَ لِنَاسٍ فِي وَلَايَةِ أَوْ قَضَاءِ لِحَمِيدٍ الْحَسَنُ ؟

وَقَالَ : يَا بَنَى آدَمَ تَعَفَّفْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَكُنْ
عَابِدًا ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ تَكُنْ
غَنِيًّا . وَصَاحِبِ النَّاسِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُصَاحِبُوكَ بِهِ
تَكُنْ عَدْلًا ، وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ
الْقَلْبَ . لَقَدْ كَانَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ جَمَعُوا كَثِيرًا ،
وَأَمَلُوا بَعِيدًا ، وَبَنَوْا شَدِيدًا ، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُورًا ،
وَمَسَا كُنْهَمُ قُبُورًا ، وَأَمَلْتُهُمْ غُرُورًا .

وَقَالَ : يَا بَنَى آدَمَ لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ (١) جِهَادَ
الغَالِبِ ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ اتَّكِلْ الْمُتَسَلِّمَ ،

(١) الطلب : الجري والسعي وراء الرزق ، والمراد : لا تحاول
الإلحاح في الحصول على طايتك .

فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ مِنَ الشَّرِّ (١) ، والإجمالَ
في الطَّلَبِ مِنَ العِفَّةِ ، وليستِ العِفَّةُ بدافعةٍ رزقاً ،
ولا الحرصُ يجلبُ فضلاً ، وإنَّ مِنَ الحرصِ اكتسابَ
الإثمِ .

• • •

(١) الشر : شره الشاب : حرمه ونشاطه .

الباب العاشر

نُكِتٌ مِّنْ كَلَامِ الشَّيْعَةِ

خَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَأَمَّا بَلَّغَ إِلَى الْعِظَةِ قَامَ إِلَيْهِ
رَجُلٌ مِّنْ آلِ صُوحَانَ (١) . فَقَالَ : مَهْلًا مَهْلًا .
تَأْمُرُونَ فَلَا تَأْتَمُرُونَ ، وَتَنْهَوْنَ وَلَا تَنْتَهُونَ ،
وَتَعْظُونَ وَلَا تَتَعَفَّوْنَ . أَفَنَقْتَنَدِي بِسِيرَتِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ
أَمْ نَطِيعُ أَمْرِكُمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ : اقْتَدُوا
بِسِيرَتِنَا فَأَنْتَ ؟ وَكَيْفَ ؟ وَمَا الْحِجَّةُ ؟ وَمَا النَّصِيرُ
مِنَ اللَّهِ بِاقْتِدَاءِ سِيرَةِ الظَّالِمَةِ الْفَاسِقَةِ ، الْخَوَرَةِ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا (٢) ، وَعِيدَهُ خَوَلًا (٣)

(١) آل صوحان : يشبون إلى صعدة بن صوحان بن حجر بن
الحارث العبدي من سادات عبد القيس من أهل الكوفة كان خطيباً بليغاً
عاقلاً له شعر .

(٢) اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا : جمع دولة بالضم ، أي جعلوه متداولاً
بينهم ، مرة لهذا ومرة لهذا .

(٣) خولا : الخول : ما أعطاك الله من النعم — محرّكة — والعبيد
والإماء وغير ذلك من الحاشية ، وهو يطلق على الواحد والجمع والذكر
والأنثى .

وَلِإِنْ قُلْتُمْ : اقْبَلُوا نَصِيحَتَنَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَنَا ،
فَكَيْفَ يَنْصَحُ لغيره مَنْ يَغُشُّ نَفْسَهُ . أَمْ كَيْفَ
تَجِبُ الطَّاعَةُ لِمَنْ لَمْ تُثَبِّتْ عِنْدَ اللَّهِ عِدَالَتَهُ ؟ وَلِإِنْ
قُلْتُمْ خُذُوا الْحِكْمَةَ مِنْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهَا ، وَاقْبَلُوا
الْعِظَةَ مِمَّنْ سَمِعْتُمُوهَا فَعَلَامَ وَلَيْشَاكُمْ أَمْرَنَا ،
وَحَكَمْنَاكُمْ فِي دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ
فِينَا مَنْ هُوَ أَنْطَقُ مِنْكُمْ بِاللُّغَاتِ ، وَأَفْصَحُ بِالْعِظَاتِ ؟
فَتَحَدِّثُوا (١) عَنْهَا أَوَّلًا ، فَأُطْلِقُوا عِقَالَهَا ، وَخَلُّوا
سَبِيلَهَا يَبْتَدِرُ لِرِثْيَهَا آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمُ الدِّينَ شَرَّدْتُمُوهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَفَرَّقْتُمُوهُمْ
فِي كُلِّ وَادٍ ؛ بَلْ تُثَبِّتْ فِي أَيْدِيكُمْ لَانْقِضَاءِ الْمُدَّةِ
وَبُلُوغِ الْمُهْلَةِ ، وَعِظَمِ الْمُحَنَةِ . إِنْ لِكُلِّ قَائِمٍ قَدْرًا
لَا يَعْدُوهُ وَيَوْمًا لَا يَخْطُوهُ ، وَكِتَابًا بَعْدَهُ يَتْلُوهُ
« (لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ، وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) » (٢) .

(١) أي تحولوا .

(٢) سورة الكهف : ٤٩ .

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (١) .
قال ثُمَّ أَجْلَسَ الرَّجُلُ فَطُلِبَ فَلَمْ يَوْجَدْ .

قال يونس (٢) : قلت للخليل (٣) : ما بال
أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كأنهم بنو
أم وإخوة ، وعليّ كأنه ابن عكّة (٤) فقال لي : من
أين لك هذا السؤال ؟ فقلت : أريد أن تحييني . قال
عليّ أن تكتم عليّ ما دمت حياً . قلت : أجل .
قال : تقدّمهم لإسلاماً ، وبذّهم شرفاً ، وفاقهم عِلماً ،
ورجّحهم حلماً ، وكان أكثرهم زهداً ، فخسروه
والناسُ إلى أشكاليهم أميل .

سُئِلَ أحمدُ بنُ حنبلٍ (٥) عن قول الناس :

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ وأولها : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
(٢) هو يونس بن حبيب من أعلام النحاة في العصر العباسي .
(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض ، وصاحب
كتاب العين وكتاب الخليل .

(٤) العلة : الضهرة
(٥) هو الإمام أبو عبيد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي
الأصل . ولد ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ . وكان إمام المحدثين .

عليّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ . فَقَالَ : هَذَا صَحِيحٌ لِأَنَّ
النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِعَلِيٍّ : « لَا يَحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ
وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ » وَالْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ وَالْمُنَافِقُ
فِي النَّارِ .

• • •

الباب الحادي عشر

كلامُ الخوارج (١)

مِنْ كَلَامِ أَبِي حَمْزَةَ (٢) : تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ سَرِيرَةٍ ، وَأَفْضَلُ ذَخِيرَةٍ ، مِنْهَا ثِقَةُ الْوَأَاقِقِ ، وَعَلَيْهَا مِقَّةُ الْوَأَمِيِّ . لِيَعْمَلَ امْرُؤٌ فِي فِكَكَ نَفْسِهِ وَهُوَ رَخِيٌّ (٣) اللَّبَبِ ، طَوِيلُ السَّبَبِ ، وَلِيَعْرِفَ مَمْدَّ يَدِهِ ، وَمَوْضِعَ قَدَمِهِ ، وَلِيَحْذَرَ الزَّلَلَ وَالْعَلَلَ الَّتِي تَقْطَعُ عَنِ الْعَمَلِ . رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا آثَرَ التَّقْوَى ، وَاسْتَشَعَرَ شِعَارَهَا وَاجْتَنَى ثِمَارَهَا . بَاعَ دَارَ النَّفْدِ بِدَارِ الْآبَدِ . الدُّنْيَا كَرُوضَةٍ اعْتَمَّ مَرْعَاهَا ،

(١) الخوارج : هم أتباع أقدم الفرق الإسلامية . وترجع أهميتهم إل أقوالهم ، في نظرية الخلافة ، وفي الإسلام الصحيح ، وهل يكون بالإيمان والعمل ؟ وقد ترتب على معتقدتهم هذا قيامهم بثورات محلية عكزت صلوة السلام في الدولة الإسلامية .

(٢) أبو حمزة هو : يحيى بن المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السلمي البصري ، ثائر فatak ، من الخطباء القادة .

(٣) المراد : وهو في مقتبل عمره .

وَأَعْجَبَتْ مَنْ يَرَاهَا ، تَمَسُّجُ عُرُوقِهَا الشَّرَى ، وَتَنْطَفُ (١)
 فروعها النَّدَى ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْعُشْبُ لِنَاهُ (٢) ، وَانْتَهَى
 الزَّبْرَج (٣) مُنْتَهَاهُ ، ضَعْفَ الْعُمُودُ ، وَذَوَى الْعُودُ ،
 وَتَوَاتَى مِنْ الزَّمَانِ مَا لَا يَعُودُ ، فَحَمَّتِ الرِّيحُ الْوَرَقَ ،
 وَفَرَّقَتْ مَا اتَّسَقَ ، « فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ
 « وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا » (٤)

كَانَ شَبِيبُ (٥) يَقُولُ : اللَّيْلُ يَكْفِيكَ الْحَبَانَ
 وَنِصْفَ الشُّجَاعِ .

أَتَيْتِ الْحَجَّاجُ بِامْرَأَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ لِمَنْ
 حَضَرَ : مَا تَرَوْنَ فِيهَا ؟ قَالُوا : اقْتُلْنَهَا . فَقَالَتْ :

(١) تنطف فروعها : تنطفت : تفرطت ، ووصيفة منطفة أي
 مقرطة .

(٢) بلغ أناء : - ويكر - بلغ غايته أو نفججه وإدراكه .

(٣) انتهى الزبرج منتهاه : الزبرج - بكسر الزاي - الزينة من
 وشي أو جوهر .

(٤) سورة الكهف : ٤٥ .

(٥) شبيب الخارجي هو : شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني ،
 أبو الضحاك من أبطال العالم ، وأحد كبار الثائرين على بني أمية ومات غرقاً .

جُلُوسًا أَخِيكَ خَيْرٌ مِنْ جُلُوسَاتِكَ : قال : وَمَنْ
أَخِي ؟ قَالَتْ : فِرْعَوْنُ : لَمَّا شَاوَرَ جُلُوسًا فِي
مُوسَى « قَالُوا أَرْجِيهِ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ » (١) فَأَمَرَ بِقَتْلَيْهِمَا .

مرَّ رجلٌ من الخوارج بدارٍ ثَجْوٍ ، فقال : مَنْ هَذَا
الذي يقيم كفيلاً ؟

أخذ ابنُ زيادٍ ، ابنَ أديَّةَ (٢) : أَخَاهُ بِلَالٍ ،
فقطع يديه ، ورجليه ، وصلبه على بابِ دارِهِ فقال لأَهْلِهِ
وهو مصَّوبٌ : انظروا إلى هؤلاء الموكَّنين بي فأحسِنُوا
إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَأْتِهمُ أَضْيَافُكُمْ .

أَبِي عَتَّابُ (٣) بنُ وَرْقَاءَ بامرأةٍ من الخوارج فقال
لَهَا : يَا عَدُوَّةَ اللَّهِ ، مَا دَعَاكَ إِلَى الْخُرُوجِ ؟ أَمَا سَمِعْتَ
اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :

(١) سورة الشعراء : ٣٦ .

(٢) عروة بن أديّة هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان
فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٥٨ هـ .

(٣) هو عتاب بن ورقاء الرياحي .

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَيْنَسَا
وعلى الْمُحْصَنَاتِ جُرَّ الدُّيُولُ
فَقَاتَتْ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَخْرِجْنِي قَلَّةٌ مَعْرِفَتِكَ بِكِتَابِ اللَّهِ .

خُطْبَةُ قَطَرِي بْنِ الْفُجَاءَةِ (١)

أَمَّا بَعْدُ : فَلْيُحِذِرْكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ ،
حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِزَةِ ،
وَحَلَبَتْ بِالْأَمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ وَلَا تَدُومُ
حَبْرَتُهَا (٢) ، وَلَا تُؤْمَنُ فَجِيعَتُهَا ، غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ ،
وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، وَنَافِذَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكْمَالَةٌ غَوَّالَةٌ ،
لَا تُعَدُّوْا — إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أَمْنِيَةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا ، وَالرِّضَا
عَنْهَا — أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « كَمَا أَنْزَلْنَاهُ
مِنَ السَّمَاءِ ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٣) » .

(١) هُوَ أَبُو نَعَامَةَ قَطَرِي بْنُ الْفُجَاءَةِ ، وَاسْمُهُ جَمُونَةُ بْنُ مَازِنِ بْنِ
يَزِيدٍ ، وَالْفُجَاءَةُ أُمُّهُ وَكَانَ أَطْوَلَ الْخَوَارِجِ أَيَّامًا وَأَحَدَهُمْ شَوْكَةً وَكَانَ شَاعِرًا
جَوَادًا وَخَطِيبًا مَشْهُورًا وَقَدْ تَوَفَّى سَنَةَ ٨٧٨ .

(٢) الْحَبْرَةُ : النَّمَةُ .

(٣) سُورَةُ الْكَهْفِ : ٤٥ . وَأَوَّلُهَا « وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » .

مع أن أمرأ لم يكن منها في حبرة (١) إلا أعقبته
بعدها عبرة ، ولم يلتق من سرائها بطناً إلا منحت
من ضرائها ظهراً ، ولم تظله غيمة رحاء إلا هطلت
عليه مزنة بلاء ، وحريرة إذا أصبحت له منتصرة ،
أن تسمى له خاذلة متذكرة ، وإن جانب منها
اعذوذب واحلوا لي أمر عليه منها جانب وأوبى (٢) .

وإن آتت امرأ من غضارتها ورقاً أرهقته من
نوائبها تعباً ولم يمسس منها امرؤ في جناح أمن إلا
أصبح منها على قوادم خوف . غرارة ، غرور مافيا ،
فانية فان من عليها . لاخير في شيء من زادها
إلا التقوى . من أقل منها استكثر مما يؤمنه ، ومن
استكثر منها استكثر مما يؤيقه (٣) ويطيل حزنه ،
ويبكي عينه ، كتم وائق بها فجعت ، وذو طمانينة
إليها قد صرعت ، وذو احتيال فيها قد خدعت ، وكم

(١) الحبرة : البهجة والنضارة .

(٢) أوبى : أي صار فيه الوباء فهو مسهل من أوبى .

(٣) يوبق : يهلك .

ذِي أَبْهَةٍ فِيهَا قَدْ صِيَثْرَتْهُ حَقِيرًا ، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ
 ذَلِيلًا ، وَمِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّيْتَهُ لِلْيَدِينَ ، وَلِلْقَمَمِ .
 سُلْطَانُهَا دُولٌ ، وَعَيْشُهَا رَنَقٌ (١) وَعَذْبُهَا أَجْجَاجٌ ،
 وَحُلُوهَا صَبِيرٌ (٢) ، وَغَذَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا
 رِمَامٌ (٣) ، وَقَطَائِفُهَا سَلَعٌ (٤) ، حَيْثُهَا بَعَرَضَ مَوْتٌ ،
 صَحِيحُهَا بَعَرَضَ سَقَمٌ ، مَنِيْعُهَا بَعَرَضَ اهْتِضَامٌ .
 مَتْلِكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَسَلِيمُهَا
 مَسْكُوبٌ ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ (٥) ، مَعَ أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ
 سَكْرَاتُ الْمَوْتِ ، وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ ، وَالْوَقُوفَ بَيْنَ
 يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا
 وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٦) » .

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطُولَ

(١) عيشها رنق : كدر .

(٢) حلوها صبر : الصبر ككتف : عصارة شجر مر .

(٣) أسبابها رمام : واهية .

(٤) وقطائفها سلع : السلع - بتحريك اللام - شجر مر .

(٥) محروب : مسلوب .

(٦) سور النجم : ٢١ .

أَعْمَاراً ، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَاراً ، وَأَعَدَّ عَذِيباً ، وَأَكْثَفَ
جُنُوداً ، وَأَشَدَّ عُنُوداً .

تُعْبِدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعْبُدُ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ لِثَارِ ،
وَضَعْنُوا عَنْهَا بِالْكَرْهِ وَالصَّغَارِ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ
أَهْلَكْتَهُمْ بِخَطْبٍ ؟ بَلْ قَدْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَاحِشِ ،
وَضَعُضْتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ ، وَعَقَرْتَهُمْ بِالْفَجَائِعِ . وَقَدْ
رَأَيْتُمْ تَنْكَرُهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا ، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ،
حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا أَفْرَاقَ الْأَبَدِ إِلَى آخِرِ الْمُسْتَدِ (١) .

هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّعْيَ ، وَأَحْلَسَتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ،
أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟
أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُونَ ؟ أَمْ إِلَيْهَا
تَطْمَعُونَ ؟

يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ (٢) » . فَبُيِّنَتْ الدَّارُ لِمَنْ أَقَامَ فِيهَا .

(١) آخِرُ الْمُسْتَدِ : الْمُرَادُ الدَّهْرُ يُقَالُ لَا آتِيَةَ أَبَدَ الْمُسْتَدِ أَيَّ أَبَدًا .

(٢) سُورَةُ هُودَ : ١٥ .

فاعلمُوا — وأنتم تعلمون — أنكم تار كُوثها لا بُدَّ ،
فإنَّما هي كما وصفها اللهُ باللَّعِبُ ، واللَّهْوُ . وقد قال
الله تعالى : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ
مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ
جَبَّارِينَ » (١) .

ذكر الذين قالوا : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » (٢)
ثم قال : حُمِّلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رَكْبَانًا ،
وَأَنْزِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وجعل الله لهم من الضَّرِيحِ
أَجْنَانًا (٣) ، ومن التُّرَابِ أَكْفَانًا ، ومن الرُّفَاتِ جِيرَانًا ،
وهم جيرةٌ لا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، ولا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا .
إن خصبوا لم يَغْرَحُوا ، وإن قَحَطُوا لم يَقْنَطُوا .
جَمِيعٌ وهم آحاد ، جيرةٌ وهم أَبْعَادٌ ، مُسْتَنَاءُونَ
لا يزورُونَ ولا يُزَارُونَ .

(١) سورة الشعراء : ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) سورة فصلت : ١٥ « فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » .

(٣) الأجنان : جمع جنين ، وهو السر والمراد القبر .

حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهْلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ
أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُخْشَى فَجَعُهُمْ ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ،
وَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَتَلُكْ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ
مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (١) » .
وَاسْتَبَدَّوْا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ،
وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلُمَةً ، فَنَافَرَقُوهَا كَمَا
جَاءَهَا حُمْقًا ، عُرَاةً ، فُرَادَى . غَيْرَ أَنْ ظَنُّوا
بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَإِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ . يَقُولُ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ
وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (٢) » .

فاحذَرُوا . احذَرِكُمْ اللَّهُ ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ،
وَاعْتَصِمُوا بِحَبِيبِهِ . عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقَنَا
وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ .

قَالُوا : لِمَا أَخَذَ (أَبُو) بَيْهَسَ (٣) الْخَارِجِيُّ ،

(١) سورة القصص : ٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) هو أبو يهيس هيصم بن جابر الضبي الخارجي وأتباعه يسمون

البيهسية إحدى فرق الخوارج .

وقُطِعَتْ يَدَاهُ ، وَرَجُلَاهُ ، تُرِكَ يَتَمَرَّغُ فِي التُّرَابِ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : هَلْ أَحَدٌ يُفْرِغُ عَلَيَّ دَأْوِينَ ؟
فَإِنِّي احْتَلَمْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ . هَذَا إِنِّ كَانَ صَادِقًا فَهُوَ
عَجِيبٌ ، وَإِنِّ كَانَ قَالَهُ اسْتِهَانَةً بِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ
أَعَجَبٌ .

قال بعضهم : سمعتُ أبا بلال في جنازة وهو يقول :
أَلَا كُلُّ مَيِّتَةٍ ظَنُّونَ (١) إِلَّا مَيِّتَةَ الشَّعْجَاءِ . قَالُوا :
وَمَا مَيِّتَةُ الشَّعْجَاءِ ؟ قَالَ : امْرَأَةٌ أَخَذَهَا زِيَادٌ فَقَطَعَ
يَدَيْهَا ، وَرَجْلَيْهَا ، فَقِيلَ لَهَا : كَيْفَ تَرَيْنَ يَا شَعْجَاءُ ؟
قَالَتْ : قَدْ شَغَلَنِي هَوْلُ الْمَطْلَعِ عَنْ بَرْدِ حَلْدِ يَدِكُمْ .
قال الحجاجُ لامرأةٍ من الحمَّوارِجِ : اقترئي شيئاً من
القرآن . فقالت : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ
النَّاسَ » يَخْرُجُونَ (٢) « فَقَالَ : وَيَحِلُّكَ يَدْخُلُونَ .
قَالَتْ : قَدْ دَخَلُوا ، وَأَنْتَ تُخْرِجُهُمْ .

(١) كل مَيِّتَةٍ ظَنُّونَ والمراد كل مَيِّتَةٍ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْمَيِّتِ إِلَّا
هَذِهِ الْمَرْأَةَ الْخَارِجِيَّةَ .

(٢) سورة النصر : ١ ، ٢ .

وقال الحجَّاجُ لِأُخْرَى : لَأَحْصِدَنَّكُمْ حَصْدًا .
قَالَتْ : أَنْتِ تَحْصِدُ ، وَاللَّهِ يَزْرَعُ ، فَانْظُرِي أَيْنَ
قُدْرَةُ الْمُخْلُوقِ مِنْ قُدْرَةِ الْخَاقِ ؟

رَأَتْ أُخْرَى مِنْهُمْ رَجُلًا بَضًّا فَقَالَتْ إِنِّي لَأَرَى
وَجْهَهَا لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ وَضُوءُ السَّيِّرَاتِ (١) .

كَانَ شَيْبُ بْنُ الْحَارِجِيِّ (٢) يُنْعَى لَأُمِّهِ : فَيُقَالُ :
قُتِيلَ : فَلَا تُصَدِّقُ ، إِلَى أَنْ قِيلَ لَهَا : غَرِقَ
فَوَلَّوْتِ ، وَصَدَّقْتَ : فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ . فَقَالَتْ
إِنِّي رَأَيْتُ حِينَ وَلَدْتُهُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نَارٌ فَعِلِمْتُ
أَنَّهُ لَا يُطْفِئُهُ إِلَّا الْمَاءُ .

وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي بِيْهَسَ وَقَدْ أَمَرَ بِقَطْعِ
يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَقَالَ : أَلَا أُعْطِيكَ خَاتِمًا تَتَخَنَّمُ بِهِ ؟
فَقَالَ لَهُ أَبُو بِيْهَسَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الْعَرَبِ فَأَنْتَ مِنْ هَذِيلَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنَ الْعَجَمِ فَأَنْتَ
بَرْبَرِيٌّ . فَسَّيَّلَ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ مِنْ هَذِيلَ وَأُمُّهُ بَرْبَرِيَّةٌ .

(١) السيِّرات : جمع السيِّرة - بفتح السين ، وهي الغداة الباردة .

(٢) هو شبيب بن يزيد الحارجي صاحب الشيبية .

أتى رجلٌ من الخوارج الحسنَ البصري ، فقال له : ما تقولُ في الخوارج قال : همُ أصحابُ دُنيا ، وقال : ومن أين قلتَ وأحدهمُ يمشي في الرميح حتى ينكسر فيه ، ويخرج من أهله وولده ؛ فقال الحسنُ : حدثني عن السلطان أيمئتك من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحجِّ والعُمرة ؟ قال : لا : قال : فأراهُ إنما منعتك الدنيا فقاتلت .

نزل رجلٌ من الخوارج على أخٍ له منهم في استتارةٍ من الحجَّاجِ ، وأرادَ صاحبُ المنزل شُخوصاً إلى بلدٍ آخرَ لحاجةٍ له ، فقال لامرأته : يا زرقاءُ أوصيكِ بضيفي هذا خيراً . وبعُدَ لوجهيه . فلما عادَ بعدَ شهرٍ قال لها : يا زرقاءُ كيف رأيتِ ضيفنَا ؟ قالتُ ما أشغلهُ بالعمى عن كُلى شيء . وكان الضيفُ أطبقَ عينه فلم ينظرُ إلى المرأةِ والمنزلِ إلى أن عادَ زَوْجُهَا .

اجتمع ثلاثةٌ من الخوارج فعقد اثنانِ ليوَاحِدٍ ، وخرجوا يمشون خلفه يَلتمِسُون شيئاً يركبُهُ ،

فَجَعَلَ الاِثْنَانِ يَتَلَاحيانَ (١) ، فَالتَمَّتْ إِلَيْهِمَا وَقَالَ :
مَا هَذِهِ الضَّوْضَاءُ الَّتِي أَسْمَعُهَا فِي عَسْكَرِي ؟؟

كَبِرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَهَرَمَ حَتَّى لَمْ يَكُنْ بِهِ نَهْوَضٌ ،
فَأَخَذَ مَنْزِلًا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، فَكُلَّمَا جَاءَ مَطَرٌ
وَابْتَلَّتْ الْأَرْضُ أَخَذَ زُجَاجًا ، وَكَسَرَهُ ، وَرَمَاهُ
فِي الطَّرِيقِ ، فَإِذَا مَرَّ إِنْسَانٌ وَعَقَرَ (٢) رِجْلَهُ الزُّجَاجُ
قَالَ الْخَوَارِجِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ ، لَأَحْكُمَنَّ إِلَّا لِيَلَهُ
ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مِنْهُمْ يُدِي .

أَقْبَى رَجُلٌ بَعْضَ الْخَوَارِجِ بِالْمَوْقِفِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ (٣)
فَقَالَ لَهُ : مَنْ حَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنْ أَصْحَابِكُمْ ؟
فَقَالَ : مَا حَجَّ غَيْرِي . فَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا بَاهَى اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِشَقِّ مُحْمِلِهِ .

أَحْضَرَ الْحِجَابُ رَجُلًا مِنْ الْخَوَارِجِ ، فَمَنَّ عَلَيْهِ ،
وَأُطْلِقَهُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، قَالُوا لَهُ : إِنَّ اللَّهَ

(١) يَتَلَاحيانَ : لَحَاهِ يَلْحَوهُ : شَتَاهُ .

(٢) عَقَرَ الزُّجَاجُ : أَيِ جَرَحَهُ ، وَالْعَقْرُ : الْجَرْحُ .

(٣) أَيِ يَوْمِ عَرَفَةَ آخِرِ النَّهَارِ ، وَهُوَ يَوْمُ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ .

مَخْلُصُكَ مِنْ يَدِهِ لِيَزِيدَكَ بَصِيرَةً فِي مَذْهَبِكَ ،
فَلَا تُقْصِرْ فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِ . فَقَالَ . هِيَهَاتَ . « غُلَّ
يَدَا مُطْلَقُهَا ، وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً مُعْتِقُهَا (١) » .

وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد ،
وله آداب محفوظة عنه .

كان يقول : إذا أفضيتُ سرِّي إلى صديقي فأفشاء
لَمْ أَلَمْهُ لَأَنِّي كُنْتُ أَوَّلِي بِحِفْظِهِ .

وكان يقول : لا تفشِ إلى أحدٍ سرّاً . وإن كان
لك مخلصاً إلا على جهة المشاورة .

وكان يقول : كن أحرص على حفظ السرِّ صاحبك
منك على حقن دَمِكَ .

وكان يقول : أقل ما يدلُّ على عيبه عائب الناس
معرفةً بالعيوب ولا يعيب إلا معيباً .

وكان يقول : المال غير باقٍ فاشتتر به من الحمد
ما يبقى عليك .

(١) غل يدا مطلقها ، واسترق رقبة معنيها ، غل يدا : أي وضع
فيها الدل واسترق رقبة : أي ملكها بالرق ويفرب لمن يستعبد بالإحسان إليه .

وكان يقول : بَدَلُ المَالِ في حَقِّهِ استدعاء للمزيد
من الجِوَاد .

وكانَ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ : لو ملكت الدنيا
بِحَذَائِيرِهَا (١) . ثُمَّ دُعِيَ إِلَى أَنْ أُسْتَقِيلَ (٢) بِهَا
خَطِيئَةً عَلَيَّ لَفَعَلْتُ .

وَلَمَّا أَتَى عبيدُ اللَّهِ بنَ زيادَ بعروَةَ بنَ أديَّةٍ — وكانَ
قد أُصِيبَ في سَرِيَّةٍ (٣) للعلاء بنِ سُويدٍ في استتاره —
قالَ له عبيدُ اللَّهِ : جَهَّزْتَ أَخَاكَ عَلِيًّا : فقالَ : واللَّهِ
لقد كنتُ به ضَمِينًا وكانَ لي عِزًّا ، ولقد أردتُ له ما
أريده لنفسي ، فعزَمَ عِزًّا فمَضَى عليه ، وما أحبُّ
لنفسي إلَّا المَقَامَ وترَكْتُ الخُروجَ . قالَ له : أَفَأَنْتَ عَلَيَّ
رَأْيُهُ ؟ قالَ : كُنَّا نَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا . قالَ أَمَّا لَأُمُثِّلَنَّ بِكَ .
قالَ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مِنَ القِصَاصِ ما شِئْتُ . فأمَرَ به

(١) بِحَذَائِيرِهَا : جَمْعُ حَذْفٍ أو حَذْفٍ ، وهو أَعْلَى الشَّيْءِ
وَنَاحِيَتُهُ والمرادُ جَمِيعُهَا .

(٢) أُسْتَقِيلَ خَطِيئَةً عَلَيَّ : أَطْلَبَ الصَّفْحَ عَن خَطِيئَةٍ حَمَّيْتُ عَلَيَّ .

(٣) السَّرِيَّةُ : القِطْعَةُ مِنَ الجَيْشِ .

فقطعوا يديته ورجليه . ثم قال : كيف ترى ؟ قال
أفسدت عليّ دنياي وأفسدت عليك آخرتك .

وفي كتاب لنافع بن الأزرق (١) كتبه إلى قَعْدَةِ
الحوارج : ولا تطمئنثوا إلى الدنيا فلإنها غرارة* ، مكثارة* ،
لذتها نافذة* ، وتعيمها بائد . حُفَّتْ بالشهوات اغترارا ،
وأظهرت حَبْرَةً* ، وأضمرت عِبْرَةً* ، فليس لآكل
منها أكلة* تسره* ، ولا شربة تُؤْنِقُهُ إِلَّا دَنَّا بها درجة*
إلى أجله* ، وتباعدت بها مسافة* من* أمله . وإنما جعلها الله
داراً لمن* تزوّد منها إلى النّعيم المقيم ، والعيش السّليم ،
فلنّ يرضى بها حازم* داراً ، ولا حكيم* بها قراراً ،
فاتقوا الله ، «(وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى)» (٢)
والسلام على من أتبع الهدى .

ولما حاربهم المهلب بسلي ، وسليرى (٣) فقتل

(١) نافع بن الأزرق هو: نافع بن الأزرق الحنفي صاحب فرقة
الأزراقة من الحوارج .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٣) في معجم البلدان : سلى وسليرى ، - بكسر السين وتشديد اللام
فيهما وقصر الألف كذلك : جبل بمناذر من أعمال الأهواز .

رئيسهم : ابن الماخور (١) اجتمعوا على الزبير بن علي من بني سليط ، وبائعوه ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، فقال لهم : اجتمعوا . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه - ثم أقبل عليهم فقال : إن البلاء للمؤمنين تمحيضاً وأجرٌ ، وهو على الكافرين عقوبةٌ وخزي ، وإن يُصَبَّ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خالف . وقد أصبتم فيهم مسلمَ بن عبيس ، وربيعة الأجدم ، والحجاج بن باب ، وحارثة (٢) ابنَ بدر ، وأشجيتهم بالمهلب ، وقتلتم أخاه المَعَارِك . والله يقول لأخوانكم من المؤمنين : « (إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ) » (٣) فيوم سَلَّى كان لكم بلاءٌ وتمحيصاً ، ويوم سولاف (٤) كان لهم عقوبة ونكال . فلا تُغْلِبَنَّ عن الشُّكْرِ

(١) عبيد الله بن الماخور أمير الخوارج وكانوا يسمونه أمير المؤمنين وقد قاتله المهلب بن أبي صفرة بجيش كبير قتل فيه ابن الماخور هذا وسبعة آلاف معه .

(٢) هو حارثة بن بدر الفزاري ، كان ذابيان وجهارة وكان شاعراً عالماً بالأخبار والألقاب .

(٣) سورة آل عمران ١٤ .

(٤) سولاف - بضم أوله وسكون ثانيه وآخره فاء قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان .

في حينه . والصَّبْر في وقته . وثقوا بأنكم المستخلفون في
الأرض والعاقبة للمتقين .

ولما استردَّ مصعبُ المهلبَ من وجَّه الأزارقة ،
وولاه الموصلَ (١) شاور الناسَ فيمن يستكفيه أمرُ
الخوارج ، قال قومٌ ، ولَّ عبيدَ الله بنَ أبي بكرٍ .
وقال قومٌ : ولَّ عمرَ (٢) بنَ عبيد الله بنِ معمرٍ .
وقال قومٌ : ليس لهم إلا المهلبُ فأردده إليهم .

كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ الْخَوَارِجِ قَالَ بَعْضُهُمْ :
فَرَأَيْتَهُ يَحْدُثُ قَنَادِيلَ الْمَسْجِدِ بِالْحَصَى ، فَيَكْسِرُهَا ،
فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَنَا - كَمَا تَرَى -
شَيْخٌ كَبِيرٌ ، لَا أَقْدِرُ لَهُمْ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا ،
أَغْرَمُهُمْ قَنَدِيلًا ، قَنَدِيلَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

(١) الموصل : إحدى مدن العراق تقع في الشمال .

(٢) عمر بن عبيد الله بن معمر : ولده مصعب بن الزبير قتال الخوارج
بعد المهلب بن أبي صفرة .

وهذا مُختَصَرُ عمله الصَّاحِبُ رَحْمَةُ اللَّهِ وَسَمَاهُ
(الْكَشْفُ عَنْ مَنَاجِرِ أَصْنَافِ الْخَوَارِجِ)

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على النبي محمد ،
وآله أجمعين . سألت أنْ أذكرَ لكَ ألقابَ طوائفِ
الخوارج ، وذرَّوْأ من اختلافها . وأنا أثبتُ ما يحضر
حفظي . على أنْ هذه الألقاب تجمع أصولاً ، وفروعاً :
فربَّ طائفةٍ لحقَّها لقبٌ ثم تفرَّدَ من جملتها فريقٌ
فلحقَّهم لقبٌ آخر .

والذي يجمعهم من القول تكفيرُ أميرِ المؤمنين (١) -
صلواتُ الله عليه - وتكفيرُ عثمانَ ؛ وإنكارُ الحكَّامين (٢)
والبراءةُ منهما ، وممَّن حكَّهما أو تولَّى أحداً ممن
صوبَّهما . وأولُ من حكَّم بصفَّين عُرُوةُ بنُ حُدَيرٍ :
أنحو أبي بلال مرْداس ، وقيل عاصمُ المحاربي ، وأوَّلُ
مَنْ تشرى (٣) رجلٌ من يشكُرَ ، وكان أميرُهم - أولُ

(١) هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) الحكمان هما : عمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعري .

(٣) تشرى : تفرق : أو لعله صار من فرقة المحكمة التي لقيت أنفسها

الشراة فيكون معنى تشرى : حكم .

ما اعتزلوا - عبد الله بن الكوثاء ، وأمير قتاتهم شبت
ابن ربي ، ثم بايعوا لعبد الله بن وهب الراسبي .

ذكر القاب فرقههم مع جمل من مذاهبهم

الأزارقة : أصحاب نافع بن الأزرق (١) ، ويرؤون
من القعدة .

النجدية : أصحاب نجدة (٢) بن عامر الأسدي .
تولى أصحاب الكباثر من الخوارج إذ لم يصبروا .
ومن أصر منهم فهو مشرك عندهم .

الإباضية : أصحاب عبد الله بن إباض التميمي .
فأما عبد الله بن يحيى الإباضي المنقَّب بطالب الحق
فهو منسوب إليهم . ومعه خرج أبو حمزة الخارجي .
الصفريَّة : أصحاب زياد بن الأصفر . وقيل
أصحاب عبد الله الصفار

(١) هو نافع بن الأزرق الحنفي رئيس جماعة الأزارقة . وكانت
الخوارج قبله على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء والشاذ .
(٢) هو نجدة بن عامر الأسدي الحروري الحنفي من بني حنيفة من
بكر بن رائل .

العَطْوِيَّةُ : أصحابُ عطيةَ بنِ الأسودِ الحنفِيّ منَ
الْمُذَكَّرِينَ عَلَى نَافِعٍ .

العَجَّارْدَةُ : أصحابُ عبدِ الْكَرِيمِ بنِ عَجْرَدٍ ،
وَهُمْ عَطْوِيَّةٌ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يُوجِبُونَ دُعَاءَ الْأَطْفَالِ عِنْدَ
بُلُوغِهِمْ وَالْبَرَاءَةَ مِنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ .

المِمْوْنِيَّةُ : مِمْمُونٌ هَذَا عَبْدٌ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ بنِ
عَجْرَدٍ . وَيَقُولُ بِالْعَدْلِ وَيَرَى قَتْلَ السَّاطِطِ شَاصَّةً ،
وَمَنْ رَضِيَ ظُلْمَهُ ، وَأَعَانَهُ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ
وَيُحْكِمِي عَنْهُمْ أَنَّ التَّزْوَاجَ بَيْنَاتِ الْإِبْنِ وَبِنَاتِ
الْبَنَاتِ ، وَبِنَاتِ بَنَاتِ الْأَخَوَاتِ وَبِنَاتِ بَنِي الْإِخْوَةِ
جَائِزٌ ، وَأَنَّ سُورَةَ يُوسُفَ لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَأَكْثَرُ
مَنْ بِسَجِسْتَانَ مِمْوْنِيَّةٌ ، وَعَجَّارْدَةُ . وَقِيلَ مِمْمُونٌ
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَلَخٍ .

الْخَالِفِيَّةُ : يَقُولُونَ بِالْجَحْبَرِ (١) ، وَيُخَالِفُونَ الْمِمْوْنِيَّةَ
فِي الْعَدْلِ .

(١) أَيُّ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبُورٌ عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَلَيْسَ
لَهُ اخْتِيَارٌ فِي أَعْمَالِهِ .

الحمزِيَّة : أصحابُ حمزة بن أدرك . يقولون .
بِالْعَدَل . وله فارقُوا الخليفة .

الْحَازِمِيَّة : وهم الشيعة أصلُهم عجاردة ، وهم
أصحابُ شُعيب يقولون : إنَّ الوِلاية والعِداوةَ صفتان
في ذات القديم . وهم مجبِرة .

المعلومية : مِنَّ الْحَازِمِيَّة يقولون : مَنْ لم يَعْلَمْ
اللَّهَ بِجميع أسمائه ، وعرفه ببعضها فهو عارفٌ به .

المجهولية يقولون : مَنْ لم يعلم الله عز وجل بجميع
أسمائه فهو جاهلٌ به .

الصَّائِيَّة : عَجَاردةٌ أصحابُ عثمان بن أبي
الصَّائت : يقولون : إذا استجابَ الرجلُ للإسلام
برِئتنا من أطفالهم حتَّى يُدْرِكوا .

الثَّعَالِيَّة : عَجَاردةٌ ، وصاحبُهم ثعلبةٌ ، خالفَ عبد
الكریم بن عجرد فيما قاله في الطفل .

الأخْنَسِيَّة : أصحابُ ، الأخْنَس يحرمون البنات ،
والغيلة ويقننون عَمَن في دار التَّقِيَّة حتَّى يعرفوه .

العَبْدِيَّة : رأوا أخذَ زكاةِ أموالِ عبيدهم إذا
استغنّوا ، وإعطاهم إذا افتقروا .

الشَّيْبَانِيَّةُ أصحابُ شَيْبَانَ بْنِ سَلَمَةَ .

الزِّيَادِيَّة : أصحابُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

العُشْرِيَّة : وهم الرّشيدية ، كانوا يرون فيها سُتَيْبِي
بِالْأَنْهَارِ الجارية نصفَ العَشْرِ ، وخالفت الزِّيادية في
إيجابها العَشَرَ .

المَكْرُمِيَّة : أصحابُ أَبِي مَكْرَمٍ . قالت : تارك
الصلاة كافرٌ . ومن أتى كبيرةً فهو جاهلٌ بالله .
وتألت بالموافاة .

* * *

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ

الغلط والتصحيح (١)

قال بعضهم : خَالِفَ تَدَكَّرٌ ، فُقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا هُوَ
تَدَكَّرٌ فَقَالَ ؛ : هَذَا أَوَّلُ الْخِلَافِ .

وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ فِي كِتَابٍ : أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَغَ
قَدِيداً ، وَإِنَّمَا بَلَغَ قَدِيداً (٢) .

وَقَرَأَ آخَرٌ : أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْمَسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ،
وَإِنَّمَا هُوَ « الْغُسْلُ » .

وَقَرَأَ آخَرٌ : أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ فِي الْقَيْدَرِ ، وَإِنَّمَا
هُوَ الدُّوْمُ .

(١) التصحيح لغة : الخطأ والتحريف هو الخطأ كذلك ، غير أن
بعض الباحثين يرى التصحيح خاصاً بالخطأ الناشئ عن نقط الحروف
زيادة أو نقصاً ، أما التحريف فخاص بالخطأ في حروف الكلمة تقديماً أو
تأخيراً أو صورة أو ضبطاً .

(٢) قديد . اسم موضع قرب مكة .

وقرأ آخر : ولا يرث جميل^(١) إلا بشيئة ،
ولإنما هو لا يُورث جميل^(٢) إلا ببيئة .

وقال آخر : إذا أردت أن تُنعظ^(٣) فادخل
المقابر ، وإنما هو تتعيط .

وقرأ رجل^٤ على ابن مجاهد : بل عجبنت ،
ويَسْجُرُون^(٤) . فقال : أحسنت ، مع العَجْنِ
يُسْجَرُ الثَّنُور .

كتب صاحب الخبر بأصبهان إلى محمد بن عبد الله
بن ظاهر : إنه فلانا القائد يَتَمَسُّ خُرْنِجِيَّةً ، ويقعد
مع النساء فكتب إلى العامِل : ابعث إليَّ بفُلَانٍ وخُرْنِجِيَّة
فَتَصَحَّفَ القارئ . وقرأ : وجزَّ لِحِيَّتَهُ ، ففعل ذلك
به ، وأشخصه^٥ .

-
- (١) هو جميل بن ممر صاحب بيئة التي أغرم بها وشبب بها في
شعره وكان في أيام دولة بني أمية مثالا للفرل العذري العفيف .
(٢) الحميل : الذي يحمل من بلده صغيراً ولم يولد في بلد الإسلام .
(٣) أنعظ الرجل : علاه الشبق والرغبة في الجنس الآخر .
(٤) سجر الثنور : أحماه . وهو يشير إلى الآية الكريمة « بل عجبنت
ويسفرون » .

وكان كافي الكفاة يكره أن يكون في مخاطبات
النساء حراستها ونظرها وعقائها ، ويقول : لا يؤمن
أن يصحف فيقرأ : حراستها ، وعقائها ، وبظنرها .

وكان حماد الراوية (١) لا يقرأ القرآن فاستقرىء
فقرأ ، ولم ينزل إلا في أربعة متواضيع : عذابي
أصيب به من أمساء . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا
موعدة وعادها أباه . ومن الشجر وما يغرسون . بل
الذين كفروا في غرة وشقاق (٢) .

وقد روي أنه صحف في ثيف وعشرين موضعاً
كلها معشابهة وأنا أذكرها جميعاً من بعد بلذن الله .

(١) حماد الراوية : هو حماد بن ميمرة . وقيل بن ساجور مولى
بني شيبان ، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
وأناسها ولغاتها .

(٢) صحة الآيات :

« عذابي أصيب به من أمساء » سورة الأعراف : ١٥٦ .

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » سورة

التوبة : ١١٤ .

« ومن الشجر وما يغرسون » سورة النحل : ٦٨ .

« بل الذين كفروا في غرة وشقاق » سورة ص : ٢ .

غضب كاتبُ المأْمون على غلامه فرماه بالدَّوَّاةِ ،
وشجَّه ، فاجأ رأى الدَّمَّ يسيلُ قال : صدَّقَ الله تعالى :
والذين « (إذا ما غَضِبُوا هم يَغْمِرُونَ) » (١) . فبلغ
ذلك المأْمونَ . فأنَّبه . وقال : ويأتاك ! أمّا تُحسِنُ أنْ
تَقْرَأَ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ فقال : بلى . واللهِ إني لأقرأ
مِنْ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ أَلْفَ آيَةٍ (٢) .

قال بعضهم : قرأ عبدُ الله بنُ حَنْبَلٍ في الصَّلَاةِ :
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (٣) .

فقيل له : أنت وأبوك في طرفي نقیض . زعم
أبوك أن القرآنَ ليس بمخلوق ، وأنت قد جعلت ربَّ
القرآنِ مخلوقاً .

(١) صحة الآية « والذين يمتحنون كبار الإثم والفواحش وإذا
ما غضبوا هم يغمرون » سورة الشورى : ٣٧ .

(٢) وجه العجب في هذه الإجابة : أن القرآن ليس فيه سورة عدد
آياتها ألف آية .

(٣) صحة الآية « اقرا باسم ربك الذي خلق » سورة العلق : ١ ببناء
خلق المعلوم .

وحكي أن المحاملي^(١) المحدث قرأ : وفاكهة^{*}
وابناً^(٢) . فقيل له : الألف مفتوحة . فقال : هو في
كتابي محدودّ مضبوط .

وحكي أن ابن حاتم قرأ : فصيام ثلاثة أيام في
الحج وتسعة إذا رجعتُم ، تلك عشرة كاماة^(٣) .

كان اسم أبي العتاهية^(٤) « زيد » فنقش على
خاتمه أيا زيد « ثق » فكان الناس يتنادون له :
أنا زنديق .

قال بعضهم : سمعتُ ابنَ شاهين المحدث في
جامع المنصور يقول في الحديث : نهى النبي عليه السلام

(١) هو القاضي أبو عبد الله الحسن بن إسماعيل بن محمد الضبي من
الثقات لم يكن أشد منه في عصره مع الصدق والعتق والثوق . توفي بهمداد
سنة ٨٣٣٠ .

(٢) وصحة الآية « وفاكهة وأبا » سورة عيس : ٣١ .

والآب : الكلأ أو المرعى أو ما أنبت الأرض والمضر .

(٣) صحة الآية « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتُم »
سورة البقرة : ١٩٦ .

(٤) أبو العتاهية هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ولد
بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة . توفي سنة ٢١١ هـ .

عن شقيق الخطب . فقال بعض الملاحين : يا قوم ،
فكيف نعملُ والحاجةُ ماسئةٌ ؛ وهو شقيق الخطب .

قال : وسمعتُه مرةً أخرى وهو يفسرُ قوله تعالى :
« (وَيَابِئِكَ فَطَهَّرَ) » فقال : قيل لا تلبسها على غامرة .
وهو لا تلبسها على عذرة (١) .

وكان كيسانُ مستملي ابن الأنباري ، وكانَ
أعمى القلب ، فسُمع ابنُ الأنباري وهو يقول :
كيسانُ يسمعُ غيرَ ما أقولُ ، ويكتبُ غيرَ ما يسمعُ
ويقرأ غيرَ ما يكتبُ ، ويحفظُ غيرَ ما يقرؤه .

وحكي عنه أنه كان يكتبُ ما يسمعُ في الحرف ،
ويجمعهُ في حُبٍّ ، فاشترى راويةَ ماءٍ فغلطَ السقَّاءُ
بينَ حُبِّ الماءِ وحُبِّ الحرفِ ، فصبَّ الماءَ في حُبِّ
العالمِ فرأينا كيسانَ وقد وضعَ يدهَ على رأسِهِ ، وذهبَ
عليه كله .

(١) عذرة : العذرة : الغائط وانظر سورة المدثر : ٤ .

وقالوا تقدّمتِ امرأةٌ إلى عمرَ فقالت : أبا غفّر
حقّ نصّ الله لك (١) . فقال : مالك : أغفّرتِ ؟
قالت : صلّعتُ فرقتك .

وروى أبو ربيعة المحدثُ أن النبيّ عليه السلامُ
كان يغسِلُ حصى الحمار . قيل : ولم ذاك يا أبا
ربيعة ؟ قال : كان يُظْهَرُ تواضُّعُه بذلك . والخبرُ أنَّه
« كان يغسِلُ حصى الحمار (٢) » .

قال بعضُ المحدثين : حدّثني فلانٌ عن فلانٍ عن
سبعة وسبعين ، يريد عن شُعْبَةَ وسفيان .

كان « يزُدَا نفا ذار » فيه لُكْنَةٌ ، وكان يجعلُ
الحاء هاءً ، أمّا على كاتبٍ له : والمّاصلُ ألفٌ كُـرٌّ .
فكتبها الكاتب بالهاء . كما لفظَها ، فأعادَ عليه الكلام ،
فأعاد عليه الكاتب الكتاب ، فلما فطن لاجتماعهما على

(١) صيغة العبارة أبا حنص غفر الله لك .

(٢) حصا الحمار : الحصيات التي يحذفها الحاج في منى يرمى بها
الحمار الثلاث وهذا الرمي أيام العيد من مناسك الحج .

الجهل ، قال : أنت لا تهسين تكتب . وأنا لا أهسين
أملي . فاكْتُبْ : الجاصل ألف كُـ فكتبها بالجيم معجمة .

قالت أمٌ ولدٌ لحرير لبعض ولدها : وقع الجرذانُ
في عجان أمكم . أبدلت الذال دالاً وضعت الجيم ،
وجعلت العجين عيجاناً . وإنما أرادت وقع الجرذانُ في
عجان أمكم .

وروى آخر : عمُّ الرجل ضيقُ أبيه (١) . وإنما
هو صِنُو .

وروى آخر : لعين اليهود ، حرمت عليهم الشحومُ
فحملوها . وإنما هو فجءلُوها (٢) ، أي أذابوها .

وروى بعضهم : أنَّ الحارثَ (٣) بنَ كَلْدَةَ كان
يقولُ الشمسُ تُثْقِلُ الريحَ ، وإنما هو تَسْتَفِلُ الريحُ (٤)

(١) هذا حديث عن النبي عليه السلام . والصنو المثل .

(٢) جعل الشحم : أذابه .

(٣) الحارث بن كَلْدَةَ من أحلق ألباء الجاهلية وهو من بني ثقيف
من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس وأخذ الطب من جند يسابور . وقد
أدرك الإسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه وقد
توفي سنة ٨١٣ .

(٤) الشمس تنفل الريح يقال ثفل يتفل - كفرج يفرج - بمعنى تفرج
والمعنى هنا تفرج الشمس رائحة الريح .

وقالوا : مكان يجلسُ في مَقْشاة . وإنما هو في
مَقْناة (١) .

وروي : أنه نُهيَ عن لبس القسيِّ وإنما هو
القسيِّ (٢) لضربٍ من الثياب .

وروي : أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى يده سَخْلَةٌ (٣) تبعر . وإنما هو تَبْعَرُ من اليعار .
وهو صوتُها .

قال بعضهم : قال الرياشي (٤) لي يوماً — وقد
جئتُ من مجلس ابن أبي الشَّوارب : أرني ما أُملي
عليكم ، فأريته ، فمرَّ به هذا الحديث : آخر ما
يجازفُ به المؤمن عَرَقُ جَبِينِهِ .

(١) المقناة : المكان الذي لا تكاد تخيب عنه الشمس .

(٢) نُهيَ عن لبس القسيِّ وإنما هو القسي وذلك لأن القسي هو الدرهم
الزائف أما القسي فهو جمع قوس آلة النبل .

(٣) السخلّة : ولد الشاة .

(٤) الرياشي : هو أبو الفضل العباس بن الفرّج الرياشي اللخوي .

فقال الرياشي : ما أخرج هؤلاء إلى بعض عيالنا إنما
إنما هو يُحَارَفُ ، والحريفُ : الشريكُ ، يقالُ :
فلان حريفُ فلان ، أي شريكه ومُحاسبه .

وقال بعضهم : حضرتُ رجلاً من الكُبراء ، وقد
قرأ في المصحف : يا عيسى ابنَ مريم اذكرْ نعمتي
عليك وعلى والديك (١) .

وقرأ بعضهم : والعاديات صُبْحاً (٢) .

وقال آخر : فكذبوهما فتغادرنا بثالث (٣) .

وقيل : إنَّ سليمانَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله
على المدينة : اخصِ المختشِينَ . يريدُ : عُدَّهم .
فقرأ الكاتب : اخص ، فخصَّاهم .

وميمَنٌ أُنْجِلَهُ التَّصْحِيفُ في مجالس الخلفاء
أحمدُ بنُ أبي خالد وزير المأمون ، فإنه حضرَ مجلسه

(١) صفة الآية : « إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك
وعلى والديك » سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) صفة الآية « والعاديات صبحاً » سورة العاديات : ١ .

(٣) صفة الآية « فكذبوهما فغادرنا بثالث » سورة يس : ١٤ .

للعظام يقرأ عليه القصص ، وكان فتهما ، فمرت به
قصة "مكتوب" عليها : فلان البريدي (١) ، فقرأها :
التريدي فقال المأمون أبو العباس جاثع . هاتوا له ثريدة .
فقدمت إليه ، وأكرهه على أكلها ، وغسل يده ،
وعاد إلى أن تصفح القصص ، فمرت به قصة "مكتوب"
عليها : فلان الحمصي (٢) فقرأها : الحبيصي . فقال
المأمون : كان غداء أبي العباس غير كاف ، لابد
للثريدة من أن تتبع بخبيصة (٣) ، فقدمت إليه ، وأكلها.

• • •

(١) البريدي : أي صاحب البريد .

(٢) الحمصي : منسوب إلى حمص إحدى مدن الشام .

(٣) الخبيصة : طعام يصنع من التمر والسمن .

ونذكرُ الآنَ بعضَ ما أُخِذَ على العلماءِ
مِنَ التَّصْحِيفِ

قال كَيْسَانُ : سمعتُ أبا عبيدةَ ينشدُ (١) :
ما زالَ يَضْرِبُنِي حَتَّى خَزَرْتُ لَهُ
وَحَالَ مِنْ دُونِ بَعْضِ الْبَغِيَةِ الشَّفَقُ (٢)
قال : فقلتُ خَزَرْتُ خَزَرْتُ ؟ ؟ ، وضحكتُ ،
فغضِبَ وقال : فكيفَ هُوَ ؟ قلتُ : إنما هو خَلَدْتُ .
قال : فَانْخَزَلَ ، وما أحرارَ جَوَاباً .
ورَوَى أيضاً أَبُو عُبَيْدَةَ آيَاتَ لَقِيطِ (٣) في يومِ جَبَلَةِ

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولد بني تميم بن قريش . ولد سنة ١١٠ هـ ودور أجمع سائر الرواة لعلوم العرب وأخبارهم وأنسابهم ، وله مؤلفات كثيرة .

(٢) البيت لأبي شجرة . والتصحيح في خزيت . والرواية : خلديت بمعنى خضعت .

(٣) لقيط بن زرارة من أشرف تميم وفرسانها وقد قتل في يوم جبلة بعد أن تم النصر فيه لعبس وعامر على تميم وخطفان .

يا قَوْمٌ قَدْ حَرَقْتُمُونِي بِاللَّوْمِ
 وَلَمْ أَقَاتِلْ عَامِرًا قَبْلَ الْيَوْمِ
 سَيِّئَانِ هَذَا وَالْعِيْنَاقُ وَالنَّوْمُ
 وَالتَّشْرَبُ الْبَارِدُ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ
 وَقَالَ يَعْنِي فِي ظِلِّ نَخْلِ الْمُقْتُلِ (١) : فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
 قَدْ أَحَالَ ابْنُ الْحَائِكِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِنَجْدٍ دَوْمٌ . وَجِبِلَةٌ
 بِنَجْدٍ ؛ وَلِئِنَّمَا الرِّوَايَةُ فِي الظِّلِّ الدَّوْمُ ، أَيِ الدَّائِمِ .
 وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ بَيْتَ أَوْسٍ بْنِ حَجَرٍ (٢)
 أَجَوْنُ تَدَارَكَ نَاقَتِي بِقِرَى لَهَا
 وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّ جَوْنًا سَيَفْعَلُ
 فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : صَحَّفَ الدَّعِي ؛ لِإِنَّمَا هُوَ
 تَدَارَكَ نَاقَتِي بِقِرَابِهَا . أَيِ مَا دُمْتُ أَطْمَعُ فِيهَا . وَفِي
 مَثَلٍ لِلْعَرَبِ : « الْفِرَارُ بِقِرَابِ أَكَيْسٍ » (٣) .

(١) المقتل : ثمر الدوم .

(٢) أوس بن حجر ، من نضير أحد بطون تميم من فحول الشعراء الجاهليين .

(٣) المثل لجابر بن عمر المازني . ومعنى القراب : القصد .

وروي بيت الحارث بن حلزة (١) .

عَمَّتْ بِاطْلًا وَظُلُمًا كَمَا تُعْت

ز عن حجره الربيع الظباء

وقال : العترة : الحربة يُنحر بها . فردَّ عليه أبو

عمرو وقال : إنما هو تُعْتَر ، من العتيرة وهي ذبيحة الصنم (٢) .

وروي بيت الخطيئة :

وَعَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَنِي بِالضَّيْفِ ثَامِر

وقال أبو عمرو : إذا صحفتُم فصحتُموا مثل تصحيفه وإنما هو لابن "بالضيف تَامِر" .

وروي بيت عنرة (٣) :

(١) الحارث بن حلزة بن بكر بن وائل ، اشتهر بمعلقته التي أولها :

أَذِنَّا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِيَلٍ مِنْهُ الثَّوَاءُ

(٢) ومعنى البيت : إنكم تأخذوننا بدتب غير تآكما كانت العرب إذا

وجب عليها نذر في شاتها ذبحت الظباء مكانها ، فتظلمها بذلك . والتصحيف ظاهر بين تمتز وتعار .

(٣) هو عنرة بن شداد البهي نسبة إلى عيس من تيس وهو من الشمر

الفرسان الشجعان .

وَأَخَرُ مِنْهُمْ أَجْرَرْتُ رُمَحِي
وَفِي الْبَحْلِي مِعْبَلَةٌ وَقِيمُ

فقال كيسانُ له : إنما هو في البجلي - بإسكان
الجيم - منسوبٌ إلى بحلة بطن من بني سُلَيْم
وروي لذي الرمة (١) :

عَيْنُ مَطْحَلَةٍ الْأَرْجَاءِ طَامِيَةٌ
فِيهَا الضَّفَادِعُ وَالْحَيْتَانُ تَصْطَخِبُ
فَقِيلَ : هُوَ يَصْطَخِبُ ، لِأَنَّ الْحَيْتَانَ لَا تَصْطَخِبُ ،
وَلَا صَوْتَ لَهَا .
وروي لرؤية :

« شَمَطَاءُ تَنْبُوي الْغَيْظِ حِينَ تَرَامُ »

فَقِيلَ : إِنَّمَا هُوَ تَنْبُوي ، أَيِ تَجْعَلُهُ بِمَنْزِلَةِ الْبَوِّ (٢)

(١) ذو الرمة : هو غيلان بن عقبة بن نهيـس من مضر ويعد من الشعراء
المتيمين وصاحبه مية بنت مقاتل المنقري .

(٢) البو ولد الناقة ، وجلد البوار يحشى ثبنا أو تماما فيقرب من أم
الفصيل فتعطف عليه فتدر .

رَوَى أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ بَيْتَ امْرِئِ الْقَيْسِ (١)
تَأَوَّبَنِي دَانِي الْقَدِيمُ فَعَلَسَا
أَحَافِرُ أَنْ يَشْتَدَّ دَانِي فَأَنْكَسَا

فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : هَذَا تَصْغِيرٌ لِأَنَّ الْمَتَأَوَّبَ لَا يَكُونُ
مَعْلَسًا فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ لِأَنَّ غَلَسَ : أَتَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ ،
وَتَأَوَّبَ جَاءَ فِي أَوَّلِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَعْلَسٌ ، أَيِ اشْتَدَّ
وَبَرَّحَ .

وَرَوَى الْمَفْضَلُ لِلْمَخْبُتِلِ (٢) :
وَإِذَا أَلَمَّ خَيَالُهَا طَرَفَتْ
عَيْنِي فَمَاءَ شَوْوْنِهَا سَجَمُ

(٣) وَامْرُؤُ الْقَيْسِ أَشْهَرُ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَدْ تَوَفَّى بِالْجَدْرِ سَنَةَ ٥٤٠ هـ
قَبْلَ مِيلَادِ الرَّسُولِ .

(٣) الْمَفْضَلُ الضَّبِّيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَعْلَى بْنِ عَامِرٍ بْنِ سَالِمِ الضَّبِّيِّ ، أَبُو
الْمُبَاسِّ أَدِيبٌ نَعْوِيٌّ لِنَعْوِيٍّ عَالِمٌ بِالشُّعْرَاءِ وَأَيَّامِ الدَّرْبِ ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ
لَزِمَ الْمُهَدِّيَّ الْعَبَّاسِيَّ وَعَمِلَ لَهُ الْأَشْعَارَ الْمُخْتَارَةَ الْمُسَمَّاةَ (الْمَفْضَلِيَّاتُ) وَقَدْ
وُلِدَ سَنَةَ ٥١٦ هـ .

فَقَالَ لَهُ خَلْفٌ (١) : إِنَّمَا هُوَ طُرْفَتُ عَيْنِي .
فَرَجَعَ عَنْهُ .

• • •

(٤) خَلْفُ الْأَحْمَرِ : هُوَ خَلْفُ بْنُ حَيَّانَ وَقَدْ أَخَذَ الْأَصْحَمِيَّ وَسَاثِرَ
أَهْلَ الْبَصْرَةِ عَنْهُ ، وَكَانَ لَهُ قُوَّةٌ عَجِيبَةٌ عَلَى تَمْيِيزِ الْأَشْعَارِ وَتَمْيِينِ أَصْحَابِهَا .

هذه حروفٌ وكلماتٌ من المُصحَّفِ
الذي يستعمله الناسُ عمداً لا سهواً

كتب أبو تمام (١) الطَّنَّانِي رُقعةً إلى محمد بن عبد الملك
ابن صالح يسأله فيها مُحالاً ، وكتب على عُنوانها
« حبيب »

فأخذه محمد ونقطه « خبيث » .

ورفع آخر رُقعةً إلى محمد بن عبد الله بن طاهر (٢) ،
وعليها « خريثُ بنُ الفارس » وكان اسمَ الرجل ، فجعلته
محمد « خربتُ في الفراش » وكتب تحته : « بئسما
فعلت » .

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطَّنَّانِي ، والدُ بمنيح في بلاد الشام
وجاء مصر صغيراً فجالس الأديباء بجامع عمرو ، فأخذ عنهم وتعلم ، وكان
فطناً فهما بالشعر .

(٢) هو الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي نائب
بغداد . كان جواداً ، جيد الشعر . مات بأجواليق سنة ٢٢٣ هـ .

وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَقَالَ : أَعْتَصِرُ .
أَخْرَجُ . أَبَادِرُ . فَقَالَ الْحَسَنُ : كَلْبُوا عَلَيْهِ ؛ مَا كَانَ
ذَلِكَ . يَرِيدُ السَّائِلُ : أَعْتَصِمَانُ أَخْرَجُ أَبَا ذَرٍّ ؟

وَمِنْ تَصْحِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ : مَتَدَلِّمِل . يَرِيدُ :
مَنْ مَلَّ مِلَّ مِلَّ .

وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا لَطِبَّاسِخٍ لَهُ فَارَسِي : حَاسِبَتْ
رَشِيد . فَقَالَ : زِنْ نَبِيذ .

أَرَادَ الْمُعْتَصِمُ : جَاءَ مَشَيْتَ رَسِيد ، أَيِ أَدْرَكَ غِلْدَاؤَكَ .
وَقَالَ الْآخَرُ : رَسِيد ، أَيِ أَدْرَكَ .

وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ يَوْمًا لِيَحْيَى بْنِ مَاسَوِيَّةَ : بَعْتُ بَيْتِي
بِقَصْرَيْنِ . فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : أَخَّرَ الْغِلْدَاءَ . أَرَادَ الْمُتَوَكِّلُ :
مَشَيْتُ فُضْرِي . فَأَجَابَهُ ابْنُ مَاسَوِيَّةَ بِالْعَلَّاجِ .

• • •

ومن هذا الجنس

حروف وكلمات من المصحف عمداً لا سهواً

الحنصر : الحب ضر . متى ألج بيت هند ؟ :
ميّت الحب شهيد . نرجس طري : برح بي نظري .
بطرف تستري : نَمَّ طرّفي بسري . طست حسن :
طبيبي : حبيبي . القبعثري وحائبس (١) : ألفت
غيري وخلايتني . فنت بتكفيلي : في عينيك قتلي .
وحمره حدّك بشأني : حمر حدّك سباني . خشخاش (٢) :
حبيب خائني . مِشمشة ثقيلة : من ينم يُنبّه
بقبلة . صبيّة حسنة : صبّ نبيّه حبيبه . محبرة أبوس :
مُحب زها يبوس .

(١) القبحري ، بالقصر : من معانيها : الجمل العظيم ، الفيل
المهزول - والحلبس - بوزن جعفر : الشجاع ، والأسد ، والملازم للشيء .
(٢) الخشخاش : منوم ، مخدر ، مبرد ، وقشره ينفذ في قطع الإسهال .

كلني بيديناك فبعني بحبيبتين : كلُّ شيء منك في
عَيْتِي حَسَنٌ . لبَّ سرجٍ مُضِرِّي : ليس ترحم ضُرِّي .
مَسْعُودٌ : متى تعود ؟ . الثَّوبُ يمانِي بثوب : الثَّوبُ
ثم استوت . سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ (١) : نَبَتْ عِنْدَ فَرْجَس .
فَرْجُ مَسْمَسٍ بِحَبَّة : تَوَدُّ جَمَشَ (٢) مَنْ تُحِبُّه .
تَحْتَ الْفِيلِ مِرْوَحَةُ خَيْشٍ : تَحِبُّ الْقُبْلَ مِنْ وَجْهِ
حَسَنٍ . حَبَشُ بْنُ حَنِينٍ : حَبِيبِي بَتَّ بَخِير . سَكَبَاجُ (٣) :
ثِيَابُ (٤) بِسَاح . كَشْكِيَّةٌ : كُنْتُ نَكْتَةً . قَلَنْسُوءَةٌ
خَضْرَاءُ : قَلْبِي يَتَوَهَّجُ ضَرًّا . لَمَازِحٌ مَقَالٌ يَتَغَمُّ : لَمَّا
رَحِمَ قَالَ : نَعَمْ .

* * *

-
- (١) سعيد بن جبيرة : كان كاتباً وزيراً لأبي بردة بن أبي موسى
الأشعري بأمر الحجاج الثقفي .
(٢) الجمش : المغازلة .
(٣) السكباج : طعام يصنع من اللحم والمرق ، وهو معرب (سكبا)
بالفارسية ، .
(٤) الثَّي : الطاقة والقوة ، وباح : سكن . والمعنى : سكنت قوتك .

الباب الثالث عشر

نوادِرُ من النحو واللحن (١)

سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قرأ ،
فلحن . فقال : أرشدوا أخاكم .

قال الأَصمعيُّ : قلتُ لأبي مَهْدِيَّةَ (٢) : كيف
تقولُ : لا طيبَ إلَّا المسكُ ؟ قال : فأينَ أنتَ عن العنبرِ ؟
قلتُ : فقلْ لا طيبَ إلَّا المسكُ والعنبرُ . فقال : أينَ أنتَ
عن البانِ ؟ قلتُ : قلْ لا طيبَ إلَّا المسكُ والعنبرُ
والبانُ . قال : فأينَ أنتَ عن أدهانِ (٣) محمَرٍ
قال قلتُ : فقلْ لا طيبَ إلَّا المسكُ والعنبرُ والبانُ وأدهانِ
محمَرٍ . قال : فأينَ أنتَ عن فارةِ (٤) الإبلِ صادرةٍ ؟

(١) النوادر : لون جميل من التعبير الأدبي تفتن فيه الأمم ، ويتبارى
في حلته أصحاب الصناعات وكلما كانت النادرة غير مصطنعة ، ولا متكلفة ،
كانت أجلب للروى ، وأمتع للنفس ، وأجدر أن يتناقلها الأفراد والجماعات .

(٢) أبو مهديّة : أعرابي ، صاحب غريب ، يروي عنه البصريون .

(٣) أدهان محمر : نوع من العشب أطيب رائحة من غيره .

(٤) الفارة : المسك . وقد تخفف (الفارة) .

عميلٌ بعضُ النحويين كتاباً في التصغير ، وأهداهُ
إلى رئيس كان يختلفُ إليه ، فنَقَصَ عطيفته ، فصنَّفَ
كتاباً في العطف ، وأهداهُ إليه ، وكتبَ معه : رأيتُ
بابَ التصغير قد صغرتُ في عِنْدَ الوزير ، وأرجو أن يعطِفَه
عليَّ بابُ العطفِ .

سمعتُ الصاحبَ - رحمهُ الله - يقول : كان سببُ
انصال ابنِ قريعةَ (١) القاضي بالوزير أبي محمد الملهبي
أن ابنَ قريعةَ كان تيسمَ رحي له ، فرفعَ إليه حساباً ،
فيه درهماً ودنانقاً ، وحبَّتان ، فدعاهُ ، وأنكرَ عليه
الإعرابَ في الحساب .

فقال : أيُّها الوزيرُ ، صارَ لي طابَعاً ، فليستُ أستطيعُ
له دَفْعاً . فقال : أنا أزيلُه عنك صَفْعاً ، ثم استدناهُ
بعد ذلك ، وقربَه .

قال نحوي ارجل : هل ينصرفُ إسماعيلُ ؟ قال :
نعم . إذا صائى العشاءَ فما قُعوده ؟

(١) أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة ، قاض ، من أهل بغداد .

وحكي أن جماعةً عند محمد بن بحر (١)
اختلفوا في بناء سَراويل ، فدخل البرقي وقال : فيم
كنتُم ؟ قالوا : في بناء سَراويل . فما عندك فيه ؟
قال : مثل ذراع البكر أو أشد .

قال النوشجان (٢) : حضرت مجلس المبرد ،
فسمِعنا واحداً يقول : في حرام أصبهان .

فقال أبو العباس : هذا قد شتمك على مذهب قول
الله تعالى : « واسأل القرية » (٣) .

سمع ذو الرمة رجلاً يقول : على فلان لعنة الله .
فقال : لم يرض بواحدة حتى شفعتها بأخرى . وذلك
أنه لما سمِعَهُ مفتوحاً قادراً أنه أراد التثنية : لعنتا الله .

قيل لرجل كان يكثُر اللحن في كلامه : لو
كنت إذا شككت في إعراب حرف تخلصت منه إلى

(١) محمد بن بحر الأصفهاني ، وال من أهل أصفهان ، توفي سنة ٣٢٢

(٢) النوشجان : علم فارسي .

(٣) سورة يوسف : ٨٢ . ومعنى اسأل القرية : أي أهل القرية .

غيره . مِّنْ غَيْرِ أَنْ تُزِيلَ المعنى عن جهته ، كان الكلامُ واسِعاً عليك . فلقِيَ رجلاً كان مشهوراً بالأدب . فأراد أن يسأله عن أخيه ، وخشي أن يَلْحَنَ في مخاطبته ، فذهب إلى أن يتخلَّص عند نفسه إلى الصَّواب . فقال : أخوك ، أخيك ، أخاك ههنا ؟ فقال له الرجلُ : لا ، لَو ، لي ، ماهو حاضر .

وقف نحوي على صاحب باذئجان ، فقال له : كيف تبیع ؟ قال : عشرين بدائق . قال : ماعليك أن تقول : عشرون بدائق ! ! فقدَّر أنه يستريدُه . فقال : ثلاثين بدائق . فقال : وماعليك أن تقول : ثلاثون ؟ فما زالَ على ذلك إلى أن بلغَ تسعين . فقال : وماعليك أن تقول : تسعون ؟ فقال : أراك تسدورُ على المائتون ، وهذا مالا يكون .

ومر نحوي بقصَّاب — وهو يسْلُخ شاةً — فقال : كيف المستطرقُ (١) إلى درْب الرّسّين ؟ فقال القصَّابُ : اصبر قليلاً حتى يخرج الكرّشُ ، وأدلك على الطّريق .

(١) أي كيف الوصول إلى تجار لحم الرؤوس . والرّأسون القصابون الذين يحمون لحم الرأس .

وقدّم نحوي تخصّماً له إلى القاضي ، وقال له :
لي عليك مائتان وخمسون درهماً .

فقال لتخصّسه : ماتقول ؟ فقال : أصلح الله القاضي ،
الطلاق لازم له إن كان إلا ثلاثمائة . وإنما ترك
منها خمسين ليُعلم القاضي أنه نحوي .

قدم رجلٌ على بعض الولاة ، فقال له : من أين
أقبلت ؟ قال : من أرض الله . قال : وأين تريد ؟ قال :
بيت الله . قال : ومِمَّن أنت لا أمّ لك ؟ قال : من
« نيم » الله . فأمر بوجعي عنقه . فقال : بسم الله .
فقال : اتركوا ابن الخبيثة . فاو ترك الرفع وقتاً تركه
الساعة .

قال أبو العيّن : دخل رجلٌ إلى عليل : فقال له :
لا إله إلا الله ، وإن شئت لا إله إلا الله ، والأولى أحبُّ
إلى سيّويه (١) . فقال أبو العليل : حرّمني الله أجّره إن
لم يكن مشهدك له أشدّ عليّ من موته .

(١) سيّويه : من الموالي ، واسمه أبو بشر عمرو بن عثمان ، نشأ
بالبصرة ، وتعلّم الفقه ، ثم طلب النحو حتى برع فيه وألف كتابه الذي
لم يسبق إليه ، وقد اشتهر هذا الكتاب حتى صار لفظ « الكتاب » طعناً عليه .
وقد توفي سيّويه سنة ١٨٣ هـ .

قال رجل "لآخر : تأمر" « بشيئا » ؟ قال : بشيئى الله ،
وإسقاط الألف .

قال حلف : قلت لأعرابي : أقمي عليك بيتاً ؟
قال : على نفسك فألقيه .

قال رجل من البجليين لأعرابي — وأراد مسأله
عن أهله — كيف « أهليك » ؟ .

قال بكسر اللام فقال الأعرابي : صلباً (١) . لأنه
أجابته على فهميه ، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله .
سُميل نحوي عن تصغير عبيد الله . فقال : ليس
في سجدتي السهو (٢) .

وذكر أن معاوية قال : كيف أبو زياد ؟ فقالوا :
ظريف على أنه يلحن .

فقال : أو ليس ذاك أطرب له ؟ أرادوا اللحن الذي
هو الخطأ . وذهب معاوية إلى اللحن الذي هو الفطنة .

(١) الصلب : قتلة معروفة ، وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه
على جذع .

(٢) يريد أن المصفر لا يصفر ، كما أن الساهي عن سجدة السهو
لا يسجد للسهو .

قالوا : كان سبب عَمَل أبي الأسود الذُّؤلي (١) النَّحْو وهو أول من وضعه ، وقيل إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام - جعل له ميثالاً فبنى عليه واحْتِذَاه - أن أبا الأسود سمع رجلاً يقرأ : « إن الله بريء من المشركين ورسوله (٢) » بالخفض . وسمع ابنته تقول : ما أطيب الرُّطَب ؟ وهي تُريد التَّعَجُّب ، وظنَّ أنها تريد الاستفهام ، فعسل شيئاً من النَّحْو ، وعرضه على أمير المؤمنين عليه السلام . فقال : ما أحسنَ هذا النَّحْو الذي أخذتَ فيه . فسُمِّي نَحْوًا .

مرَّ الشعبيُّ بناس من الموالي يتذاكرون النَّحْو ، فقال : لئنْ أصْلَحْتُمُوهُ لَنُكْرِمَنَّ لَأَوَّلُ من أفسده .

وروي أن الحجاج قرأ : إنا منَ « المجرمون (٣) » مُتَّقِمُونَ .

(١) أبو الأسود الدؤلي : هو : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يدر بن حلس ... وهو من وجوه النابغين وفقائهم ومحدثيهم . وهو الأصل في وضع علم النحو وعقد أصوله .

(٢) سورة التوبة : ٣ . وصحة اللفظ رفع رسوله بدلاً من الخفض وأول الآية : « وأذان من الله ورسوله ... » .

(٣) صحة الآية « إنا من المجرمين متقِمون » . سور السجدة : ٢٢ .

وكان محمد بن سليمان يقول في خطبته : إن
الله وملائكته (١) يرفع الملائكة . فقيل له في ذلك .
قال : فخرّجوها لها وجهها ، ولم يدع الرفع .

• • •

(١) صحة الآية : «إن الله وملائكته» بفتح التاء سورة الأحزاب : ٥٦

الباب الرابع عشر

نَوَادِرُ الْمُخَنَّثِينَ (١)

قال بعضهم : شهدتُ مجتاساً فيه قيمةٌ تغني ، فذهبتُ
تتكلفُ صبيحةً شديدةً فانقطعت . فصاحتُ من الخجل :
للصوص اللصوص . فقال لها مُخَنَّثٌ كان في المجلس :
والله يا زانيةُ ما سُرِقَ من أبيت شيءٌ غيرُ حلقك .

استوهب رجلٌ من مخنث في الحمام خيطمياً (٢) ،
فمنعته . فقال : سبحان الله ! تمنعني الخطمي وقصيرُ
منه بدرهم ؟ فقال المخنث : فاحسبُ حسابك أنت
على أربعة أقمرة بدرهم ، كم يصيبك بلا شيء ؟
قال المتوكل لعبادة : ما تقول في تطييل سَمانِ
المخنث ؟ قال : هو حسنٌ ، ولكنَّه مثلُ الهيضة (٣)
يأني بأكثر مما يحتاجُ إليه .

(١) المخنثون : هم الذين يشبهون بالنساء ، فيتكسرون في مشيتهم
ويطينون في أحاديثهم ، ويبالغون في رقتهم .
(٢) الخطمي - بفتح الخاء وكسر الجيم - ضرب من النكات يعمل به .
(٣) الهيضة : معاودة الهم والحزن ، والمرضة بعد المَرَضَة .

سمع آخرُ رجلاً يقولُ : دعنا أبي أربعة أنفسٍ ،
وأنفقنا عليهم أربعمئة دينار ، فقال : يا ابنَ البغيضةِ
لعنَّه ذبيحُ لحمٍ مُغْنِيَتَيْنِ ، وزامرةٌ ، وإلاً فأربعمئة
في « أيش » أنفقها ؟

قال شيخٌ لقرقر المخذث : أبو من أنت ؟ قال :
أم أحمد . فديتُك ! !

تاب مخذثٌ ، فلقبه مخذث آخرٌ ، فقال : يا أبا
فلان : أيش حالك ؟ قال : قد تُبت .

قال : غمن أين معاشُك ؟ قال : بقيتُ لي فضيلةٌ
من الكسب القديم فأنا أتمزُّزُ لها (١) .

قال : إذا كانت نفقةُك من ذلك الكسب فلهنمُ
الخنزير طريٌّ خيرٌ من قديد .

رأى عبادةً دابةً مُخَارِقٍ — وهي تُقرمط مشيهاً (٢) —
فقال : يامخارقُ برذونُك هذا يمشي على استحياء .

(١) أتمزُّز : يقال : مزه بمعنى مصه والتمزُّز : تمصص الشراب
فليلاً قليلاً .

(٢) دابة تقرمط مشيها : الترمطة : مقاربة الخطو ، ومعنى تقرمط
مشيها : تقارب في خطوها . وهذا كناية عن بطء سيرها .

قُدِّمَ إلى عُبَادَةٍ رَغِيفٌ يَابِسٌ ، فَقَالَ : هَذَا نُسِيجٌ
فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَابْكُنْ بِلَا طَرَاذٍ .

نَظَرَ مَخْنَثٌ إِلَى مَسْجِدٍ صَغِيرٍ لَطِيفٍ ، فَقَالَ لِآخِرٍ :
أَمَّا تَرِيدُ هَذَا الْمَسْجِدَ ؟ مَا أَمْلَحَتْهُ ، لَا يَصْلُحُ وَاللَّهِ إِلَّا
أَنْ يُحْمَلَ فِي السَّفَرِ .

نَظَرَ مَخْنَثٌ إِلَى رَجُلٍ مِّنْ وَلَدِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ
يَمْشِي وَهُوَ يَتَبَخَّثِرُ ، فَقَالَ : انْظُرُوا إِلَى مَشِيَّةِ مَنْ
خَدَعَ أَبَاهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ .

تَقْرَى (١) مَخْنَثٌ فَاتَى جَبَلَ (٢) لُكَّامَ عَلَى أَنْ
يَتَعَبَّدَ فِيهِ ، فَأَخَذَ زَادَهُ وَصَعِيدَهُ ، وَسَارَ عَلَى سَهْلٍ ،
فَنَفَذَ زَادَهُ وَجَلَسَ قَدْ أَعْيَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْجَبَلِ مَسَافَةٌ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى أَسْفَلٍ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَطَعَ
أَكْثَرَهُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْجَبَلِ وَقَالَ : وَاشْمَاتَنِي بِكَ فِي يَوْمٍ
أَرَاكَ كَالْعِيْهَنِ الْمَنْفُوشِ .

جَلَسَ قَوْمٌ فِي مَجْلَسٍ — وَمَعَهُمْ مَخْنَثٌ — وَقَالَ

(١) تَقْرَى : تَتَبَّعُ .

(٢) جَبَلُ لُكَّامٍ — بَضْمُ أَوَّلِهِ : جَبَلٌ بِالشَّامِ .

رجل منهم : « أنا أشتهي كشكيةً حامضةً ، وضرطاً .
فقال المخنث : قطع الله ظهر الكشكية : ما أسرع
ما تنفخ البطن !! »

لقي مخنث آخر ليودعه ، فقال : أحمدُ الله على
بعد سفرِكَ ، وانقطاعِ أثرِكَ ، وشِدَّةِ ضررِكَ .
فقال له : أنا أستودعك العَمَى . والضَّنَى ، وانقطاعَ
الرِّزْقِ من السَّما .

وقال مخنثٌ لآخر : أراني الله في وجهك السَّاطورَ ،
وفي عَيْنَيْكَ الكافورَ ، وفي شِقِّ استك النَّاسورَ (١) .

قال علانٌ شديقٌ - وكان قبيحاً جداً - مررتُ
بمخنثٍ يعزُلُ على حائِطٍ ، فقال لي : من أين أتيت ؟
قلتُ : من البَصْرَةِ . فقال : لا إله إلاَّ الله !! تغيّر
كُلُّ شيءٍ حتّى هذا !! كانت القُرودُ تُجلبُ من
اليَمَن . الآن تجيء من العِراق .

وحجَّ بمخنثٌ فرأى إنساناً قبيحاً يرُمِي بالجمار ،
فقال له المخنثُ : بأبي أنت . ليستُ أشيرُ عليك أنْ

(١) والناسور مرض معروف .

تعودُ إلى هذا المكان . قال : ولمَ ؟ أَلستُ مسلماً ؟
قال : بلى ، ولكنَّ لا أرى لك أن تبخل على أهل النار
بهذا الوجه .

نظرَ مُخَنَّثٌ إلى رجلٍ قصيرٍ على حِمَارٍ صَغيرٍ ،
فقال : هُما توأمان .

وقال بعضُ المخَنَّثين : كان لي أستاذٌ مخَنَّثٌ
يقالُ له زائدةٌ ، فمات . فرأيتُهُ في النَّومِ فقالتُ له : ما فعل
اللهُ ربُّكَ بك ؟ قال : أدخلني النار .

قلت : فَمَنْ تورُّك (١) فيها ؟

قال : هيهات !! انقلبتُ المسألةُ أنا « تورُّ » فيرعون .
ركبَ المتوكِّلُ يوماً زلَّالاً (٢) ومعه جماعةٌ ،
فعصفتِ الرياحُ ، وفزعَ الناسُ . فقال عبادة . يا أميرَ
المؤمنين . أما كُنْيزُ (٣) دُبَّةً فإنه لا يخافُ الغرقَ . فقال
المتوكِّلُ : وكيفَ ذاك ؟

(١) التور : من معانيه الرسول بين القوم .

(٢) الزلال : نوع من السفن .

(٣) كنيز : مغل مشهور في عصر المتوكِّل العباسي .

قال : لأنه يسبحُ على رَقٍّ . وكان كثيرُ مخنثاً آدَرَ (١)
 كان بعضُ ولدِ الفضلِ بنِ الربيعِ يتخنثُ ، فوكل
 به أبوه غلاماً يمنعُه مِن نَتْفِ لحيته ، فبات ليلة .
 فلما أصبح رآه منتوف اللحية ، فقال : أهلكُني - والله -
 أين لحيَتُك ؟ قال .. « (فطاف عليها طائفٌ مِن رَبِّكَ
 وهُم نائمون . فأصبحت كالصريم) » (٢) .

أدخل مخنثٌ على العُريَّانِ بنِ الهيثم - وهو أميرُ
 الكوفة - فقالوا : إنه يفعلُ ويصنعُ . فقال له العريَّانُ :
 يا عدوَّ الله . لمَ تفعلُ هذا ؟ قال : كذبوا عليَّ -
 أيها الأمير - كما كذبوا عليك . فغضب العريَّانُ ،
 واستوى جالساً ، وقال : وما قيلَ فيَّ ؟ قال : يُسمُّونك
 العُريَّانَ وعليك عِشرون قطعة ثياب . فضحك . وغلاد .

قال هيتُ (٣) المخنثُ لِعُمَرَ بنِ أمِّ سلمة : إن
 فتحَ الله عليكم الطَّائِفَ (٤) فسلُ رسولَ الله صلى

(١) وكان آدر : الأدر : من يصبه فتق في إحدى خصيه .

(٢) سورة القلم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) هيت المخنث : أحد المخنثين المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم

(٤) الطائف من نواحي مكة المكرمة ، وجوها جميل وبها بعض البساتين .

اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَهْبَ لَكَ بَادَنَةَ بِنْتَ غِيَالَانَ بْنِ سَلَمَةَ ،
فَلِأَنَّهُ كَحَمَلَاءُ ، سَمُوْعٌ ، نَجْلَاءُ ، خُمُصَانَةٌ ، هَيْفَاءُ (١)
إِنْ مَشَتْ تَشْتَتُ ، وَإِنْ جَلَسَتْ تَدْنَتْ ، وَإِنْ تَكَلَّمَتْ
تَغْنَّتْ ، تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ ، وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ ، فَمُخَذَّيْتُهَا كَالْإِنَاءِ
الْمُكْفَأِ .

فَرَوِي أَنَّ كَلَامَهُ بَلَغَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَمَنْعَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ .

* * *

(١) خُمُصَانَةٌ هَيْفَاءُ : ضَامِرَةُ الْبَطْنِ ، دَقِيقَةُ الْخَاصِرَةِ .

الباب الخامس عشر

نواديرُ جنحاً (١)

حكى الجاحظُ أنَّ اسمهُ نوحٌ ، وكُنيتُه أبو الغُصن ،
وأنه أُرِبي على المئة .

ثم أدرك أبتا جعفر ، ونزل الكوفة .

قبلَ بلحا : أتعلمتَ الحسابَ ؟ قال : نعم . فما
يُشكِّلُ عليَّ شيءٌ منه . قال له : اقسِّمُ أربعةَ دراهمَ
على ثلاثة . فقال : ارجلين درهمان ، درهمان ، وليس
لِلثالثِ شيءٌ .

وأراد المهديُّ أنْ يعيِّثَ به فِدَعاً بالنَّطعِ (٢) والسَّيفِ ،

(١) في كتب الأدب العربي شخصيتان عرفتا بالنوادير والملح . وكل
منهما يسمى جحا : الأولى جحا العربي والثانية جحا التركي ، وقد اختلف
مؤرخو الأدب العربي في إثبات شخصية جحا العربي نظراً لكثرة ما روي عنه
من نوادر تختلف في الزمان والمكان وفي الدلالة على ذكائه الخارق ، أو
على خياله المفرط ، أو على غفلته وحمقه .

(٢) النطع : بساط من الجلد .

فلما أقمع في النطح ، وقام السياف على رأسه وهز سيفه ، رفع إليه رأسه . فقال : انظر لا تُصيب محاجمي (١) بالسيف ، فإني قد احتجمت . فضحك المهدي وأجازه .

ومات لأبيه جارية "حبشية" : فبعث به إلى السوق يشتري لها كفتا ، فأبطأ عليه حتى أنفق غيره ، وحمل الكفن ، وحملت جنازتها ، فجاء جحا - وقد حُملت - فجعل يعدو في المقابر ، ويقول : رأيت جنازة جارية حبشية ، كفنها معي ؟

وجمعت به بغلة يوماً ، فأخذت به في غير الطريق الذي أرادته ، فلقى صديقاً له . فقال : أين عزمتم يا أبا الغصن ؟ فقال : في حاجة للبغلة .

ومرت به جنازة ، فقال : بارك الله لنا في الموت وفيما بعد الموت . فقيل : إنها جنازة نصّراني . فقال : إذن لا بارك الله لنا في الموت ، ولا فيما بعد الموت .

(١) المراد بها مكان الحجابة عند جحا .

وصلّى يقوم ، وفي كُثمّه جرّو كُلب ، فلما
ركع سقط الحرو ، وصاح ، وتنحنح الناس . فالتفت
إليهم ، وقال : إنّه سألوني (١) عافاكم الله .

وحمل جرة خضراء إلى السوق يبيعها . فقالوا :
هي مثقوبة . فقال : ليس تسيل ، فإنّه كان فيها قطن
لوالدي . فما سال منه شيء .

وأعطاه أبود درهما يزنه ، فطرحه في الكفة ،
وطرح في الكفة الأخرى سنجة درهمين ، وهو يعسبهما
سنجة درهم ، فلم يستويا ، فطرح سنجة الدرهم
على رأس الدرهم ، فكان أقل ، فطرح حبتين أيضاً ،
ثم قال لأبيه : لبس فيه شيء ، ويتقص حبتين .

ونظر يوماً إلى السماء ، فقال : ما أخلاقها بالمطر
لو « كان » متغيمة .

ورأوه يوماً في السوق يعدو فقالوا : ما شأنك ؟
قال : مرّت بكم جارية رجل مخضوب اللحية ؟
واجتاز يوماً بباب الجامع فقال : لمن هذا القصر ؟

(١) سلوقي : نوع من الكلاب غالي الثمن .

قالوا له : هذا مسجدُ الجامع . قال : رحيمَ اللهُ جامعاً .
ما أحسنَ ما بَنَى مسجدَه ؟ ؟

وذهبتُ أمُّه في عرسٍ ، وتركتهُ في البيتِ ، وقالتُ
له : احفظِ البابَ . فجلسَ إلى الظهر . فلما أبطأتُ عليه
قامَ ، فقلعَ البابَ ، وحمله على عاتيقه .

ومأتُ خالتيه ، فقالوا : اذهبِ ، واشترِ لها
حنوطاً (١) . فقال : أخشى ألاَّ ألحقَ الجنازةَ .

وتبخَّرَ يوماً فأحرقْتُ ثيابه . فقال : واللهِ لا تبخُرُ
أبدًا إلاَّ عُرْيَانًا .

• • •

(١) الحنوط - كعبور : كل طيب يخلط للبيت .

الباب السادس عشر

نَوَادِرُ أَشْعَبٍ (١)

كان يقول : كلني كلبُ سوء ، يبصيصُ للآضياف
وينبحُ أصحابُ الهدايا .

وأشعبُ هذا هو الموصوف بالطمع . وقيل له : ما بلغ
مِنْ طَمَعِكَ ؟ قال : لم تُقْلُ هذا إلّا وفي نفسك خيرٌ
تصنعه لي .

ومِنْ عجيب أخباره أنه لم يمت شريفٌ قط من أهل
المدينة إلّا استعدى (٢) أشعبُ على وصيته ، أو وارثه ،
وقال له : احلف أنه لم يُوصِر لي بشيء قبل موته .
وقيل له : لقد أقيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله

(١) أشعب : هو أشعب بن جبير . ولد سنة تسع للهجرة ومات في
أيام المهدي ، وكان أطيب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم نادرة ، وكان
أقوم أهل دهره لحجج المعتزلة ، وكان من القراء حملي الصوت ، وكان
قد نُسك وغزا وروى الحديث عن عبد الله بن جعفر .

(٢) استعدى : استعان ، واستنصر .

عليه وسلم ، فلو حفظت أحاديث تتحدث بها؟؟ قال : أنا أعلمُ الناسَ بالحديث . قيل : فحدثنا . قال : حدثني عكرمةُ (١) عن ابن عباس ، قال : خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلاّ دخل الجنة . ثم سكت . قيل له : هات ، ما الخلتان ؟ قال : نسي عكرمةُ إحداهما ، ونسيتُ أنا الأخرى .

قال بعضهم : قلت له : لو تحدثتَ عِنْدِي العَشِيَّةَ ! ! فقال : أخافُ أن يخيءَ إنسانٌ ثقيلٌ : قلتُ : ليس معنا ثالثٌ . فمضى معي . فلما صليتُ دعوتُ بالعشاء ، فلم يلبثُ أن جاء صديقٌ يَدُقُّ البابَ ، فقل أشعَبُ : ترى قد صرنا إلى ما نكره ؟ قال : قلتُ له : عِنْدِي فيه عشرُ خصال لا يُكرهُ منها خَصْلَةٌ ، فإن كرهتَ واحدةً لم آذنْ له . قال . هات . قلتُ : أولاًهُنَّ أنه لا يأكلُ . فقال التسعُ الباقيةُ لك . أدخِله .

وكان أشعَبُ لا يُغيبُ (٢) طعامَ سالمِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ (٣) فاشتبهى سالمٌ أنْ يأكلَ مع بناتِهِ . فخرجَ إلى

(١) هو عكرمة بن عمار اليمامي روى الحديث عن طلوس وجماعة .

(٢) لا يغيب : أغب القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً .

(٣) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان معاصراً لعمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه .

بُستان له ، فجاء أشعب فـخُبرَ بالقصة ، فاكتـرى جملاً^١
 بدرهم . فلما حاذى حائطَ البستان . وثبَ ، فصار عليه
 فغطى سـالمُ بناتِه بثوبه . وقال : بناتي بناتي . فقال أشعبُ :
 إنك لتعلم « ما لنا في بناتك من حقٍ وإِنَّك لتعلم
 ما نريد » (١) .

قيل : بغتُ أمُ أشعب ، فضربتُ ، وحلبقتُ ،
 وحملت على بعير يُطاف بها ، وهي تقول : من رآني
 فلا يزني . فأشرفتُ عليها ظريفةٌ من أهل المدينة . فقالت
 لها : إنك لمطاعةٌ ! ! هانا اللهُ عنه ، فما ندعه ، وندعه
 لقولك ؟ ؟

كان زياد بنُ عبدِ الله الحارثي عالى شرطة المدينة ،
 وكان مبخلاً على الطعام فدعا أشعبَ في شهر رمضان
 ليفطر عنده ، فقدمتُ إليه في أول ليلة بصائية معقودة^٢ ،
 وكانت تُعجبه ، فجعل أشعبُ يجمعُ فيها - وزيادُ
 يامحه - فلما فرغوا من الأكل قال زيادُ : ما أظنُّ

(١) مقتبس من الآية « وقالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك
 لتعلم ما نريد » سورة هود : ٧٩ .

أن لأهل السجن إماماً يصلي بهم في هذا الشهر فليُصلِّ بهم أشعْبُ . فقال أشعْبُ : لو غير ذلك - أصلحك الله - ؟ قال : وما ذو ؟ قال : أحليفُ أبي لا أفوقُ بصائتَه أبداً . فمخجلَ زيادُ ، وتغافل عنه .

قال أشعْبُ : جاءني جاريةٌ بدينار ، وقالت هذه وديعةٌ عندك . فجعلته بين ثني الفراش . فجاءت بعد أيام فقالت : بأبي . الدينار . فقالت : ارفعي الفراش . وخذي ولدَه . وكنتُ تركتُ إلى جنبه درهماً . فتركتُ الدينارَ ، وأخذتُ الدرهم وعادتُ بعد أيام فوجدتُ معه درهماً آخرَ ، فأخذته .

وعادت في الثالثة كذلك . فلما رأيتها في الرابعة بكيتُ . فقالت : ما يبكيك ؟ قالتُ ماتَ دينارُك في النفَّاس . قالت : وكيف يكون للدينار نفَّاسٌ ؟ ؟ ؟ قالتُ : يا فاسقةُ تُصدِّقين بالولادة ، ولا تصانقين بالنفَّاس ! ! !

سأل سالم بن عبد الله بن عمر أشعْبَ عن طمعيه ، فقال : قالتُ لصبيان مرَّةً : اذهبوا . هلنا سالم قد فتح

بيتَ صدقةَ عمرَ حتّى يُطعمكم تمراً . فلمّا احتبسوا
ظننتُ أنه كذا قلتُ لهم فغلبتُ في أثرهم .
وقيل له : ما بلغ من طعمك ؟ قال : أرى دُخانَ
جاري فتأثردُ (١) .

وقيل له أيضاً : ما بلغ من طعمك ؟ قال : لم أر
اثنين قطّ يتسارّان إلّا ظننتُ أنهما يأمران لي بشيء .
وقيل أيضاً : ما بلغ من طعمك ؟ قال : ما رأيتُ
عروساً بالمدينة تُزفُّ إلّا كنتُ بيتي ، ورششته طمعاً
في أن تُزفَّ إليّ .

ووقف على رجل خيْزُراني - وكان يعمل طبّاقاً -
فقال له : وسّعته قليلاً . قال الخيْزُراني : وما تُريد
بذلك ؟ كأنّك تُريد أن تُشتريه ؟ قال : لا ، ولكنّ
يشتريه بعضُ الأشرافِ ، فسيُهدي إليّ فيه شيئاً .

(١) أثرد : ثرد الخبز فته .

الباب السابع عشر

نَوَادِرُ السُّؤَالِ

قال بعضهم : رأيتُ سائلاً ببغدادَ في الزينتين - وهم أنصَبُ (١) من في الأرض - يسأل ، ويقول : تصدَّقوا عليَّ حبباً وكرامةً لأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب . وليس يلتفتُ إليه أحد ، ولا يُعطيه شيئاً . فلنفعتُ إليه درهماً ، وقلتُ في نفسي : إن هذا المسكين لا يعرف هؤلاء ، وبُغضتهم لعلِّي - عليه السلام - فأخذ الدرهم مني ، وقال : يا صاحبَ الصدقة ، إن كنتَ تصدَّقْتَ بها عليَّ وفي قلبك بُغضٌ لأبي بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وفلانٍ ، وفلانٍ ومعاويةَ خال المؤمنين رديف المصطفى ، وكاتب الوحي فقطع اللهُ يديكَ ورجليكَ وأعمى عَيْنَيْكَ .

قال : فأخذتهُ الدراهمُ مِن كلِّ جانبٍ ، وبقيتُ أنا متحيراً . ثم مضى فلمحظته . فَعَلِمَ ما في قلبي . فقال

(١) نصب : احتال.

يَا فَتَى . عَلَى رَسُولِكَ ۱۱ عِنْدَكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَرَانِيَّةَ (١)
لَا يَصَدَّقُونَ عَلَيَّ إِلَّا بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ .

جاء سائلٌ إلى قوم فسألهم ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ ، وَأَلْحَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا . فَأَلَحَّ ، فَخَرَجَ لِرَأْيِهِ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : عَنَّاكَ اللَّهُ . أَمَّا سَمِعْتَ الرَّدَّ ؟ قَالَ : وَلَكِنَّكُمْ غَمَمْتُسُونِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَغَمَّتْكُمْ يَا قَرَانِيَّةُ .

أَعْطَيْتِ سَائِلٌ كَسْرَةً صَغِيرَةً . فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَمَّهَا لُقْمَةً .

قَالَ بَعْضُهُمْ : رَأَيْتُ يَبْغِضَادَ مَكْفُوفًا يَقُولُ : مَنْ أَعْطَانِي حَبَّةً سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخَوْضِ عَلَى يَدِ مَعَاوِيَةَ . فَتَبِعْتَهُ حَتَّى خَلَّاهُ بِهِ ، وَاطْمَئَنَّنُهُ ، وَقُلْتُ : يَا كَذَا (٢) ، عَزَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْخَوْضِ . فَقَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَسْقِيَهُمْ بِحَبَّةٍ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ لَا ، وَلَا كَرَامَةً .

(١) القرانئة : المفرد قرنان : الديوث المشارك في قرينته .

(٢) يا كذا : كناية عن مناداته بلفظ قبيح ..

سأل أبو فرعون رجلاً ، فمنعه . فألحَّ عليه فأعطاه
فقال : اللهم اخزننا وإيتناهم . نسألهم الخافاً ، ويعطوننا
كرهاً ، فلا يُبَارِكُ اللهُ لنا فيها ، ولا يأجرهم عليها .
وقف سائل على باب ، فقال : يا أهل الدار . فبادر
صاحب الدار قبل أن يتمَّ السائل كلامه ، وقال : صنعَ
اللهُ لك . فقال السائل : يا بنَ البظراء كنتَ تصبرُ حتى
تسمعَ كلامي عسى جئتُ أدعوك إلى دعوة .
وقف أعرابي سائل على باب ، وسأل . فأجابه رجل :
ليس ها هنا أحد . قال : إنَّك لأحدٌ أو جعلَ اللهُ فيك
بركة .

قال الجهمَّازُ (١) : سمعتُ سائلاً يقول : مَنْ يعطيني
حُبّاً لأُميين : جبريل ومعاوية ؟
وكان آخر يقول مَنْ يعطيني قطعةً حُبّاً لهذا (٢)
حملة النبي .

(١) الجهمَّاز : هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد عطاء بن ياسر
وكان من أحلى الناس حكاية وأكثرهم نادرة .
(٢) هي هند أم معاوية ، وزوج أبي سفيان وقد تزوج الرسول -
عليه السلام - ابنتها أم حبيبة .

ووقف سائلٌ بباب (المافروخي) حاملٍ الآهواز ،
وسأل فأعطوه لقمةً من خُبز ، فسكتَ ساعةً ، ولم
يبرح . ثم صاح ، وقال : هذا الدواءُ لأي شيءٍ
ينفعُ عيني ؟ وكيف آخذُه ؟

وقف سائلٌ على باب قوم فقال : تصدَّقوا عليَّ فإنني
جائع . قالوا : لم نخبزُ بعدُ . قال : فكفَّ سؤيقُ ؟
قالوا : ما اشترينا بعدُ . قال : فشرِبةَ ماءٍ فإنني عطشانُ .
قالوا : ما أتانا السقاء بعدُ . قال : فيسيرَ دهنٍ أضعه على
رأسي . قالوا : ومن أين لنا الدهنُ ؟ فقال : يا أولادَ
الزُّنى ، فما تعودُكم ها هنا ؟ قوموا وسلُّوا معي .

وقف سائلٌ على باب دارٍ فقال : تصدَّقوا عليَّ .
فقالوا جاريةٌ من الدار : ما عندنا شيءٌ نعطيك ،
وسيتي في المأتم . فقال السائلُ : أيُّ مأتمٍ أعظمُ من
مأتمِّكم إذا لم يكن عندكم شيءٌ ؟ ؟

وقف آخرٌ بباب فقال : أوسعُوا عليَّ ما رزقكم
اللهُ فإنني في ضيقٍ . فقال صاحبُ الدار : إن كنتَ
في الدهليزِ في ضيقٍ فادخلِ الدارَ فإنَّه أوسعُ لك فقال
السائلُ : إنَّما قلتُ : تأمر لي بشيءٍ . قال : قد أمرتك
أنْ تشتريَ لابني قلنسوةً .



الباب الثامن عشر

ثَوَادِرُ الْمُعَلِّمِينَ

قال بعضهم : مررتُ ببعضِ سِكَكِ البصرةِ وإذا
معالمٌ قد ضربَ صبيشاً ، وأقام الصبيانَ صبيشاً ، وهو
يقولُ لهم : اقرؤوا . ثم جاء إلى صبيٍّ بجانب الصبيِّ الذي
ضربه ، فقال : قتل لهذا يقرأ ، فلنيّ لستُ أكلّمه .

قال أبو عثمان : كان ابنُ شُبرمة لا يقبلُ شهادةَ
المعلم ، وربّما قبل شهادةَ المؤدّب .

وكان يحيى بنُ أكرمٍ أسوأ رأياً فيهم .

وكان السنائي بنُ شاهك لا يستحلفُ المكاري (١) ،
ولا الحائك ، ولا الملاح ، ويجعلُ القولَ قولَ المدّعي
ويقولُ : اللهم إني أستخيرُكَ في الحَمَّالِ ومعلمِ
الكتّاب .

(١) المكاري : الذي يؤجر الناس الدواب يقال كراه مكارة ،
وكراه : استأجره .

وصفت بعضهم معلماً فقال : هو أفره الناس وصيفاً (١) ، وأكثر هم رغيماً .

قال بعضهم : مررت بمعلم وإذا صبيانهُ يلعبون ويقتتلون ؛ فقلت للمعلم : ما بال صبيانك ليسوا يفرقون منك ؟ قال : وأنا أيضاً لست أفرق منهم .

قال : وقال غلامٌ لأبيه : لا أريد هذا المعلم . فقال له أبوه : ما له ؟ قال : يصنع بي أمراً عظيماً . قال : يستخدمك ؟ قال : أشد من ذلك . قال : فيضربك ؟ قال : أشد من ذاك . قال : فيعفجك (٢) ؟ قال : أشد من ذاك . قال : فأني شيء ويملك يفعل بك ؟ قال : يأكل غدائي .

قال : كان معلمٌ يُقيمُ الصبيانَ صفتين ، ويتكلمُ صبيين بيديه ، ويقولُ : أربعة وأربعة : ستة . فقلت له : إذا كانَ أربعة وأربعة ستة ، فكم يكون ثلاثة وثلاثة ؟ قال : صدقت . لم آخذ جذره .

(١) هو أفره الناس وصيفاً : أحذقهم خادماً .

(٢) يعفج : يلوط .

وكان لأبي دواد المعلم ابنٌ ، فمرض ، فلما نزع
قال : اغسلوه . قالوا . لم يمت بعد . قال : إلى أن
يُفرَّغ من غَسَله ما (١) قد مات .

وقال شريكهُ : تعلم الصبيان عليك قميصٌ
جديدٌ فيسودونه عليك ؟ قال : قد اشتريتُ قطناً ، وقلت
لأهلي : يغزلون قميصاً خلتاً (٢) .

قال : مروتُ يوماً بمعلم — والصبيانُ يحذفون
عينه بالقصب — وهو ساكتٌ فقلت : ويحك !!
أرى منك عجباً . فقال : وما هو ؟ قلتُ : أراك
جالساً والصبيانُ يتحذفون عينك بالقصب !! فقال :
اسكت : ودعهم . فما فرحي والله إلا أن يُصيبَ
عيني شيءٌ ، فأريك كيف أنثيفُ لِحَى آبائهم .

كان بمحص معلّم يُكنى أبا جعفر يتعاطى علمَ
الحساب ، فصارت إليه يوماً امرأةٌ ، فقالت : يا أبا جعفر :

(١) (ما) هنا لا معنى لها ولعلها زائدة والمراد : إلى أن يتم غسله
يكون قد مات .

(٢) خلقاً : باياً .

قَفِيرٌ دَقِيقٌ بِشَدَائِيَةِ دِرَاهِمٍ كَمْ يُصَيِّبُنِي بِأَرْبَعَةِ دِرَاهِمٍ ؟
 فَقَالَ لَهَا ، بَعْدَ أَنْ فَكَّرَ : فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ :
 أَحَدُهُمَا أَنْ تُعْطِيَ الرَّجُلَ أَرْبَعَةَ أُخْرَى ، وَتَأْخُذِي
 قَفِيرًا ، وَالْآخَرُ : لَكَ قَفِيرٌ إِلَّا بِأَرْبَعَةِ دِرَاهِمٍ . وَالثَّالِثُ :
 تَدْفَعِينَ دِرْهَمَ دِرْهَمٍ ، وَتَأْخُذِينَ مَكْشُوكَ (١) مَكْشُوكَ
 حَتَّى تَسْتَوْفِينَ (٢) .

وَصَارَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ « رُوزِ جَارَتَيْنِ (٣) » قَدْ أَخْلَوْا
 أَجْرَتَهُم دِرْهَمَيْنِ فَقَالُوا : يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، كَيْفَ نَقْتَسِمُ
 الدَّرْهَمَيْنِ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ ؟ قَالَ : أَسْقِطُوا مِنْكُمْ وَاحِدًا ،
 وَخُذُوا دِرْهَمًا دِرْهَمًا . قَالُوا : سُبْحَانَ اللَّهِ !! كَيْفَ
 نُسْقِطُ أَحَدَنَا وَقَدْ عَمِلَ ؟ قَالَ : فَزِيدُوا وَاحِدًا
 وَخُذُوا نِصْفَ نِصْفٍ . قَالُوا : كَيْفَ نَزِيدُ فِينَا مَنْ لَمْ
 يَعْمَلْ وَيَأْخُذْ كِرَانًا ؟ قَالَ : فَخُذُوا نِصْفًا نِصْفًا وَاشْتَرُوا
 بِالْبَائِي تَمْرًا ، وَكُلُّوهُ .

(١) المَكْشُوكُ — كَتَنُور — : مَكْيَالٌ يَسَعُ صَاعًا وَنِصْفَ صَاعٍ .

(٢) فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِنَ الْخَطَأِ النَّحْوِيِّ مَا هُوَ ظَاهِرٌ وَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ

عِبَارَةُ الْعِلْمِ وَعِبَارَةُ السَّائِلِ

(٣) لَفْظٌ فَارْسِيٌّ . وَاعْلَمْ عِلْمٌ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْعَمَالِ

وسأله امرأة ، فقالت : أربعة أرطال تمر بلسهم ،
كم يُصِيبُنِي بدائق ونصف ؟ فتكَّر ساعةً طويلةً ،
وأدخلَ يديه تحت ذَبايه ، وجعلَ يحسِبُ بهذا ثم
أخرجَ يديه وقد جمعهما ، وقال : كتلةٌ مثلُ هذه
كبيرةٌ .

قال بعضهم مررتُ بمعلم وهو جالسٌ وحده ، وليس
عنده من الصبيان أحدٌ ، فقلتُ له : يا معلِّمُ ، ما فعل
صبيانك ؟ فقال : خلف الدُّور يتصافعون . فقلتُ :
أريد أن أنظرَ إليهم . فقال : إن كان ولا بُدَّ فخطَّ رأسك ،
لا يحسبونك أنا فيصفعوك .

قال : ورأيت معلِّماً وقد جاء غلامان قد تعاقى
أحدهما بالآخر ، وقال : يا معلِّمُ ، هذا عضُّ أذني .
فقال الآخرُ : واللَّهِ ما عضَّضْتُها ، وإنَّما هو عضُّ
أذن نفسيهِ . فقال له المعلم : يا بنَ الحبيثةِ . صار
جَمَلاً حتى يعضُّ أذنَ نفسيهِ ؟

وقال : رأيتُ معلِّماً بالكوفةِ — وهو شيخٌ مخضوبُ
الرأسِ واللَّحيةِ — وهو يجلسُ يبكي فوقفتُ عليه ،

وقلتُ : يا عمّ : مِمَّ تبكي ؟ فقال : سرقَ الصبيانُ
خُبْزِي .

قال : وسمعتُ معلّمًا وهو يقرئُ صبيًّا « (ر وما
أمرُنا إلا واحدةٌ كَلِمَحٍ بِالْبَصْرِ) » (١) والصبيُّ يقولُ :
كأحمم بِالْبَصْلِ فقال له : يا فاعِلُ ، أحسبُكَ تشتهي
بصليّةً .

قال : وقرأ صبيٌّ على معلّمٍ « (الذين يقولون لا تُنفقُوا
على مَنْ عند رَسُولِ اللَّهِ) » (٢) فقال المعلمُ : من عند
أبيك القَرْنَانِ (٣) أولى ؛ فإنه كثيرُ المالِ يا بنَ الفاعلةِ ،
هو ذا ٩٢ تُلتزمُ النبيُّ نفقةً لا تجِبُ عليه . أعجبتُ
كثرةَ ماله ٩٢

قال : ورأيتُ معلّمًا وقد جاء صبيٌّ ، فصفّعه صفقةً
محكمةً . فقال له المعلمُ : أيهما أصْلَبُ : هذه أم
التي صفّعتُك أمْسِرُ ؟

(١) سورة القمر : ٥٠ .

(٢) سورة (المنافقون) ٧ وأولها « هم الذين يقولون » .

(٣) القرنان : الديوث المشرِك في قريته .

قال : وكان بالمدينة معلمٌ يَنْضَرُطُ في ضَرْبِ الصبيان ،
ويشتمهم . فلاموه على ذلك ، فسألني أنْ أَقْعِدَ عنده ،
وأشاهدَ حاله معهم ، فقعدتُ عنده ، فإذا بصبيٍّ يقول :
يا معلمُ : « (وإنَّ عليك اللعنةَ إلى يومِ الدينِ) » (١)
فقال : عليك وعلى أبويك .

وجاء آخرُ ، فقال : يا معلم : « (فاخرجْ منها فانك
رجيمٌ) » (٢) قال : ذاكَ أبوك الكَشْحَانُ (٣) .

وجاء آخر ، فقال : يا معلم : « (إني أريد أن
أُنْكِحَكَ) » (٤) قال : انكح أمَّك الفاعلة .

وقال آخرُ : يا مُعَلِّمُ : « (ما لنا في بَنَاتِكَ من
حقٍّ) » (٥) قال : لا ، ولا كرامةَ . فلا يزالُ معهم في
مثل هذا وهو يَنْضَرُبُهُمْ ، وَيُزْنِيهِمْ (٦) .

(١) سورة الحجر : ٣٥ .

(٢) سورة الحجر : ٣٤ وأولها : « قال ... »

(٣) الرجل الكَشْحَانُ : الديوث .

(٤) سورة القصص : ٢٧ . وقرأها أنكحك بفتح الهمزة .

(٥) سورة هود : ٧٩ وأولها « قالوا لقد علمت » .

(٦) يزنيهم : يقذفهم بالزنا .

قال : ومرت بمعلم وقد جاء صبي صغير ، فصفعه .
فقلت له : لِمَ تَدَعُ هذا الصبي يَجْتَرِيْ عَلَيْكَ ؟ فقال :
دَعُهُ فَلَئِنْ أَشْكُوهُ غدا إِلَى أَبِيهِ .

واستفتح غلامٌ ، فقال : يا معلم «(إن أبي يدعوك)» (١)
فقال : هَاتُمُ (٢) نَعْلَيْيَ . فقال الغلامُ : إنما استفتحتُ .
فقال : قد أنكرت أن يُفْلِحَ أبوك .

قال معلم الغلام : قُلْ «(قد أفلح من زكّاها .
وقد نحّاب من دسّاها)» (٣) . فقال : وقد داس من
نحّباها . فلم يزل يكرّر ذلك عليه إلى أن أعيته العيلةُ .
فقال المعلم : وقد داس من نحّباها . فقال الغلامُ «(وقد
نحّاب من دسّاها)» . فقال المعلم لأبيه : وقد قلتُ لك
إنه لا يُفْلِحَ .

• • •

(١) سورة القصص : ٢٥ .

(٢) الصحيح نحوا : هاتوا .

(٣) سورة الشمس : ٩ ، ١٠ .

الباب التاسع عشر

نواذرُ الصُّبيانِ

قال رجلٌ لابنه : ما أراك تُفْلَحُ أبداً . فقال الابنُ :
إلاَّ أنْ يرزقني اللهُ مؤدَّباً غيرَكَ .

قال بعضهم : أحضرتُ لتعليمِ المعتزِّ - وهو صغيرٌ -
فقات له : بأيِّ شيءٍ تبدأ اليوم ؟ فقال : بالانصرافِ .

قال بعضهم : رأيتُ أعرابياً يعاتبُ ابناً له صغيراً ،
ويذكرُ حقَّه عليه . فقال الصبي : يا أبتَه إنَّ عَظِيمَ حَقِّكَ
عليَّ لا يُبْطَلُ صغيرَ حَقِّي عليك ، والذي تَمَّتْ به
إليَّ أمتٌ باللهِ إليك ، ولست أقولُ : إنا سواهُ ، ولكن
لا يَحْمِلُ الاعتناء .

عرباءُ (١) غلامٍ على قومٍ ، فأرادَ عمُّهُ أنْ يعاقبَهُ ،
ويؤدِّبَهُ ، فقال له : يا عمُّ : إني قد أسأتُ ، وليسَ
معي عقلِي ، فلا تُسَيِّءْ بي ومعَكَ عقلُكَ .

(١) المربدة : سوء الخلق .

ونظر دَمِيمٌ يوماً في المِرْآةَ ، وكان دَمِيحاً ، فقال :
الحمدُ لله ، خلقتني فأحسن خالقتي وصورني فأحسن
صورتي ، وابنٌ له صغيرٌ ، يسمع كلامه . فلما خرج
سأله رجلٌ — كان بالباب — عن أبيه فقال : هو
بالبيتِ يكذبُ على الله .

كان الفتحُ بنُ خاقان — وهو صهي — بين يدي
المعتصم (١) ، فقال له ، وعرضَ عليه خاتَمَهُ : هل
رأيتَ — يا فتحُ — أحسنَ من هذا الفَنَصِ ؟ قال :
نعم : يا أميرَ المؤمنين اليدُ التي هو فيها أحسنُ منه .

وعاد المعتصمُ أباه — والفتحُ صغيرٌ — فقال له : داري
أحسنُ أم دارُ أبيك ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، دارُ أبي
مادُمتَ فيه (٢) .

(١) المعتصم العباسي : هو ثامن خلفاء العباسيين ببغداد ، ويدعى أبا
إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي وقد حارب الروم وانتصر عليهم ،
وفتح سورية سنة ٨٢٢٣ وفي هذا الفتح نظم أبو تمام قصيدته المشهورة . وقد
توفي سنة ٨٢٢٧ .

(٢) أي في الدار ، والدار مؤنثة وقد تذكر .

قال ابنُ أبي ليلى : رأيتُ بالمدينة صبيًّا قد خرجَ من دارٍ ، ويديه عُودٌ مكشوفٌ ، فقلتُ له : غَطِّهْ لا ذُعِرْتَ . قال : أَوْ يَغْطِيَنِي مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ ؟ لا تَلِفْتُ .

قال البلاذري : أدخِلَ الركاضُ وهو ابنُ أربع سنين إلى الرشيد ليُعجِبَ من فطنته ، فقال له : ما تحبُّ أنْ أُهَبَّ لك ؟ قال : جميلَ رأيك فلاني أفوزُ به في الدنيا ، والآخرة ؛ فأمر له بدنانيرَ ودراهمَ فصُبَّتْ بين يديه . فقال : اختر الأَحَبَّ إليك . قال : الأَحَبُّ إلى أمير المؤمنين ، وهذا مِنُ هذين ، وضربَ يده إلى الدنانير فضحك الرشيدُ ، وأمر أن يُضَمَّ إلى ولده ، ويُجَرَّى (١) عليه .

اجتازَ عمرُ بنُ الخطاب - رضي الله عنه - بصبيان يلعبون ، وفيهم عبدُ الله ابنُ الزبير فتهاربوا إلى عبد الله

(١) يجري عليه : أي يترك له جراءة : أي راقب .

فلما وقف . فقال له عمرُ : لِمَ لمْ تَقِرَّ مع أصحابك ؟
قال : لمْ يَكُنْ لي جُرْمٌ فَأَقِرَّ مِنْكَ ، ولا كان الطريقُ
ضيقاً فأوسَّعَهُ عليك .

• — •

الباب العشرون

نواذرُ للعبيدِ والمَماليكِ

ولى بعض الأمراء مولىً بعد غيبة طويلة فقال :
أنت في الأحياء بعد . فقال : وأنا أستخير أن أموت قبل
مولاي الأمير .

قال الدارمي (١) لغلامه : بأبي أنت وأمي لو كان
العتيقُ مثلَ الطلاقِ لستَ رنثاً بواحداً (٢) .

اعترض بعضهم غلاماً أرادَ شراءَه فقال يا غلام :
لِمَ اشتريتك تُفاح ؟ فقال : فإن لم تشترني .

قال أبو العيناء : اشترى للوائق (٣) عبداً فصيحاً
من البادية ، فأتيناه وجعانا نكتبُ عنه كلَّ ما يقولُ ،
فلما رأى ذلك مينا قائب طرفه وقال : « إنَّ تُرابَ
قعرِها ملتهب » .

(١) هو مستكين الدارمي الشاعر .

(٢) يقصد أن العتق لا يتجزأ ولا ينفذ على مرات كالطلاق .

(٣) اللوائق : هو أحد خلفاء الدولة العباسية .

يقال ذلك للرجل يُسَرُّ الناسُ برؤيته لا انتفاعهم به
وأصل ذلك : أن الحافر يحفر فإن خرج التراب مُراً
علم أن الماء ملح وإن كان طيباً علم أن الماء عذب
فأنبَطَ (١) وإذا خرج طيباً انتهبه الصبيان .

اشترى بعض الهاشميين غلاماً فصيحاً فبلغ الرشيد
خبره ، فأرسل إليه يطلبه . فقال يا أمير المؤمنين : لم
أشتره إلا لك ، فلمّا وقف الغلام بين يدي الرشيد قال
له : إن مولاك قد وهبك لي . فقال الغلام : يا أمير
المؤمنين ما زلت ولا زلت .

قال : فسّر . فقال : ما زلت لك وأنا في ملكك
ولا زلت عن ملكك ، فأعجب الرشيد به وقدّمه .

قال أبو العيّن : مررت بسوق النخاسين (٢) بالبصرة ،
فإذا غلامٌ ينادى عليه ثلاثين ديناراً والغلامُ يساوي
خمسمائة دينار ، فاشتريته وكنت أبني داراً فدفعت إليه
عشرين ديناراً على أن يُنفقها ، فلم أزل أصك عليه

(١) نبط الماء : نبع ، والمراد هنا : استنبت الماء وأخرجه .

(٢) النخاسة : تجارة الرقيق .

حتى أنفقَ نحوَ العشرة . ثم صككتُ بشيءٍ آخر . فقال لي : فأين أصلُ المال ؟ قلت : ارفعُ ليَّ حسابك ، فرفعَ حساباً بعشرة دنانير . فقلت : فأين الباقي ؟

قال : اشتريت ثوباً مُصمّماً (١) وقطعته . قلت : من أمرك بهذا ؟

قال : إنَّ أهلَ المِرْوَآت والأَقْدَارِ لا يعيرون على غلمانهم إِذَا فعلوا فعلاً يعودُ زينةً عليهم . قال : فقلتُ في نفسي : اشتريتُ الأَصمعيَّ وابنَ الأَعْرَابِيِّ ولم أدرِ . وكانت في نفسي امرأةٌ أردتُ تزوّجها فقلتُ يا غلامُ فيك خيرٌ . قال : وهل الخَيْرُ إِلَّا فيَّ . فقلتُ له : قد عزمْتُ على كذا . وتزوّجتها ودفعْتُ إلى الغلام ديناراً وقلتُ له : خذْ لنا سمكاً هازباً (٢) ، فأبطأ واشترى مارماهي (٣) فأنكرت عليه خلّافي . فقال يا مولاي : فكثرتُ فإذا بُقْراطُ (٣) يقول : الهازبُ يُولّدُ السّوداءَ والمارماهي

(١) الثوب المصمت : الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(٢) والهازبي : الثعالب .

(٣) السمك المارماهي : المعروف بالقرموط .

أَقُلُّ غَائِلَةٌ . قلت : لا الذي بُقراط أنت أم جالينوس (١)
وأدخلته البيت وضربته عشرة ، فلما قام أخذني وضربني
سبعة وقال يا مولاي : الأَدبُ ثلاثة وسبعة لها قِصاص ،
فغاضني ورميته فشججته (٢) ، فمضى إلى ابنة عمي وقال
لها : « الدينُ النصيحة » وقال النبيُّ صلَّى الله عليه :
« من غشنا فليس منا » . وقال : « مولى القوم منهم » :
وأعلمك أن مولاي تزوج واستنكثمني ، فلما
أعلمته أني مُعرفك ما فعل شجني ، فوجهت إليَّ
بنت عمي بغليمان ، فبَطِحتُ في الدار وضربتُ
وسمته النايح ، فما كان يتهيأ لي كلامه . فقلت : اعتقه ،
فلعله يمضي عني ، فلزمني ولدٌ لي وقال : الآن وجبَ
حقُّك عليَّ ، ثم إنَّه أرادَ الحجَّ ، فجهَّزته ، فغاب عني
عشرين يوماً ورجعَ فقلت : لم رجعتَ ؟ فقال : قُطِعَ
علينا وفكَّرتُ ، فإذا الله جل وعز يقول :

(١) بقراط وجالينوس : من أكابر الأطباء .

(٢) شجني : جرحني في رأسي .

«(وَلَقَدْ عَلِيَ النَّاسَ حُجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)» (١) .

وكنتُ غير مُستطيعٍ وإذا حقَّك أوجبُ عليّ
فرَجَعْتُ ثم إنَّه أراد الغزو فجهَّزْتُه ، فلما صار
على عشرةٍ فتراسخَ بعثُ ما كان لي بالبصرة وخرجت
عنها خوفاً أن يرجعَ وصرتُ إلى بغداد .

قال بعضهم : استعرضتُ غلاماً فقلت له : يا غلام
تحبُّ أن أشتريكَ . فقال : حتى أسألَ عنكَ .
أعتق عبدُ الله بنُ جعفر (٢) غلاماً ، فقال الغلامُ :
اكتبْ كما أُملي .

قال : فأملِ . قال : اكتبْ : كنتُ بالأمسَ لي ،
فوهبتُكَ (٣) لن وهبتُكَ لي . فأنت اليومَ واليومَ
صرتَ مثلي فكُتبَ ذلك واستحسنه وزاده خيراً .

(١) سورة آل عمران : ٩٧ . أو لها « في آيات بيّات مقام إبراهيم » .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

(٣) فسير الرفع يعرود على عبد الله بن جعفر .

قال حمّادُ بنُ إسحاق الموصلي : كان لأبي غلامٌ
يستقي الماء لمن في داره على بغلتين ، فانصرف أبي يوماً
وهو يسرقُ البغلَ وقد قَرُبَ من الحوض الذي يصبُّ
فيه الماء . فقال : ما خبرُك يا فتحُ (١) ؟ قال : خبري أنه
ليس في الدّار أشقى منّي ومناك .

قال : وكيف ؟ قال : لأنك تُطعمهم الخبز وأنا
أسقيهم الماء ، فضحك منه وقال : فما تحبُّ أن أصنعَ
بك ؟ قال : تعتني وتهبُّ لي هذين البغليْن ، ففعلَ ذلك .



(١) اسم الغلام .

مهارس السفر الثالث

الصفحة	الموضوع
٥	الباب الرابع :
٧	لكت من كلام الحكماء
١٥	الباب الخامس :
١٧	جنس آخر من الأدب والحكم وهو ما جاء لفظه الأمر والنهي
٢١	الباب السادس :
٢٣	جنس آخر من الحكم والأمثال والآداب وهو ما كان أوله « من »
٧٥	الباب السابع :
٧٧	في سياسة السلطان وأدب الرعية
٩١	الباب الثامن :
٩٢	نواذر للنساء المواجهن وإلخواري
٩٧	الباب التاسع
٩٩	نواذر القصاص
١١١	الباب العاشر :
١١٢	نواذر القضاة لمن تقدم إليهم
١٢١	الباب الحادي عشر :
١٢٣	نواذر لأصحاب النماء والزفاة والزواقي
١٢٧	الباب الأول :
١٢٩	كلام لزياد وولده
١٣٩	الباب الثاني :
١٤١	كلام الحجاج

الصفحة	الموضوع
١٥٣	الباب الثالث :
١٥٥	كلام الأحنف
١٦٥	الباب الرابع :
١٦٧	كلام المهلب وولده
١٧٣	الباب الخامس :
١٧٥	كلام أبي مسلم
١٧٧	الباب السادس :
١٧٩	كلام جماعة من الأمراء
١٩٣	الباب السابع :
١٩٥	فصول الكتاب والوزراء وتوليقات ونكت من كلامهم ونوادير لهم
٢١٧	الباب الثامن :
٢١٩	نكت مستحسنة للقضاة
٢٥١	الباب التاسع :
٢٥٣	كلام الحسن البصري
٢٧٧	الباب العاشر :
٢٧٩	نكت من كلام الشيعة
٢٨٣	الباب الحادي عشر :
٢٨٥	كلام الخوارج
٣٠٣	مختصر الصاحب في الكشف عن مناهج أصناف الخوارج
٣٠٩	الباب الثاني عشر :
٣١١	الغلط والتصحيح

الموضوع	الصفحة
بعض ما أخذ عل العلماء من التصحيف	٢٢٣
حروف وكلمات من المصحف الذي يستعمله الناس عمداً	٢٢٩
حروف وكلمات من المصحف عمداً لا سهواً	٢٣١
الباب الثالث عشر :	٢٣٣
نوادير من النحو واللحن	٢٣٥
الباب الرابع عشر :	٢٤٣
نوادير المختارين :	٢٤٥
الباب الخامس عشر :	٢٥٣
نوادير جحا :	٢٥٥
الباب السادس عشر :	٢٥٩
نوادير أشعب	٢٦١
الباب السابع عشر :	٢٦٧
نوادير السؤال	٢٦٩
الباب الثامن عشر :	٢٧٣
نوادير المعلمين	٢٧٥
الباب التاسع عشر :	٢٨٣
نوادير الصبيان	٢٨٥
الباب العشرون :	٢٨٩
نوادير للعبيد والممالئك	٢٩١

1997/0/1 土 0...



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

في الاقطار المهيبة ما يعادل
٤٥٠ ل. ص .

سعر النسخة داخل القطر
٢٢٥ ل. ص